المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٥٧٣) المجلد (٦٣) العام [٦٧] المحرم / صفر ١٤٢٢ هـ ـ مارس / ابريل ٢٠٠١ م

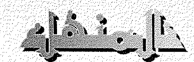
فقه الضرورة .. هش مرقع

العلاقات الدولية مع دول الجوار

٦٧ عاماً من العطاء

التجارة البينية العربية ضرورة ملحة

التطبيع الثقافي خيانة



مجلة شهرية للآداب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دارة المنهل
للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

غلاف العدد



المركز الرئيسي
جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١
٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مما قال



مغزى الهجرة النبوية

الهجرة النبوية الكريمة حادث من أعظم حوادث التاريخ العالمي اثرا ايجابيا راشدا، فعلينا أن نتدبر المغزى منها.

ومن المعلوم ان مادة الهجرة هذه، مأخوذة من (الهجر) بمعنى الترك وهكذا كانت الهجرة النبوية الخالدة عبارة عن انتقال بالمبادىء الجديدة الوضاءة وبالنفوس الصالحة المؤمنة من بلد الهوان والضعف والضعة والتهديد والاعداء الى بلد العزة والكرامة والسمو والاستقرار والاخاء الوافي الصافي. ضمانا لأن يتنفس المسلمون، ولأن يتنفس الاسلام في جو صالح خال من عوامل الاضطهاد والحقد والكيد والخصومة.. حتى يستعد ويتهيأ للشموخ والانتشار في شتى الآفاق.

وهكذا كانت الهجرة مفتاح القوة بعد الضعف بالنسبة للاسلام والمسلمين وكانت خروجا بهم من الدائرة الضيقة المهددة التي كانوا يقيمون بها، بين الشامتين والناقمين والحاقدين، الى رحاب فيح واسعة.

ولا شك أن كل هجرة تفيض بمعاني الألم والأمل .. ويتمثل الألم في فراق الرجل اهله وعشيرته وفي فراقه لموطنه الذى درج عليه وهو ناعم الاظفار وفي فراقه لمرابع الصبا ومراتع الذكريات. ويتمثل الأمل الذي يصاحب الهجرة في التطلع الى مجد جديد. واستكناه آفاق أرحب من الوطن الاول. ويتمثل في تنسم ريح آفاق جديدة من العمل والنهوض ونيل الاهداف التي كانت موصودة.

والهجرة في حقيقة الامر هي نقطة التحول الكبرى في تاريخ البشرية، فقد قلبت اوضاع العالم الفاسد الجامد واحالت الدنيا المظلمة الى دنيا مشرقة حافلة بالحياة المثالية والآمال النبيلة والاهداف السامية ونشرت المساواة والعدل والحرية الحقيقية والاخاء.. وكان العالم من قبلها يموج في تقاليد بالية وإلحاد وتخريف شامل وكان تتنازعه الاهواء. وتستبد به القلاقل النفسية والفكرية والاجتماعية الخطيرة وقد عاد الى العالم السلام والمحبة والوئام .. وكان ذلك أثرا بارزا من آثار هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام.

«عبدالقدوس الأنصاري»

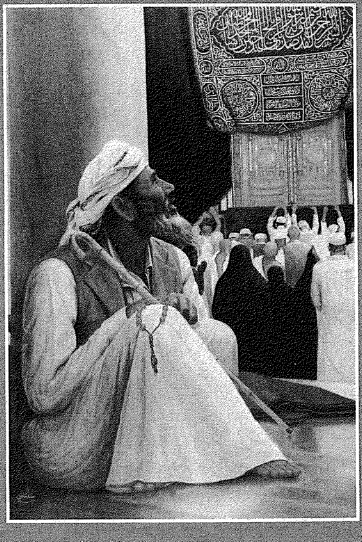
جزء من حديث مذاع بليلة ١٣٧٤/١/٥هـ

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم
مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

بسم الله الرحمن الرحيم

لقطة



بريشة الفنان السعودي / هشام بنجابي

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د/ عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة

□ الدراسات الشرقية والافريقية أنشئت لتسهيل العملية الاستعمارية.

ص ١٤

□ المسلم في هجرة إيمانية دائمة تعرج به في آفاق الاحسان الرحيبة .

ص ٢٠

□ تغريب العالم خلق غربي أصيل.

ص ٣٤

□ الحرية هي منظومة الوازع الأخلاقي الذي يراعي الجماعة والذات.

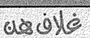
ص ٥٨

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٧٦٠٠٠٢٤٤٠٠٨٠٠ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



غلاف السائح


غلاف هن

.. فقرات مستلة .. فقرات مستلة ..

□ جائزة نوبل ليست المعيار للقيمة الأدبية .

ص ٨٠

□ مبتكرات الاطفال افكار جريئة ينبغي احترامها وتنميتها .

ص ١٢٦

أما بعد

ثلاثة عشر عاماً مكثها سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} في قومه يدعوهم للاسلام، وما آمن له إلا قليل.

وقد كان فيهم وبينهم الأمين والصادق المصدوق.. بل كان عندهم بشارة الخير ومطلع النور..

هكذا كان فيهم قبل الرسالة..

وبعدما دعاهم لعبادة الله وحده، ونبذ الأصنام، اشتط بهم الضلال، وركبتهم شياطين الهوى، وأبالسة الباطل، سفهت أحلامهم وسلبت عقولهم.

أصبح الأمين عندهم بالأمس، طريداً، يتربصون به، وبمن آمن معه.

من استطاعوا الخروج من هذا الجحيم المستعر، أمرهم رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} بالهجرة الى الحبشة، ـ فان فيها ملكاً لا يُظْلم عنده أحد ـ..

وحتى هؤلاء الذين فروا بدينهم، لحقهم الكفار من قريش في الحبشة يحرضون ملك الحبشة عليهم.. ولكنه كان صاحب حكمة وعقل راجح.

وبقي سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} يعاني ما يعاني من اذى وظلم، ومن معه من المسلمين.

وجاء الأمر بالهجرة المباركة.. وكفارٍ قريش قد ازداد بطشهم بالمسلمين وأحكموا حصار الشعْب عليهم، وعلى سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وآله وسلم} وزرعوا عيونهم في كل الأودية وسفوح الجبال، انه الترصد الكامل بالدعوة وصاحب الدعوة.. انهم لا يرغبون في إيمان يغسل عنهم ادران الشرك، ولا يودون لأحد أن يؤمن.. وهكذا أصحاب الضلالات حتى يومنا هذا.

غريب أمر الكفر والشرك والضلال .. رسول من بين ظهرانيهم، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، هم أنفسهم وصفوه بـ (الأمين) ورضوا به حكماً عدلا بينهم، عندما يدعوهم بدعوة الحق تطيش عندهم كل الموازين.

الكفر هو الكفر، في كل الازمنة والاماكن.. ألم يقولوا قبل ذلك لاخيهم صالح (ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا).

ألم يقولوا لقومهم:

«لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْ فيه».

ولكن الله ناصر رسوله ورسالته..

{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم}.

السماني كمال الدين

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤

أول الغيث

المنهل (٦٧) عاماً من العطاء

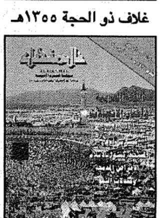
في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.. وفي المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم كانت الانطلاقة الأولى لـ (مجلة المنهل) لصاحبها ومؤسسها الشاب الطلعة المتوثب للعلياء دائماً الأستاذ عبد القدوس الأنصاري.. وقد كان عمره آنئذ عند اصدار العدد الاول ثلاثين عاماً. ولم يكن يملك من المال سوى أربعين ريالا فقط.. لكنه العزم والتوكل على الله سبحانه وتعالى.

صدرت المنهل آنذاك من غير أنموذج سابق تستند عليه، أو تفيد من تجربته في مجالها ومضمونها الذى اتخذت لنفسها.. ولهذا فهي بحق أمّ المجلات السعودية.

قامت المنهل على منهجية صارمة قوية لم تحد عنها، ولا ينبغي لها أن تحيد عنها، وتقوم منهجيتها على الخطوط التالية، حسب توصيف مؤسسها:

- التزام خط الاعتدال في كل ما ينشر.
- الذب عن حياض اللغة العربية الفصحى.
- الدفاع عن حظيرة العروبة والاسلام.
- الدعوة المخلصة الى التضامن الاسلامي.
- السعى وراء رفع المستوى الأدبي والعربي.
- نشر الوعي الاسلامي الصحيح.

غلاف ذو الحجة ١٣٥٥هـ



غلاف ذو الحجة ١٤٢١هـ

ولقد أعلت مجلة المنهل من مبدأ (الاعتدال والتوازن) و(النفع والافادة) .. وهي مبادىء رعتها المنهل رعاية كاملة، ووفتها حقها.. وبالتالي اكسبتها احترام الآخرين لها.. والمنهل ظل وفياً لكل كلمة تخدم الامة في أي مقوم من مقومات حياتها المتجددة الممتدة.. والمنهل ظل وفيا لقضايا وطنه، تفاعل معها وسجلها، دقيقها وكبيرها، وكانت له أولياته التي حفظت له حق السبق التاريخي والموضوعي في الدعوة الجادة للأخذ باسباب النهضة والتقدم في كل انحاء الحياة.

والمنهل بجديتها المعروفة عنها ومنهجيتها العلمية، استطاعت أن تجذب اليها عدداً موفوراً من العلماء والباحثين والمحققين والمثقفين بعامة - قراء وكتاباً - من داخل المملكة العربية السعودية، وعلى مستوى العالم العربي والاسلامي، بل اجتذبت عدداً من القراء والكتاب من مختلف دول واجناس العالم.. والمتصفح لاعداد المنهل قديمها وحديثها يستبين ما ذهبنا اليه.

نعلم انه على مستوى العالم العربي قامت مجلات لها قيمتها العلمية والأدبية والفكرية، لكنها لم تُعَمَّرْ كما عمرت مجلة المنهل، لسبب أو لآخر، وتوقفت - تلك المجلات - عن الصدور بعد عدد سنين من صدورها، في حين ان المنهل منذ انشائها وحتى يومنا هذا لم تتوقف عن الصدور إلا في سنوات الحرب العالمية الثانية بسبب ندرة الورق، ثم عاودت الصدور بعدها.

وبهذا العدد تضيء المنهل شعلة عامها (السابع والستين)، وهي تسير حسب منهجيتها الصارمة الدقيقة، لا تحيد عنها.. خدمة للعلم والثقافة والادب.

وبمناسبة العام الجديد، تتواصل المنهل مع محبيها، وهذه أقلامهم ترفد صفحاتها، تعبر بوفاء عن ود صادق نبيل، ومحبة موصولة دائمة..

ويسعدنا ويشرفنا نشر هاتين الكلمتين الصادقتين، من الاستاذين الكريمين: الاستاذ عبد الله بن حمد الحقيل، الأمين العام الاسبق لدارة الملك عبد العزيز، والاستاذ محمد صلاح الدين، الكاتب الاسلامي والاديب والصحفي الشهير.



المنهل بأقلام محبيه

المنهل موسوعة رائدة في الأدب والثقافة

تحية للمنهل في عامها الجديد «السابع والستين» بعد أن نمت وازدهرت وتدرجت في مدارج التكامل حتى بلغت من القوة والريادة ما جعلها مهوى أفئدة القراء ومطمح نفوسهم في داخل المملكة وخارجها فلقد تحملت أعباء رسالة الوعي والتنوير والاصلاح والثقافة فقامت بأدائها على اكمل وجه.. قامت خلال ستة وستين عاما بجليل الأعمال تبدو متتابعة وفي خطوات رصينة في مختلف المجالات الفكرية والفكر المستنير القويم وإشادة صرح من صروح الثقافة والفكر على أرسخ القواعد وأقواها.. حتى أصبحت من الروافد القوية للحياة الثقافية.. وقناة واسعة للعلوم والآداب والمعارف وكانت منهلا عذبا ونميراً لقرائها تغذي عقولهم وتروي نفوسهم من مختلف ثقافات العصور ومعارفها حتى صارت ذات صفة متميزة وصورة واضحة ومطامح سامية كريمة تمد قراءها بأقوى معارف علوم العصر وأسس حضارة العالم وفق أوضح المناهج وأقوم السبل.. وطرح ما يهم القارىء والمثقف من قضايا فكرية وثقافية وابراز مسيرة نهضتنا وأدبنا وتطوره وإنارة دروب المعرفة والإبداع مما مكنها من تبوء مكانة سامية لائقة .

ان المجلات الثقافية هي مشاعل الأمة التي تستضيء بها معالم طريقها لتسير بها الى شاطىء الأمان وبر الاطمئنان - وكم طرحت المنهل من موضوعات حيوية ثقافية تهم تراثنا ولغتنا وثقافتنا إضافة الى العديد من القضايا التربوية والاجتماعية وأدب الرحلات وغير ذلك مما يشغل الساحة والفكر والحياة العربية والاسلامية وها هي اليوم تدخل عاماً جديداً تفتح الآفاق فيه للوعي والثقافة والتقدم الفكري والعلمي خاصة وقد أصبح العالم وكأنه بلدة واحدة.

مما يضاعف مسئولية المنهل في المحافظة على هويتنا وتراثنا وثقافتنا وقيمنا أمام هذه الأمواج المتلاطمة والى استقراء الأحداث والمزيد من الوعي واليقظة للمحافظة على المثل والقيم والمقدسات الاسلامية.

ان رسالة المنهل رسالة عظيمة فهي أولا مفخرة لثقافتنا وأدبنا في هذه البلاد - إذ هي موئل للفكر الأصيل ومنتدى للأدب النقي ومنبر للثقافة ومحضن للإبداع وما أحرى شباب اليوم أن يقرأ باعجاب أعداد هذه المجلة منذ مؤسسها الأول رحمه الله ومنذ أول بداية شوطها حتى نمت ونبتت، ثم الاستمرار - وما أفسحته في صفحاتها من مناسبات وموضوعات ثقافية وتاريخية فكان لها الدور البارز والأثر المحمود.

ان رسالة المنهل أشمل من أن نلم بها كاملا فقد تحتاج الى مجلدات ولعل في ذكر ذلك ما يعتبر تعبيراً عن وفاء، واعترافا بفضل هذه المجلة على مسيرتنا الثقافية، ورحم الله مؤسسها فقد تحمل أعباء رسالة البناء في ظروف صعبة حتى أصبحت شعلة توهج وتألق ونشاط.

ثم استمدت هذه المجلة من أبنائه حيويتهم المتجددة حتى كان لها هذا الدور البارز والاثر الكبير في ميدان الأدب وضروب الثقافة ومجالات الوعي والمعرفة والإبداع فلهم من القراء أبلغ عبارات الحب والوفاء والعرفان، والدعاء بمزيد من العطاء والتوفيق في اثراء الحركة الفكرية والعلمية والاهتمام بتراثنا المجيد ولغتنا العربية الخالدة على طريق زاهر دائم بتوفيق الله.

بقلم : **عبد الله بن حمد الحقيل**

الامين العام الاسبق لدارة الملك عبد العزيز

المنهل .. الأصالة والمعاصرة

تدخل المنهل بعددها هذا عامها السابع والستين من مسيرتها الحافلة في خدمة الثقافة العربية، وهي رحلة طويلة تقطعها مجلة مخصصة للأدب والفكر والثقافة منذ أصدر الأستاذ عبد القدوس الأنصاري عددها الأول في عام ١٣٥٥، صمدت خلالها في هذا السباق الطويل في حين تنحت عن المضمار وتوارت على مدار هذه الفترة المديدة العديد من المجلات الأسبوعية والشهرية، وتقف المنهل اليوم الى جوار رصيفاتها من المجلات الثقافية العريقة في العالم العربي حراسا ينافحون عن اللغة ويذودون عن ثقافتنا الأصيلة في ظل مناخ محبط استشرت فيه واستفحلت ثقافة المطبوعات السريعة، وأجواء ينهمر فيها على الناس ركام عقيم من صفحات تافهة، ولا يثبت فيها إلا أولو العزم من أصحاب الهمم.

شرعت المنهل صفحاتها لأجيال من أدباء العرب ومفكريها، وقدمت للقارىء العربي خلال هذه الحقبة الطويلة ألوانا شتى من الإبداع الأدبي والفكري، وعددا غير يسير من الباحثين والنقاد والمؤرخين والأدباء فأصبحت سجلا للثقافة العربية الرفيعة ومحفلا يضم وجوه الأدب والفكر في عالمنا العربي، واستطاعت أن تنأى بنفسها عن المعارك التي لا تجدي، وتنهج نهجا يجمع بين الأصالة المعاصرة دون أن تفقد شخصيتها وطابعها الذي اراده لها صاحبها ومؤسسها منذ العدد الأول وحافظ عليه من بعده نجله الوفي الأخ الأستاذ نبيه الأنصاري.

لا تقتصر ريادة المنهل على كونها أعرق المجلات الثقافية في بلادنا، فقد مرت بمراحل متعددة على مدار تاريخها وواكبت التغيير والتطور الى الأفضل في كل ما نشرته، ومازالت سائرة في النهج نفسه وإن تغيرت الأساليب وتعددت الطرق.

ان المنهل بتاريخها الحافل الذي لازالت تحمل تبعاته جديرة بالإعزاز والإجلال من كل غيور على الثقافة العربية، تحية للمنهل الغراء ودعاء بالرحمة والأجر والمغفرة للرائد عبد القدوس الانصاري وتحية لابنه البار الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري الذي حمل اللواء من بعده في كفاءة وثقة واقتدار.

بقلم : **محمد صلاح الدين**

الكاتب الاسلامي والصحفي الشهير

تحيتي للمنهل والى صاحبها نبيه بن عبد القدوس الانصاري

يُشرّفنا .. بأوّل كلّ شهر — **بمنهلكُمْ قرأنا كُلّ باب**

بعذْب القوْل (منهلنا) الفُراتُ — **يحررُهُ مَقَاوِلُنا[*] الهداةُ**

(نبيه) نابه في كُلّ شأن

سليلُ أبيه منه له صفاتُ

حلّ مكان والده بعلم

لهُ في كُلّ معرفة سماتُ

(*) المَقَاول بفتح الميم: الألسنة الفصيحة ويكنى به الأديب الذي له مقول ولسان.

بندر بن عثمان الصالح

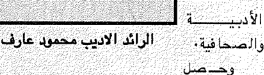
الشاعر الأديب محمود عارف.. في ذمة الله

فقدت الساحة الأدبية والصحفية (يوم الخميس ٢٨ ذي القعدة ١٤٢١هـ) الشاعر السعودي محمود عارف عن عمر يناهز الرابعة والتسعين، وهو أحد الرواد الكبار في الحركة الأدبية والثقافية وأحد الذين ساهموا في هذه الحركة من خلال تجربته الشعرية والنثرية ومن خلال دوره في الصحافة المحلية.

ولد الشاعر محمود عارف في مدينة جدة، وتلقى تعليمه بمدارس الفلاح ثم عمل بفرع وزارة المعارف والجوازات، ثم انتقل بعد ذلك للعمل الصحافي بجريدة «عكاظ» التي أصبح رئيسا لتحريرها ثم عضوا في مؤسستها، كما انضم الى عضوية مجلس الشورى السعودي واستمر الى الثمانينيات الميلادية، وهو عضو في نادي جدة الثقافي.

شارك الفقيد الراحل في دعم وتوجيه الحركة الأدبية في المملكة من خلال مقالاته الأدبية في العديد من المجلات الأدبية ومنها مجلة المنهل، صوت الحجاز، الرائد، قريش، المدينة وغيرها وكذا من خلال أشعاره ومؤلفاته الكثيرة والمتنوعة. فهو يعد من رعيل الأدباء الرواد الذين ساهموا في النهضة الأدبية السعودية المعاصرة في مجالات عديدة هي الصحافة والأدب والشعر؛ وعرف عن الشاعر الفقيد أنه ممن نوعوا في أشكال ابداعهم الأدبي فكتب الشعر بألوانه، وكان في كل ما كتب يعبر عن احساس راق بقيمة الكلمة الشعرية والفكرة المبتكرة، حتى انه يحب أن يكتب الشعر الحديث الحر حيث مزج فيه جمالية النثر الذي كان يكتبه وعذوبة الشعر الذي تميز به، لذلك كان له كثير من المعجبين بشعره، والمعجبين بنثره.

وخلّف الراحل محمود عارف أعمالا أدبية وشعرية عظيمة؛ فلقد أصدر الشاعر ثمانية عشر ديوانا شعريا منها «المزامير» و«الشاطئ» و«السراة في عيون الليل» و«أيام من العمر» و«على مشارف الزمن» و«ألحان السمر»، كما أصدر عدداً من الكتب التي تضم مقالاته الأدبية والصحافية.



الرائد الاديب محمود عارف

وحصل الشاعر على جائزة الابداع الأدبي من رابطة الأدب الحديث في القاهرة في مناسبة ذكرى شوقي وحافظ، كما حقق تقدير الساحة الثقافية في المملكة العربية السعودية وشارك في كثير من الفعاليات وكانت تجربته الشعرية محل عناية الباحثين.

لقد رحل الرجل الذي يعتبر من الأضواء المنيرة للمشهد الثقافي ومن الأسماء الشعرية الأولى في المملكة التي برزت في بدايتها. محمود عارف الشاعر الانسان والأديب.

الشاعر الأديب الرائد محمود عارف - عليه رحمة الله - كان من محبي مجلة المنهل، ومن الاقلام الدائمة الكتابة فيها، وكان صديقاً اثيراً ومقرباً الى نفس مؤسس المنهل الشيخ عبد القدوس الانصاري - عليهما رحمة الله ورضوانه - ولقد ضمت صفحات المنهل العديد الوافر من اشعاره وكتاباته ومشاركاته المتميزة في الندوات التي كانت تقيمها المنهل.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وغفر

حوار المنهل .. مع صرح من صروح الاقتصاد الوطني

الجريسي .. تجارة بلا حدود

وجاء لقاؤنا مع رجل الأعمال الشيخ/ عبد الرحمن بن على الجريسي نائب رئيس مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية، الرئيس العام لمجموعة الجريسي ـ رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بالرياض.

الشيخ عبد الرحمن الجريسي من رجال الاعمال المميزين، وينطوى على منهجية اقتصادية متقدمة، وفكر ناضج.

الجريسي يشغل ٢٥ منصبا بين رئيس مجلس إدارة وعضو وعضو منتدب (لبنوك وشركات ومؤسسات وجمعيات ومؤسسات صحفية) والحاصل على وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى في عام ١٩٩٩م ودكتوراه الشرف في علم فلسفة الاقتصاد من جامعة كينستجنون الأمريكية في عام ١٩٩٩م والحاصل على جائزة الشخصية الاسلامية العالمية المميزة للعام ٢٠٠٠م من مؤسسة (صوت الإسلام) بمدينة شيكاغو الأمريكية.

انبثقت فكرة انشاء أول غرفة تجارية بالمملكة عام ١٩٤٦م في مدينة جدة.. وصدر النظام الاساسي للغرفة متوجا بتصديق جلالة المغفور له الملك عبد العزيز يرحمه الله مؤسس المملكة العربية السعودية.. وتم نشره في جريدة ام القرى الرسمية، وعقد أول اجتماع للجنة الإدارية التي تم تأسيسها من قبل الدولة في ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦م.. وفي العام ١٩٥٠م صدر الأمر السامي بتأسيس اتحاد الغرف التجارية الصناعية في المملكة.

مقدمة:

** الغرف التجارية الصناعية في المملكة تعتبر احدى ركائز النمو الاقتصادي بل تعد من احدى الدعامات القوية للاقتصاد السعودي الذي يعتبر من افضل واكبر الاقتصاديات في الشرق الأوسط ولا نبالغ اذا قلنا ان الغرف التجارية الصناعية توفر القاعدة الصلبة والراسخة التي تساعد على تحسين مستوى النمو الاقتصادي الجيد والطموح.

** ان تقاربا تكنولوجيا بين المعلوماتية والوسائط الاعلامية قد حدث بالفعل.. هذا الواقع اسفر عن ولادة عصر جديد سيكون له شأن عظيم خلال الالفية الثالثة (عصر الوسائط المعلوماتية).. يعرف بأنه التقاء تكنولوجيات مختلفه تحمل صفات متفردة.

** وعلى الرغم من ان التجارة الالكترونية اصبحت لغة العصر، وجواز المرور لجميع السلع والخدمات للعبور للاسواق العالمية، الا ان هذا المفهوم

حوار : **مصطفى محمد مصطفى**

العصري للتجارة لا يزال غائبا عن عالمنا العربي، ولا يستخدم الا في أضيق الحدود، رغم أهميته باعتباره نتاجا طبيعيا لثورة معلوماتية وانطلاقة تكنولوجية عبر شبكة الانترنت.

** لقد شهد العالم تطورات كبيرة في تقنيات الربط مع الانترنت، تزيد من شعبية وسهولة استخدام تلك الشبكة، واصبح من السهل انجاز المعاملات في جميع انحاء العالم الذي تحول الى معرض مفتوح دون مغادرة الانسان مكانه.

***** نعلم أن مشاكل العمل التجاري والصناعي كثيرة جداً - ما هي أهم المشاكل التي تواجهكم؟.**

** إن المتغيرات الاقتصادية الهامة التي تجتاح العالم اليوم هي نتاج لتحولات كبرى طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأصبح الاقتصاد العالمي اليوم يتسم بالمنافسة وتحرير التجارة وانفتاح الأسواق وضخامتها، ونتج عن ذلك تنوع المنتجات وتنافسيتها ورفع مستوى جودتها وتدني أسعارها. وهذا قد يؤدي بالطبع إلى إغراق الأسواق بالسلع الأجنبية، مما يتطلب منا التكيف مع هذه المتغيرات، وذلك من خلال التركيز على جودة منتجاتنا، واستغلال مواردنا المحلية، والى توطين التقنية.

***** هل نجحنا في عالمنا العربي في تكوين (لوبي عربي) فكر اقتصادي مداده العلم وخاصة في مجال المعلوماتية والفضائية لمواجهة ومواكبة التجارة العالمية؟.**

** التعاون الاقتصادي بين الدول العربية موجود خاصة في مجال المعلومات ولكن يحتاج الى المزيد من التفعيل حتى يرقي الى المستوى المأمول - إذ لابد للدول العربية أن تضاعف من مجهوداتها لمزيد من التعاون فيما بينها وفي جميع المجالات حتى تستطيع المنافسة في السوق العالمي، ومن المميزات التي يمكن أن تساعد على ذلك هي توافر اللغة والثقافة والاقتصاديات الواحدة والتي إذا ما تم استخدامها بشكل جيد، فإن ذلك سيتيح الفرصة لقيام سوق إقليمية واسعة وبالتالي الى وحدة اقتصادية عربية متينة ومستمرة.

***** بعيدا عن المال - ماذا عن أجيال الغد؟.**

** درجت المملكة العربية السعودية في جميع خططها التنموية أن تضع المواطن السعودي على رأس اهتماماتها المستقبلية، وقد وفرت له خلال مسيرتها التنموية كافة متطلبات الحياة من تعليم وصحة وسكن ومواصلات، وفي سبيل إعداد جيل متعلم وصحي فقد وفرت حكومة المملكة العديد من المدارس والمعاهد والجامعات في كل مناطق المملكة حتى وصل عدد الطلبة والطالبات إلى حوالي ٦ر٤ مليون طالب وطالبة، إضافة الى

●● متى يكتمل حلم التجارة العربية نحو التكامل.

●● الانترنت نتاج حقيقي لثورة العلم.

●● التجارة الالكترونية اصبحت خيارا لا مفر منه



المستشفيات والمراكز الخاصة.

كما وفرت للشباب السعودي مختلف المراكز الرياضية والثقافية والاجتماعية حتى أصبحت المملكة تضاهي أكثر الدول تطورا وتقدما في هذه المجالات، وهذا ما يشير الي أن مستقبل المملكة يبشر بجيل يتميز بالعلم والمعرفة والصحة والرفاهية، خاصة وإن المملكة مقبلة على دخول مرحلة اقتصادية جديدة تتطلب كوادر مؤهلة علمياً وثقافياً.

●● خبراء المعلوماتية.. يتوقعون ان انصهار الكمبيوتر والهاتف سيؤدى الى منتج جديد ومختلف.

**** ما أسس المنهجية العلمية التي تتبعونها والتي تؤكد ريادتكم في مجالكم؟***

** من أولويات النهوض والتطور في وقتنا الحاضر متابعة ومواكبة المتغيرات اليومية والعمل علي استغلال الفرص ومحاولة الاستفادة من كل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهذا لا يأتي إلا بالادارة الجيدة لوسائل المعرفة والتأهيل لها باستمرار، ومن هذا المنطلق فإن أسلوبنا في العمل يتميز بالسرعة، والمرونة اللازمة لإنجاز أعمالنا. وهذا النهج بلا شك يتطلب منا روح المبادرة والاقتحام في إطار التحليل المتعمق والإعداد المتأني لخططنا وتطلعاتنا المستقبلية، فمستقبلا لن يأكل الكبير الصغير بل

•• المشروعات العربية لا تتناسب مع التجارة الالكترونية.

•• حياة العرب في عصر المعلوماتية لا زالت صعبة.

سيلتهم السريع البطيء، والخيارات أصبحت متعددة أمام اتخاذ القرارات والأبواب أصبحت مفتوحة ويبقى فقط التحرك لجعل هذه الاختيارات جزء من المؤثرات العالمية.

***** ما هي الخطوات التي يمكن من خلالها إيجاد شبكة معلومات عربية تسمح لرجال الإقتصاد والأعمال بالتواصل والتفاعل والاستفادة من بعضها؟.**

** بالرغم من المحاولات التي تقوم بها بعض الدول العربية لتطوير وتحديث شبكة معلوماتها واتصالاتها، ورغم محاولات بعض هذه الدول لتوطيد علاقتها التجارية والاقتصادية ببعضها البعض، إلا أن هذه المحاولات دون المستوى المأمول، لذا ينبغي على الدول العربية تكثيف جهودها للاستفادة من الثورة المعلوماتية الحديثة، والعمل على تجاوز الوسائل التقليدية في التجارة والخدمات وجمع المعلومات، وعقد الصفقات والاتفاقيات التجارية، والترويج الاستثماري وعبور الحدود دون جهد وبأقل النفقات في عالم ستكون سمته (تجارة بلا حدود). وبربط البلدان العربية بشبكة معلومات موحدة، فهناك العديد من الفوائد التي يمكن تحقيقها والتي من أهمها توفير المعلومات والبيانات الإحصائية الدقيقة عن الدول العربية ووضعها على شبكة الإنترنت، ويتوقف ذلك على استخدام الأجهزة الحديثة وتدريب الكوادر عليها، والعمل على توعية رجال الأعمال بعقد الندوات والمحاضرات وتدريبهم على استخدام هذه الوسائل والاستفادة منها في خفض النفقات بالتخلص من الأعمال غير المجدية عند القيام بعمليات الشراء والبيع وإصدار الفواتير والسداد. الى جانب توفير الجهد والوقت في عمليات متابعة الأعمال المكتبية وتحرير الوثائق للمشاريع الخدمية وجلب المواد الخام والتقنية المتطورة.

***** الإدارة هي فكر وممارسة وإحدى المجالات التي ترتبط بثقافة المجتمع وتراثه - في رأيك هل سر نجاح الإدارة هو القرب من الثقافة والتراث الاجتماعي؟.**

** أصبح التفكير في المستقبل هو الشغل الشاغل لكل القيادات وصناع القرار في القطاعات الاقتصادية، ومواكبة المستجدات العالمية فرضت على الجميع مستوى خاصا من الأداء. وتعتبر الإدارة إحدى الآليات الفاعلة التي تقع على عاتقها وضع استراتيجيات التطوير والتحديث باعتبارها الإطار المهيمن على مجريات العمل، ويترتب عليها أيضا إنجاز

•• نصيب الدول العربية لا يتجاوز ٠,٠٨٪ من حجم التجارة على الانترنت.

•• مستقبلا لن يأكل الكبير الصغير بل سيلتهم السريع البطيء.

●● المملكة تضاهي أكثر الدول تطورا وتقدما .. في المجالات الثقافية والاجتماعية والرياضية.

كل الطموحات والآمال الكبرى، وهي القادرة على تحويل النظريات الى تطبيق فعلي على أرض الواقع.

ولا شك أن هذه الحيثيات التي تدور في فلكها عجلة العمل الإداري تجعلنا نبحث في كيفية وضع آليات محددة ليست ببعيدة عن تراثنا وثقافتنا وتقاليدنا نستطيع من خلالها تحقيق النجاح المأمول، وتمكننا من تحقيق اهدافنا وطموحاتنا حتى يظل عملنا مستمرا وتكون له أصالته وريادته في كافة المجالات.

**** يكثر الحديث عن عصر العولمة والجات وإن الجات بوابة العولمة تقتحم الحدود وتلغي الحواجز فهل عالمنا العربي والإسلامي مؤهل لذلك وما هي الخطوات المدروسة لوضعنا على خارطة العالم اقتصاديا وتجاريا وصناعيا؟.***

** اتجهت معظم الدول العربية والإسلامية حاليا إلى اتباع سياسة الاقتصاد الحر، وبسبب التغيرات، والتطورات الأخيرة للاقتصاد العالمي اتجهت معظم الدول العربية والإسلامية لعمل بعض الإصلاحات على أنظمتها الاقتصادية، وقادت هذه التطورات إلى انضمام بعض هذه الدول الى منظمة التجارة العالمية، وبعضها في طريقه للانضمام.

ونحن في المملكة العربية السعودية كجزء من الدول العربية والإسلامية نواكب ونتابع البيئة التنافسية العالمية، خاصة بعد ظهور منظمة التجارة العالمية.

وقد أسهم سعي المملكة للإنضمام لهذه المنظمة في عمل الاصلاحات الاقتصادية الأخيرة، وزاد من قدراتها التنافسية خصوصا وأن بالمملكة عدداً من الشركات القوية أو الشركات الأجنبية المشتركة التي تستطيع منافسة مثيلاتها الأجنبية والتفوق عليها، ومن المؤكد زيادة هذه المقدرة بعد انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية.

**** بصفتكم نائب رئيس مجلس الغرف التجارية الصناعية بالمملكة ـ ألم يحن الأوان لربط الغرف التجارية العربية بعضها ببعض معلوماتيا للسماح لرجال الأعمال على مستوى عالمنا العربي الاستفادة من ذلك؟.***

** لقد مرت أكثر من أربعين سنة على إنشاء اتحاد غرف التجارة والصناعة للبلاد العربية التي لعبت دورا هاما في توحيد الصف، ودعم التعاون الاقتصادي العربي، وكانت الفضاء الأرحب الذي يلتقي فيه أصحاب الأعمال من كل البلدان العربية، وبفضل ما يتوفر لدى هذه الغرف من كوادر بشرية مؤهلة، وتجارب عميقة، تستطيع أن تمثل الإطار الأمثل لتدعيم

●● التطور .. هو سمة من تراثنا وثقافتنا وتقاليدنا.

●● مجلة المنهل .. بتاريخها العريق وطرحها الجيد المتنوع تُعدّ منارة للعلم والمعرفة.

التكامل الاقتصادي العربي من خلال الارتقاء بالتبادل التجاري وبإقامة المشاريع الاقتصادية المشتركة.

ومن البديهي القول أن تفاعل الغرف العربية مع المحيط الاقتصادي العالمي الجديد يفترض أن يكون من خلال وضع التصورات الخاصة بتطوير عملها بما يتجاوب مع هذه التطورات. كما أن الغرف العربية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى لدخول طور جديد من التنسيق والتعاون فيما بينها ثم مع الغرف الغربية الأجنبية المشتركة، وذلك بتقديم المعلومات الصحيحة للمستثمر العربي أو الأجنبي، وتوفير الخدمات والتسهيلات والمعلومات لرجال الأعمال بالإضافة الى تبادل المعلومات فيما بينها وإقامة المعارض المتخصصة على المستوى العربي وتنظيم الزيارات الإعلامية والندوات.

**** الغرف التجارية ما هو دورها في توحيد حركة الاقتصاد العربي - وهل الجانب السياسي هو العائق الأساسي والوحيد؟.***

** لقد ظلت الغرف العربية حلقة الوصل بين رجال الأعمال في وقت كان فيه العالم العربي ممزقا بين مختلف الايديولوجيات، واليوم وقد زالت هذه الخلافات الايديولوجية ودخلت الانسانية جمعاء مرحلة جديدة من تاريخها تحتم علينا مضاعفة الجهد من أجل تفعيل دور هذه الغرف حتى يكون مردودها أكبر، وتفاعلها مع محيطها أفضل، ونتائجها أعم وأشمل، خاصة وان كل الحكومات العربية أصبحت واعية ومقتنعة بالدور الذي يمكن أن يلعبه القطاع الخاص لتطوير الصناعة والتجارة وخلق مواطن الشغل ودعم المسيرة التنموية، وإن مسئولية أصحاب الأعمال الكبيرة في تنشيط التبادل التجاري بين الدول العربية وجذب رأس المال العربي وتوجيهه الوجهة الصحيحة في إطار شراكه فاعلة وناجحة.

●● المتغيرات الاقتصادية التي تجتاح العالم اليوم هي نتاج تحولات كبرى في الحياة السياسية والاجتماعية.

**** نسمع أن لمعاليكم وقتا مخصصا للقراءة والاطلاع على الرغم من كثرة أعمالكم - ما هي المواد التي ترتاح لها نفسكم؟.***

** بالرغم من مشاغلي وارتباطاتي الكثيرة أجد وقتا للقراءة والاطلاع وقراءتي تتركز دائما وبصورة رئيسية على تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة، بالإضافة الى قراءة الأعمال الأدبية والثقافية الجيدة، والاصدارات التي تهتم بمجال الاقتصاد والتجارة.

* مجلة المنهل والتي أسسها عبد القدوس الأنصاري تعد أول مجلة سعودية مضي عليها أكثر من نصف قرن من الزمن، وكان ولا يزال لها أداؤها الحضاري والفكري والثقافي - ما رؤيتكم حولها؟.

** مجلة المنهل بتاريخها العريق وطرحها الجيد المتنوع لهي غنية عن التعريف، وقد عرفناها من خلال مسيرتها الطويلة بمساهماتها الجادة ومعلوماتها الغزيرة المتنوعة ومضمونها الجيد. وبقاؤها وصمودها طيلة هذه الفترة دليل على صدق ما تقدمه.

نتمنى لإدارتها والعاملين بها التوفيق والنجاح وجعلها الله نبراسا للحركة الثقافية بالمملكة ومنارة لمعرفة وفكر أبناء هذا الوطن.

مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن

طرأ في عام ١٩١٧ تحول خطير في الدراسات الاستشراقية في بريطانيا حيث تولت الحكومة البريطانية امر اقامة مؤسسة اكاديمية في عاصمتها لندن لتنمية هذه الدراسات عُرفت باسم مدرسة الدراسات الشرقية لتؤكد مقولة ادوارد سعيد حول الارتباط التام بين الاستشراق والسياسة ولتعزز المقولة الثابتة (المعرفة سلطة A Knowledge is Power)[١].

لعبت الجمعية الاسيوية الملكية التي تأسست عام ١٨٣٢ دوراً قيادياً في الدعوة لاقامة مدرسة لتدريس اللغات الشرقية في لندن على غرار المدارس التي اقيمت في بعض العواصم الاوربية كفرنسا والمانيا وروسيا وبدأت دعواتها تتحول الى تيار قوي ومؤثر مع اتساع المصالح البريطانية في الشرق، وازدياد حدة التنافس مع بقية الاقطار الاوربية على الاسواق والمستعمرات فيه، ولا سيما منذ بداية الربع الاخير من القرن الماضي. ونجد في كل الخطب الافتتاحية للمؤتمرات السنوية للجمعية الاسيوية ابتداء بعام ١٨٩٢ اشارات الى ضرورة اقامة مدرسة للدراسات الشرقية في لندن[٢].

الا ان الخطوات العملية لتنفيذ هذا المشروع بدأت مع تشكيل اللجنة المعروفة باسم (لجنة اللوردراي) عام ١٩٠٧ من قبل وزارة الخزانة[٣]. وقد اصدرت هذه اللجنة في العام التالي تقريراً اكدت فيه على تخلف الدراسات الاستشراقية في بريطانيا مقارنة بما هي عليه اقطار اخرى كفرنسا وروسيا والمانيا. وان هذا التخلف لا يتفق وتعاظم المصالح البريطانية في الشرق. وارتأت اللجنة ضرورة اقامة مدرسة للدراسات الشرقية في لندن تكون منبثقة عن جامعة لندن، وتكون نواة هيئتها التدريسية من بين اساتذة الدراسات الشرقية في كلية الملك والكلية الجامعية. وقد تمت مناقشة التقرير في مجلس اللوردات، وعهدت الى لجنة جديدة برئاسة اللورد كرومر لاتخاذ الخطوات التنفيذية لاقامة هذا المشروع[٤]. وتم بالفعل استكمال كافة متطلباته من مبان وهيئات تدريسه وشخصيته القانونية[٥].

وصدر في حزيران عام ١٩١٦ مرسوم ملكي باقامة مدرسة للدراسات الشرقية[٦]. وقد افتتحت المدرسة في احتفال كبير حضره الملك جورج الخامس نفسه وذلك في ٢٣ شباط ١٩١٧[٧].

وقد عكست الخطب التي القيت في هذا الحفل الاهداف التي اريد من اجلها انشاء هذه المدرسة. وهذه الخطابات هي:

١ ـ خطاب رئيس مجلس ادارة المدرسة السير

بقلم : د. ناصر عبدالرزاق الملا جاسم
كلية الآداب – قسم التاريخ جامعة الموصل


مبني البرلمان وساعة بج بن

** الدراسات الشرقية والافريقية، أنشئت لتسهيل العملية الاستعمارية.

جون هيويت J.P.Hewett[٨].

٢ ـ خطاب الملك جورج الخامس[٩].

٣ ـ خطاب اللورد كيرزن خليفة كرومر في رئاسة اللجنة المشرفة على اقامة المدرسة[١٠].

ومن مقارنة الخطب الثلاث يتضح ما يأتي:

(١) اجمع الخطباء الثلاثة على ابراز مسألة التناقض الكبير بين عظم مصالح بريطانيا في آسيا وافريقيا وقلة الاهتمام بالدراسات المتصلة بها، والاقرار بالتفوق الاوربي (الفرنسي والروسي والالماني) على البريطانيين في حقل الدراسات هذه.

(٢) اكد كل من السير هيويت والملك على الاهداف السياسية والاقتصادية الكامنة وراء انشاء هذه المدرسة، فقد رأى الأول بأن هذه المدرسة ستقدم مكاناً يتلقى فيه أولئك الموظفون الاداريون والعسكريون الذاهبون الى مستعمرات بريطانيا في آسيا وافريقيا دروساً في لغات وآداب وأديان وعادات ابناء هذه المستعمرات فنفوذهم وتأثيرهم انما نبع من درايتهم بشخصية وافكار وأنظمة هذه الشعوب[١١]. كما لم يغفل ان ينبه الى العامل الاقتصادي حينما يشير الى ان حجم التبادل التجاري البريطاني مع الشعوب الشرقية والافريقية يتراوح بين مئتين الى ثلاثمئة مليون جنيه سنويا[١٢]. اما الملك فيلفت النظر الى اهمية الفرص التي ستوفرها هذه المدرسة للبريطانيين في الهند ومصر لممارسة الادارة بصورة جيدة كما انها ستؤهل التجار والصناعيين البريطانيين تأهيلا يمكنهم من الحفاظ على مكانة التجارة البريطانية وسمعتها الكبيرة في الشرق[١٣].

** معرفة عادات وافكار الشعوب تساعد المستعمر على تحقيق أقصى درجات الافادة من الدول التي يستعمرها.

(٣) اكد الثلاثة على دور اساسي تلعبه المدرسة يتمثل بتعميق الصلات الثقافية مع المستعمرات البريطانية. وقد اختلفت طريقة التعبير عن هذه المسألة فيما بينهم. فالسير هيويت يأمل ان تصبح المدرسة مركز التقاء لعلماء الشرق بمختلف قومياتهم حيث ستوفر لهم الترحيب الحار والفرص الدراسية في اجواء من التعاطف الحميم[١٤].

اما اللورد كيرزن فيفصل في هذا الامر حينما يتأمل المدرسة وقد اصبحت «مركزاً لتبادل الافكار بين الشرق والغرب وجسراً بين عقل وشخصية بريطانيا العظمى وبين تلك الشعوب الشرقية بهدف ازالة ما علق بالاذهان من اخطاء انبثقت عن الجهل»[١٥] اما الملك فيشدد على دور المعرفة التي توفرها المدرسة لتغذية روح الولاء والمواطنة والالتحام لبناء الامم المختلفة التي تتكون منها الامبراطورية وثنى على ذلك فأبرز اهمية الصلات التى ستخلقها المدرسة مع اليابان حليفة بريطانيا في حربها جند المانيا في تنمية روح التعاطف بين البلدين[١٦].

(٤) انفرد الملك بالاشارة الى الهدف الاكاديمي الخالص للمدرسة حينما نبه الى ضرورة الاهتمام بالاداب واللغات الشرقية لذاتها لأن الادب والفن القديمين للهند بالغي الاهمية بالنسبة للانجاز الانساني بمجمله، وتمنى ان يبعث انشاء هذه المدرسة الاهتمام العام بالتراث الفكري لهذه القارة العظيمة، ولتحفيز ومساعدة الطلبة في جهودهم في حقل المعرفة هذا[١٧].

اما بالنسبة للموضوعات التي تقرر تدريسها في المدرسة فيوضحها المرسوم الملكي الذي ينص على ان هذه المدرسة «ستقدم دروساً في لغات الشعوب الاسيوية والافريقية، قديمها وحديثها، بجانب ادبها وتاريخها واديانها وعاداتها»[١٨]. وقد اكد كل من السير هيويت[١٩]، واللورد كيرزن[٢٠]، على هذا الاتجاه واستخدما لغة شديدة الشبه بما ورد في المرسوم.

وقد قسمت المدرسة الى سبعة اقسام وفق المجاميع اللغوية التالية:

المجموعة الاولى (لغات الهند القديمة) السنسكريتية ولغة بالي.

المجموعة الثانية (لغات الشرق الاوسط).

١ - العربية وتتألف من: (أ) العربية الفصحى، (ب) العربية الدارجة (لهجات مصر وبغداد وبلاد الشام).

٢ - الفارسية.

٣ - التركية.

المجموعة الثالثة (لغات شمال الهند وشرقها وغربها) الهندوسية والهندية والمراثية والكوجراتية.

المجموعة الرابعة (لغات جنوب الهند) ١ - لغة التاميل والتلوكو - ٢ - التاميل والسنكاليس.

المجموعة الخامسة (لغات هندية اخرى، الملايو) ١ - البورمية - ٢ - الماليزية.

المجموعة السادسة (لغات الشرق الاقصى) ١ - الصينية: أ - الماندرانية - ب - الكانتونية.

٢ - اليابانية.

البناية الأولى لمدرسة الدراسات الشرقية

واصبحوا مع بداية الفصل الثاني ١٢٥ طالباً[٢٧].

ولكن اذا كنا قد توقفنا امام افكار وتأملات مخططي مشروع المدرسة، فالسؤال الاهم هو ما هي حقيقة اهداف وخطط منفذيه؟. ولدينا لحسن الحظ نصان نفيسان بامكانهما ان يستجليا بعض هذا الامر. الاول افتتاحية العدد الاول من مجلة المدرسة كتبها السير دينسون روس مدير المدرسة واستاذ الفارسية فيها، والثاني محاضرة للمستشرق توماس ارنولد بعنوان «دراسة العربية» القاها في الفصل الدراسي الاول (ايار ١٩١٧)[٢٨].

يتفق كلا الرجلين مع سابقيهم في التأكيد على الجانب العملي لمهمة المدرسة فيستشهد الاول بنص مرسوم التأسيس الملكي الذي يؤكد بأن تأسيس المدرسة قد جاء لتلبية حاجات اولئك الذاهبين الى الشرق وافريقيا لغرض البحث او التجارة او الوظيفة[٢٩].

اما الثاني فينبه الى اهمية دراسة اللغة العربية لتزويد الموظفين البريطانيين في مصر والسودان وافريقيا الوسطى وعدن وسواحل الخليج العربي والهند بالقدرة على اداء واجباتهم بصورة فاعلة[٣٠]. ويقتفي روس[٣١] وارنولد[٣٢] اثار هيويت وكيرزن وجورج الخامس حينما ينبهان الى تخلف الدراسات الشرقية في بريطانيا مقارنة بأقطار اوربية اخرى وكذلك في ضوء اتساع المصالح البريطانية في الشرق.

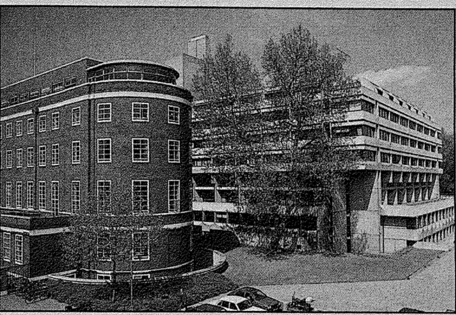
والحل والوحيد برأيهما، لوضع نهاية لهذا التخلف

٣ - التبتية.

المجموعة السابعة (اللغات الافريقية) ١ - السواحلية والبانتو - ٢ - الهوسا[٢١].

وبالاضافة الى تدريس اللغات يتجه الاهتمام لدراسة موضوعات اخرى كعلم الصوت والاديان والفلسفة الشرقية والاديان الافريقية وحياة العائلة الشرقية، العادات والافكار الاساسية والقانون والتاريخ الهندي ونحو ذلك[٢٢] وقد جرى اختيار ادوارد دينسون روس مديراً للمدرسة واستاذاً لكرسي الفارسية فيها كذلك. كما نقلت هيئات اقسام اللغات الشرقية في جامعة لندن الى المدرسة باستثناء اقسام الاشوريات والمصريات والعبرية التي بقيت في الجامعة(٢٣) كما اسند كرسي العربية للمستشرق توماس ارنولد عام ١٩٢١[٢٤] وكذلك نقل طلبة الاقسام الشرقية في جامعة لندن (باستثناء الاقسام المشار اليها) الى المدرسة وكان تعدادهم تسعة[٢٥] لكن افتتاح المدرسة رافقه تدفق الطلبة اليها فبلغ تعدادهم في الفصل الدراسي الاول ٧٥ طالباً[٢٦]

وشـدد كـلاهمـا، وفق ذلك، على الدافع الاكـاديمي لانشـاء (المدرسة) فقد نبه روس الى ان الاهداف العـمليـة يجب ان لا تقف في وجـه تطور الاهداف الاكـاديمية الخـالصـة، فـالنية متجهة لجعل (المدرسة) مركزاً للبـحث الشـرقي[٣٥]. امـا ارنولد فـيرى في تأسـيسـهـا فرصـة كـبيرة لتـعديل الاثر الكنسي الطاغي والمضلل على المواقف الاستشراقية البريطانية عن الاسلام والحضارة الاسلامية، وكذلك قاعدة لقيام بحث اكـاديمي منصف لهـذا الدين الامـر الذي لم يتحقق، برأيه، حتى ذلك التاريخ[٣٦].



صورة تضم البنايتين القديمة والحديثة للمدرسة

ويكشف مـوقف ارنولد هذا عن اتجاه جديد في فهم الاسلام قوامه اشاعة روح من التعاطف والاحترام والتفهم.

ويأتي نقيضا لرؤية ارنولد السابقة لدور المدرسة بوصـفـهـا مـركـزا لتـعامل جديد مع الاسلام، ابتهلت الاوساط التبشيرية البريطانية ان تكون هذه (المدرسة) سنداً قوياً لدعم حـركـة التـبشـير، فـقـد دبّج المبشـر المعروف سنتكلير تشدال[٣٧] مقالا مطولا نسج فيه الامـال على قـيـام المدرسـة بدعم الحـركـة التـبشيرية المحمومة في الهند وايران وبلاد المشرق العربي. لكننا نستطيع القول أنه في ظل وجود رجل مثل ارنولد في كرسي العربية وروس القليل الاكتراث بالامور الدينية في منصب المدير[٣٨]، فـقـد نـأت المدرسـة عن هذا الاتجاه لتـتخـذ لهـا طابعاً اكاديمياً مع اتصـال وثيق بالسياسة البريطانية في الشرق.

انما يتمثل بربط دراسة اللغـات الشـرقـيـة بالمقررات الاكـاديمية الاخـرى، واحـيـاء الاهتـمـام بدراسـتـهـا سواء من قبل الهواة أو على مـسـتـوى البـحث الاكـاديمي البـالغ العمق[٣٣] وسنرى انه قـد تمثل تمـامـاً هذا الهـدف وسـعى طوال حـيـاتـه الى انقـاذ الـدراسـات الاسـتـشـراقـيـة من وضعها الهامشي في الحـيـاة الاكـاديميـة الاوربية وادراجـهـا في التيار المركزي للحياة الفكرية التي انبـثـقت عنها اصلا[٣٤].

** تعميق الصلات الثقافية والفكرية مع المستعمرات البريطانية.

** الدراسات الشرقية تمثل سنداً قوياً للعمل الكنسي في الشرق.

** الدراسات الشرقية ساعدت على تعميق ثقافة وحضارة المستعمر.

الهوامش :

(١) A Hourani, Europe and the Mid-

dle East, (Oxford: 1908), P. 110

(٢) P. J. Hartog, The Origins of the School of Oriental Studies BSOS, 1917, 1920, Vol. 1,P.5-9

(٣) Ibid., P.11

(٤) Hartog, The Origins.., P.12

(٥) Ibid., P. 13-19

(٦) W. St. Clair Tisdall, The london school of Oriental Studies MW, Vol. 7, 1917

(٧) سجلت وقائع حفل افتتاح المدرسة ونشرت ضمن العدد الاول من مجلة المدرسة، انظر ادناه.

(٨) The Obening Ceremony, BSOS, 1917-1920, Vol. 1, P.24-27

(٩) Ibid., P.24-28

(١٠) Ibid., P. 28-31

(١١) Ibid., P.26

(١٢) Ibid., P.26

(١٣) Ibid., P.27-28

(١٤) لعل ذلك هو ما دفع الى اختيار روس مديرا للمدرسة وارنولد محاضراً فاستاذاً، فكلاهما معروفان بصداقاتهما الحميمة مع العلماء الهنود اثناء ممارستهما التدريس في الهند، الاول مديرا لمدرسة كلكتا والثاني مدرسا في علكيرة، بل ان ارنولد قد عمل بعد عودته الى بريطانيا مسؤولا عن استقبال الطلبة الشرقيين وتسهيل مهمة التحاقهم بالجامعات البريطانية. ينظر: H. A. R. Gibb Sir Tomas Arnold, p.25 DNB

وعن صداقة روس بالعلماء الهنود ينظر:

Hasan Suhrawardy, Review of Ross's, Two Ends of the Candle, GRCAS, 1953, Vol. 30,p.324

(١٥) The Obening Ceremony, P.31.

(١٦) Ibid.,p.28

(١٧) Ibid., P.28

(١٨) Tisdall, The London.., P. 396-397

(١٩) The Obening Ceremony, P.26

(٢٠) Ibid., P.30

(٢١) Tisdall, The London.., P.297

(٢٢) Ibid., P.297

(٢٣) Hartog, The Origins.. P.20

(٢٤) Gibb, Sir T. W. Arnold, P26

(٢٥) Hartog, The Origins.., P,21

(٢٦) Tisdall, The London.., P.398

(٢٧) Hartog, The Origins.., P.21

(٢٨) Houroni, P. 108

(٢٩) E.D. Ross, Introduction, BSOS, 1917-1920 Vol. 1p.1

(٣٠) T.W.Arnold, The Study of Arabic BSOS Vol.,1917-1920, P.114

(٣١) Ross Introduction,P.2

(٣٢) Arnold The Study.., P.113-114

(٣٣) Ross Introduction P.2.; Arnold, The Study.. P.114

(٣٤) Hourani, P.107

(٣٥) Arnold, The Study, P.114

(٣٦) Ross, Introduction, P.2

(٣٧) Tisdall, The London.. PP.399-400

(٣٨) نوه اكثر من كاتب بشخصية روس غير الجادة والميالة للاستمتاع بالملذات.

Anon, The Obituary E. D. Ross MW, 1941, Vol. 31, P.210

H.A.R. Gibb, Edward Denison Ross 1871-1940 JRAS, 1941, P.49



ماذا تعلمنا من الهجرة؟

إن حدث الهجرة النبوية سيبقى على مدى الأيام أهم ما في سجل التاريخ الإسلامي إلى جانب الأحداث العظام التي يحفل بها انطلاقاً من غزوة بدر الكبرى الى فتح المدائن وصولا الى فتح القسطنطينية وغيرها كثير.. وبقاء هذا الحدث راسخاً في الذاكـرة التـاريخـيـة ينبع من كـونـه يمثل بداية للنقلة الحاسمة التي عرفتها الدعوة الإسلامية ومن ثم قيام الدولة العظيمة التي نشرت العدل والصلاح في كل الآفاق.. ومن هنا نفهم موقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين اختار هذا الحدث ليكون بداية التقويم لتاريخ الأمة الاسلامية.

وستبقى ذكرى الهجرة ـ وإلى الأبد ـ ذلك الينبوع المتدفق بالدروس والعظات لكل مسلم يرنو إلى إقامة منهج دعوي تستبين من خلاله معالم الإسلام واضحة جلية في أفقها المستنير. وقد قال الله تعالى: {**لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**} (الاحزاب/٢١). فما أحوج المسلمين ـ وخاصة الدعاة منهم ـ الى استلهام تلك الدروس في حياتهم والعمل على فهم تاريخ الدعوة الإسلامية في ضوئها ومن ثم الإنطلاق لتجسيد تلك الصورة الزاهية من الإخلاص والعمل الايجابي في سبيل التمكين لدين الله تعالى.

ولأهمية تلك الدروس، فإننا سنحاول بسط الحديث عن بعضها من خلال هذه الوقفات المقتضبة.

١ ـ التضحية :

كانت الهجرة ـ بالنسبة للرعيل الأول من المسلمين المهاجرين خروجا من أرض الشرك والظلم والحصار، حيث يمارس صناديد الكفر تسلطهم وجبروتهم على رقاب المستضعفين من المؤمنين، يسومونهم سوء العذاب ويذيقونهم من ألوانه ما لا يطاق، فما كان عليهم إلا أن يفروا بدينهم وعقيدتهم الى موطن يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم بعدما أذن لهم بذلك.. فلم تكن تلك الهجرة خروجاً عادياً بسيطاً مجرداً من كل معنى عظيم، أو فراراً بالمعنى الضيق الذي يعبر عن الضعف والجبن، وإنما هي خروج قاصد موجَّه بكل المعاني الجليلة.. فقد خرجت تلك الفئة المؤمنة المستضعفة تاركة الأرض والأموال والذكريات ولم تبال بشيء، لأن الهدف الذي تسعى إليه أسمى من أن يُقيَّم بشيء من عرض الدنيا الزائل.. فها هو «صهيب» ـ رضي الله عنه ـ يتنازل عن ثروته التي تعب في جمعها بعدما تعرض له عتاة مكة حين اكتشفوا أمر هجرته، فوقف لهم بثبات وخيَّرهم بين القتال حتى الموت أو أخذ ماله! حيث جردوه من كل شيء فجاء المدينة لا يملك شيئاً كعهده يوم كان عبداً لابن جدعان، لكن الثمن يأتي مضاعفاً اضعافاً كثيرة، فينزل فيه قول الباري تعالى: {**ومِنَ الناس من يشري نفسَه ابتغاء مرضاة الله واللهُ رؤوف بالعباد**} (البقرة/ ٢٠٧).

أما أولئك الذين تقاعسوا وآثروا القعود خوفاً على

أموالهم وديارهم وممتلكاتهم ولم يستطيعوا التضحية في سبيل ما آمنوا به، فقد أتاهم الوعيد الإلهي الشديد في أسلوب تقريعي قاس، فقال تعالى: **{إن الذين توفَّاهم الملائكةُ ظالمي أنفُسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا}** (النساء/٩٧).

وهكذا فقد كانت الهجرة تجسيداً عملياً لمعنى التضحية في أجلِّ صورها وأعلى مراتبها، أما وقد انقطعت بعد ما جاء نصر الله والفتح، فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد جلَّى للمؤمنين صورة أخرى لا تقل عنها قيمة، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» (رواه البخاري)، وبذلك فالخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة ـ كما قال الامام النووي.. يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة. و«الحديث الشريف حين ينفي الهجرة بعد الفتح فإنه ينفي كل الأسباب التي أدت إلى الهجرة قبله، ويشير إلى ما يجب أن تكون عليه الأمة الاسلامية من القوة والاعداد للجهاد في كل وقت حتى تدفع عن أرضها الغزاة»[١].

إن توقف الهجرة بمفهومها الشرعي بعد فتح مكة لا يلغي مشروعية هجرة المرء في سبيل المبدأ الذي يؤمن به فراراً من البغي والطغيان، أو هجرته لطلب العلم والتفقه في الدين.. أما هجرة الذنوب والمعاصي بالتوبة الى الله فهي الهجرة الدائمة المستمرة دون انقطاع بحيث لا يشملها الحديث السابق، فقد روي

بقلم : **محمد بوراس** - المغرب

عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم؟ من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد؟ من جاهد نفسه في طاعة الله. والمهاجر؟ من هجر الخطايا والذنوب» (رواه الامام أحمد في مسنده).. وهل هناك معنى للتضحية يفوق تجرد الانسان من داعية هواه، وهجران ما حرمه الله مما تهفو إليه النفوس من شهوات ولذائذ، ثم الترقي في مدارج التزكية وصولا إلى درجة من الاستقامة والصلاح تتحقق بهما التقوى؟.

٢ ـ التوكل على الله :

قد يتساءل كل مسلم وهو يستعيد تاريخ الدعوة الاسلامية وسيرة الرسول {صلى الله عليه وسلم} ومنها حدث الهجرة، فيقول: ما الحكمة في كون الهجرة النبوية لم تتم بصورة خارقة كالاسراء والمعراج؟.

إن الناظر المتبصر يلاحظ أن الهجرة تشكل نقطة

**** الهجرة المباركة نقلة حضارية كبرى قاصدة الى الحق.**

**** التضحيات التي صاحبت الهجرة نابعة من قلوب عَمَّرها الإيمان.**

تحول أساسية في مسيرة الدعوة، قفزت بها من مرحلة الكمون والحصار إلى مرحلة الذيوع والانتشار، ولعل تحولا كهذا يستدعي لكي يؤتي ثماره الناضجة أن تتوفر له عزيمة قوية واستعداد جدي يرسم مساره الحقيقي والصحيح. لأن العمل الايجابي والقادر على البناء والنهوض لابد أن يسبقه عزم وتصميم.. فهو علم وعمل، تخطيط وبناء، نية وجهاد.. إنه تجسيد عملي لمعنى التوكل الايجابي الذي يحقق الهدف ويمهد الطريق نحو النجاح.

وحدث الهجرة يزكي هذا المبدأ ويجسده بشكل رائع، فقد كان من الممكن أن لا يعاني رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في رحلته الى المدينة كل ذلك العناء، بدءاً من خروجه خفية تحت جنح الظلام الى مطاردته على امتداد الصحراء القاحلة الى اختبائه في الغار.. فكل هذا التعب والعنت لم يأت عبثاً، بل جاء ليؤكد بأن لا مجال للخوارق والمعجزات عند الانطلاق لارساء مبدأ أو تبليغ رسالة أو نشر فضيلة، فذلك كله منوط بالارادة الإنسانية في التغيير.

«فلقد ذاق محمد {صلى الله عليه وسلم} النصر بعد مرارة الصبر والكفاح والنضال، وكان ربه قادرا على عصمته من أذى الناس إلا أنه جل شأنه أراد به ذلك حتى يفتح أعين الذين آمنوا على سنته في خلقه، فلا يغتروا بانتسابهم إلى الاسلام من غير جهاد، أو يستسلموا إلى الوهن وهم يحسبون أنهم على ربهم يتوكلون»[٢].

٢ ـ التخطيط والتنظيم :

من موجبات التوكل الإيجابي الذي تتحقق من خلاله الأهداف، التخطيط والعمل في إطار منظم.. ففي ميدان القتال أمر الله سبحانه باعداد القوة في مواجهة الاعداء، فكان ذلك اشارة ربانية الى أهمية رسم الخطط التي توجه مسار العمل وتضبطه.

الهجرة المباركة صياغة جديدة لانسان جديد ومجتمع جديد.

وقد برزت معالم التخطيط والتنظيم في الهجرة النبوية واضحة من خلال مجموعة من التدابير التي اتخذت من أجل انجاحها، ومن ذلك:

أ ـ احاطة الأمر بالسرية التامة حتى أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} خرج إلى أبي بكر مقنعاً[٣] في الظهيرة على غير عادته ليخبره أنه قد أذن له في الخروج.

ب ـ نوم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في فراش النبي {صلى الله عليه وسلم} لإيهام أولئك المتربصين عند الباب في انتظار الفرصة للانقضاض عليه {صلى الله عليه وسلم}، مع تكليفه برد بعض الودائع التي بقيت عند الرسول {صلى الله عليه وسلم} إلى أصحابها.

جـ ـ تكليف عبد الله بن أريقط ـ وهو من المشركين ـ ليكون دليلا في الطريق باعتباره غير مسلم من جهة، مما يبعد عنه كل الشكوك، وباعتباره خريتاً بدروب الصحراء خبيراً بمعرفة مسالكها من جهة أخرى، مما يجعل الرحلة آمنة ويسهل مهمتها.

د ـ تكليف عبد الله بن أبي بكر بمهمة نقل أخبار قريش الي الرسول {صلى الله عليه وسلم} ورفيقه، مع الحرص على اخفاء آثار أقدامه بغنم أبي بكر من طرف عامر بن فهيرة مولي أبي بكر.

هـ ـ اللجوء الى الغار والمكوث فيه لمدة لا تقل عن

ثلاث ليـال بهـدف تضليل القـوم وممارسـة الضـغط النفسي عليهم.

على أن حـديثنا عن كل هذه العناصـر التي ساهمت في انجاح الهجرة كحدث خطط له بشكل جد منظم، لا ينبغي أن ينسينا - وما يكون لنا أن ننسى - فضل العناية الربانية التي أحاطت بهذه الرحلة المباركة وتجلت في كل خطوة من خطواتها.

٤ - الصبر وقوة الإرادة :

من الطبيـعي أن يتـعرض الانسـان للابتـلاء وأن يواجه ألواناً من المصاعب في حياته، والمسلم - كغيره - معرض لذلك في سعيه الدائب لاداء رسالته ومواجهة الباطل وجهاد الاعداء في سبيل ارساء دعائم واقامة شريعته، ولعل ما يميزه عن غيره، أن ذلك يزيده قوة وصموداً واستعلاء، في حين لا يزيد الآخرين إلا ضعفاً وهواناً.. وذلك ما وضعه النبي [صلى الله عليه وسلم] في حديثه عن هذه الحالة العجيبة حين قال عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمـره كله خيـر، وليس ذلك لأحـد إلا المؤمن: إن أصـابتـه سـراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (رواه مسلم).

وعلى امـتـداد مـسـيـرة الدعـوة الاسلامية، كانت تتجلى صور رائعة تعبر عن هذه الحالة الفريدة في حياة المسلمين، وخـصـوصـاً تلك الفـئـة المستضعفة من المؤمنين الذين واجهوا الطغيان والكفر بايمان قوي وصمود مستميت وعزيمة لا تلين، حتى تحقق لهم النصـر والتـمكين.. فكانوا بذلك نماذج شامخة يعز أن تجد لها مثيلا.

ومن تلك الصور المعبرة، ما لقيه بعض المسلمين في هجرتهم، كما هو الحال بالنسبة لأم سلمة - رضي الله عنها - فبعد أن عزمت وزوجها الخروج إلى المدينة اعترض طريقها نفر من قومها - بني المغيرة - لمنعها من صحبة زوجها في رحلته، ثم ما لبث أن ظهر رهط من قوم الزوج - بني عبد الأسد - وقد عزموا على أخذ الابن «سلمة» والاحتفاظ به، مما أدى إلى نشوب عراك تجاذب خلاله الفريقان الابن الصغير حتى خلعت ذراعه ليظفر به بنو عبد الأسد في النهاية.. وهكذا يهاجر الزوج وحده، وتفقد الأم وحيدها بتلك الصورة الوحشية، لتبقى هي أسيرة أهلها تجتر الآلام وتتجرع الغصص، ولا من مؤنس لها سوى ايمانها الصادق وثقتها برحمة الله الواسعة وقوة جلدها.. وفي غمرة الأسى تمضي المسكينة قرابة عام على تلك الحالة البائسة على أن الفرج ما يلبث أن يأتي، فيعاد إليها ابنها ويسمح لها قومها باللحاق ببعلها.. فتنطلق الى شأنها وقد غمرت السعادة قلبها المفجوع، وقد زادها ذلك قوة في الايمان والصبر والصمود.

فهذه الصورة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الانسان المؤمن في سعيه لأداء رسالته لا يأبه لما يعترض سبيله إلا بالقدر الذي يعينه على تقوية ايمانه وشحذ عزيمته في سبيل الانتصار للحق واعلاء كلمته.

المسلم في هجرة ايمانية دائمة، تعرج به في آفاق الاحسان الرحيبة.

٥ - الايمان بالنصر :

إن المسلم مطالب بأن يعـيش في كنف دينه وعقيدته يدافع عنها ويزود عن حياضها ما وجد إلى ذلك سبيلا، وهو على

**** الاحتفال بالهجرة ينبغي ان يكون احتفالا بتجليات ذلك الحدث العظيم.**

**** هذه الاحتفاليات تكشف عن أزمة عميقة في مستوى الوعي بموجبات الهجرة المباركة.**

إيمان قوي ويقين ثابت أن المستقبل لدينه وأن النصر لابد آت ما دام يجاهد ويدعو وينصر {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} (محمد/٧).

وإذا كان الايمان بالنصر عنصراً أساسياً في تقوية صلة المؤمنين بدينهم وعقيدتهم، فإنه يجب أن يستمد قوته من الواقع ويبني قناعاته على أسس متينة تؤخذ فيها بعين الاعتبار شروط النصر ومقدماته.. وهذا هو الايمان الذي يصوره حادث الهجرة في كل لحظة من لحظاته التاريخية.

فحين علمت قريش بفشل المؤامرة التي حاكها كبراؤها للتخلص من النبي {صلى الله عليه وسلم}، قامت بجعل مائة ناقة لمن يأتي به عليه الصلاة والسلام، حيث رشح أحد الفرسان - سراقة بن مالك - نفسه لتلك المهمة طمعاً في تلك الجائزة المغرية.. واثناء بحثه تمكن من العثور عليه وصاحبه، فأخذ يعدو بفرسه للحاق بهما، ولكن شيئاً غريباً لم يكن يتوقعه، بدأ يحدث في تلك اللحظة، ففي كل مرة يتعثر به فرسه فيسقط بقوة، ثم ما يكاد يمتطيه حتى يتكرر الأمر، عندها أيقن أنه لابد هالك، وبدأ يخالجه شعور يفرض عليه أن محمداً مؤيد بقوة تتولاه بعناية خاصة، فلا يتمالك نفسه لينادي بأعلى صوته: يا رسول الله .. يارسول الله.. طالباً الأمان، وقد أيقن تماماً أن هذا الذي يطارد نبي مرسل سيكون له شأن عظيم..

والمهم في هذا كله أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعد أن أعطاه الأمان وعده بسواري كسرى بن هرمز ملك الفرس.. وهو وعد يحمل دلالة قوية على أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان مؤمناً بانتصار الاسلام وهو في تلك اللحظة الحرجة من تاريخ الدعوة، وكان موقناً أن المستقبل - كل المستقبل - لهذا الدين ودعوته الخاتمة.

٦ - الاعتماد على الشباب :

في تتبعنا لحدث الهجرة نلاحظ أن مجموعة من الأشخاص كان لهم دور كبير في نجاحها، وكان أغلبهم من الشباب الواعد، ومنهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن ابي بكر وعامر بن فهيرة وأسماء بنت أبي بكر.

فهذا علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - وهو أول من أسلم من الصبيان - يعرض نفسه لخطر هائل حين يقبل بشجاعة فكرة النوم في فراش النبي {صلى الله عليه وسلم} بينما القوم ينتظرون بالباب للفتك به. أما الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنهما - فمازال اسم «ذات النطاقين» شاهداً على دورها الكبير في هذا الحادث المبارك، فهي التي كانت تعد الطعام وتحمله إلى الرسول {صلى الله عليه وسلم} وأبيها وهما بالغار كل يوم إذا ما جن الليل.. وهي التي جاءها أبو جهل ليسألها بفظاظة عن مكان أبي بكر فتنكر في قوة، فيحمله إنكارها على لطمها حتى هوى قرطها من شدة اللطمة وسالت الدماء من أذنها.

إن مثل هذه الصور المجيدة تدل على صدق الجهاد وقوة العزيمة والتمسك بالحق مهما طغى الباطل، إذا أضيفت إليها صور كل أولئك الذين

ساهموا في هذه الرحلة المباركة تشكلت سلسلة من الصمود والتضحية والبطولة في سبيل العقيدة، أبطالها كوكبة من الشباب الذين آمنوا بالدعوة الجديدة وناضلوا من أجلها بكل ما أوتوا من قوة وعنفوان.. وكلها صور لها دلالات واضحة على أهمية الشباب كقوة استطاع الاسلام استثمارها والعناية بعطاءاتها بالشكل الذي تستفيد منه الأمة الاسلامية.. لأن الشباب هم قوام كل أمة ومناط عزتها وعماد قوتها وأساس كل بناء نهضوي تطمح إليه.

خاتمة :

بعد هذا العرض السريع لجملة من الدروس والعبر التي يطفح بها حادث الهجرة والتي نعتبرها قطرة من معين النبوة وذرة من نور سراجها الوهاج.. نأتي الى السؤال الذي جعلناه عنواناً لهذا المقال: ماذا تعلمنا من الهجرة؟ لنجد أنفسنا كلما حلت هذه الذكرى العطرة بكل دلالاتها العظيمة ومعانيها الخالدة، ونحن نحاول الاجابة عنه، أمام واقع كل قسماته توحي بأنه لا يتجاوب بأي شكل من الاشكال مع معطيات التجربة النبوية كما جسدتها هجرته [صلى الله عليه وسلم] من مكة إلى المدينة، إلا بالقدر الذي تعتبر فيه فرصة لاستعادة ذكريات الماضي واسترجاع أمجاده الخالدة، بصورة احتفالية صامتة لا تعبر عن ممارسة فعلية للقراءة الواعية المستوعبة للحدث في تجلياته التاريخية وما يقدمه من إيحاءات تتكامل داخلها عطاءات التجربة الاسلامية ببعديها الروحي والمادي، بحيث تشكل في النهاية محفزاً لاعطاء التاريخ فاعليته الآنية كعنصر للوعي بالواقع، يمكنه أن يساهم في تقويم النظرة إلى الذات.. فالمقارنة بين ما تقدمه الهجرة النبوية من دروس وعبر، والكيفية التي يتعامل بها المسلمون معها، تكشف عن أزمة عميقة في مستوى الوعي التاريخي، بحيث يمر الحدث بكل حمولته الروحية والمادية، مجرداً من كل معنى، ليتحول إلى «واقعة تاريخية» عابرة تقدم في شكلها السكوني الجامد.. وتقرأ بمعزل عن مضمونها الحضاري، الذي كان من الضروري أن يتعامل معه عقل المسلم ووجدانه كأساس لتكوين رؤية منفتحة على تجربة النبوة وعطاءاتها، ثم اتخاذها كمعيار للتصحيح والتقويم.

إن الواقع الاسلامي المعاصر بكل سلبياته، وما يعيشه من أزمات، وما يعرفه من نكسات، انما هو انعكاس لقصور عميق في التجاوب مع هذه التجربة وعدم القدرة على استثمار عطاءاتها بالشكل الذي يتم فيه تنزيل قيمها ومعاييرها لتتفاعل في اطار ممارسة عملية تضبط من خلالها سيرورته الاجتماعية وتحولاته الفكرية والاقتصادية والسياسية ليفصح عن اسلاميته بطريقة اكثر ايجابية.

وإذا كانت الهجرة النبوية ـ كما قلنا ـ غيضاً من فيض هذه التجربة الفريدة، فإن واقع المسلمين بكل ملابساته الراهنة ـ إذا حاولنا استنطاقه للاجابة عن السؤال السابق ـ يخبرنا بكل مرارة أننا لم نتعلم شيئاً، سواء من الهجرة كحدث خاص، أو من تاريخنا المليء بالدروس والعظات والعبر.. وتلك هي الكارثة!!

الهوامش :

(١) محمد الدسوقي «الهجرة في القرآن» سلسلة اقرأ، ع ٣٣٨ (فبراير ١٩٧١)، ص ١٢٢.

(٢) مجلة الرسالة، ع ٨٦١، ص ٣٤ (نقلا عن المصدر السابق) ص ١٣٢.

(٣) سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٢٩.

تحية العام الهجري الجديد

هي الأيام يزجيها القضاء
ويصرعها بآيته الفناء

نعيد حسابها فينا ونحصي
وما للمرء في الغيب اجتلاء

فكم ذهبت بآمال وولت
وكم في طيها كان العناء

بربك لا تقل ذا العام ولَّي
وقل ماذا يخبئه القضاء

وماذا طي أيام ستأتي
أسعد في جبينك أم شقاء

تأمل ماضي الأيام واحكم
وسل تاريخها عما تشاء

كتاب لا يضلُّ ولا يحابي
هو التاريخ شيمته الوفاء

يريك الحق مبسوطا صريحاً
ويحصي الظالمين ومَنْ أساءوا

تجد عهدا من التقوى عليه
جلال الدين جَمَّله البهاء

تجد عهد النبي وخير صحب
رجال في شريعته أضاءوا

تجافوا عن مضاجعهم ونادوا
لدين الله فامتد النداء

تجد للهجرة السمحا ضياء
ونوراً قد أمدته السماء

تجد نور الهداية ليس يخبو
به للاجئين بدا احتماء

إليه أسرعت أمم فلاقت
سلاما ما لغايته انتهاء



محمد عبدالعزيز الحلواني - مكة المكرمة

فلبــوا داعي الحق امــتـــثـــالا ... وباعـــوا كل غـــاليـــة وجـــاءوا

إذا مـــا السلم ســـاد تقى وزهد ... وعند الروع أســـد بل قـــضـــاء

فـمن لي بالزمـان يعـيـد عـهـدا ... له في نصـــرة الدين اقـــتـــداء

ومن كــــانوا لدين الله عــــونا ... وللدنيـــا عـــفـــاة أتقـــيـــاء

رجـــال قـــد بنوا للدين مـــجـــدا ... رفـــيـــعـــا لا يطاوله عـــلاء

وصـــانوا الدين من بدع تمشت ... بجـــوهـره وقـــد عـــز الدواء

فـــهم للخطب إن وجـدوا رجـال ... وهم للدين إن نهـــضـــوا وقـــاء

رجـــال ليس تلهـــيـــهم حـــيـــاة ... ولا جـــــاه لـديـهـم أو ثـراء

هم القـــوم الأولى شـــادوا ديارا ... فـــقـــر الصـــرح وارتفع البناء

إذا رددت ذكـــــراهم فـــــإني ... أردد عـــزمـة فـــيـــهـــا المضـــاء

أتى من بعــدهم خلف أضــاعــوا ... أصـول الشـرع في الدنيا وسـاءوا

أبوا للدين أن يعلو مـــقـــامـــا ... وهامـــوا بالذي فـــيـــه البـــلاء

وقـــد مـــلأ القلوبَ الغلُّ حـــتى ... فـــقـــدنا الحق وانقطع الولاء

تركنا النشء حـــرا لا يبـــالي ... وليس له إلى الدين انتـــمـــاء

وكـــيـف يعـــز في الدنيـــا شـــقي ... جـــفـــاه الدين فـــازداد العناء

كـــذلك من يعـــيش بغـــيـــر دين ... تبـــدد شـــمله وذوى الحـــيـــاء

٦٧ حـــــواء (عليها السلام)

فيما سبق - في القصص النبوي عن آدم - عليه السلام - ذكرت حواء جنبا إلى جنب معه، ولكن هنا نريد أن نذكر ونؤكد على بعض الجوانب التي تحتاج إلى توضيح بذكر الآثار التي جاءت عن السلف من المحدثين والمفسرين وغيرهم في رحاب القرآن الكريم وقصص السنة المطهرة.

فحواء خلقت من ضلع آدم الذي خلقه الله وسواه ونفخ فيه من روحه، ويجدر بالذكر أن في خلقهما أعظم آيات الله، حيث خلق آدم - من غير أب ولا أم، وخلقت حواء من أب دون أم، ثم خلق عيسى - عليه السلام - من أم دون أب. وقال تعالى: {ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم. إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين}[١].

وأشرنا إلى ذلك لأنه من الأمور المهمة في العقيدة الإسلامية، وبما يتصل بالبعث وأمر الآخرة والآيات في ذلك كثيرة: (فانظروا كيف بدأ الخلق)[٢] وقوله تعالى: {كما بدأنا أول خلق نعيده}[٣].

وقد قص علينا القصص النبوي خلق حواء من ضلع آدم في أحاديث صحيحه، روى البخاري[٤]، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} (استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء) وفي رواية (.. واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا).

وجاء في الطبقات الكبرى[٥] عن مجاهد قوله: (وخلق منها زوجها) قال: خلق حواء من قُصيرى آدم {صلى الله عليه وسلم} والقصيرى الضلع الأقصر، وهو نائم فاستيقظ فقال: أثَّا! امرأة بالنبطية.

ونقل الطبري[٦] عن ابن اسحق قال: ألقى على آدم {صلى الله عليه وسلم} - السِّنَةَ - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن العباس وغيره، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه، من شقه الأيسر ولأم مكانه، وآدم نائم لم يهب من نومته، حتى خلق الله - تبارك وتعالى - من ضلعه تلك زوجته حواء، فسواها امرأة ليسكن إليها، فلما كشف عنه السِّنة وهب من نومته، رآها إلى جنبه، فقال: - فيما يزعمون والله أعلم - لحمي ودمي وزجتي فسكن إليها.

قال ابن كثير:[٧] ويقال إن خلق حواء كان بعد دخول الجنة، كما قال السُّديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة، وعن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي وحشا ليس له زوج يسكن إليه، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي، قالت الملائكة - ينظرون ما بلغ علمه - ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: إنها خلقت من شيء حي.

وقال ابن كثير في قوله تعالى: (وخلق منها زوجها) وهي حواء - عليها السلام - خلقت من ضلعه الأيسر، من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه. وعن قتادة عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل، فجعل نهمتها في الرجل، وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض، فاحبسوا نساءكم.

وقال القرطبي: روى أن الملائكة سألته لتجرب علمه قالوا: أتحبها يا آدم؟ قال: نعم، قالوا لحواء: أتحبينه ياحواء؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه، قالوا: فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء. وقال الشاعر:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها
ألا إن تقويم الضلوع انكسارها



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة - مصـــر

أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى
أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

وقد تقدم - في الحديث عن آدم - في القصة المروية عن أنس - رضى الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} وفيها: (هبط آدم وحواء عريانين جميعا.. وكان آدم لم يجامع امرأته في الجنة، حتى هبط منها للخطيئة، التي أصابها بأكله الشجرة، وكان كل واحد منهما ينام على حدة، ينام أحدهما في البطحاء، والآخر من ناحية أخرى، حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتي أهله، وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاها جاءه فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة) قال الشوكاني:[٨] وأخرج ابن عدى، وابن عساكر، عن النخعى قال: لما خلق الله آدم خلق له زوجة، بعث إليه ملكا وأمره بالجماع ففعل.

ونقل القرطبى في تفسير قوله - تعالى - {وجعل بينكم مودة ورحمة} قال ابن عباس ومجاهد: المودة الجماع، والرحمة الولد، وقاله الحسن[٩].

قال الشوكاني: ثم ابتدأ سبحانه بحالة أخرى كانت بينهما في الدنيا، بعد هبوطهما، فقال: (فلما تَغَشَّاها) والتغشي كناية عن الوقاع: أى فلما جامعها (حملت حملا خفيفا) علقت به بعد الجماع[١٠].

وقد سبق الحديث عن ذلك في ذرية آدم على الأرض مع شيء من التفصيل.

وكانت حواء تعاني من الحيض والحمل والولادة؛ لأن حواء هى التي زينت لآدم الأكل من الشجرة أخرج[١١] ابن منيع، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والحاكم، وصححه البيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: قال الله لآدم: ما حملك على أن أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: يارب زينته لي حواء، قال: فإني عاقبتها بأن لا تحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها، وأدميتها في كل شهر مرة.. وغير ذلك مما تقدم ذكره في عداوة إبليس.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة، ونزع العرق، فلا تكاد تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش، حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة، وحسنت لآدم عد ذلك خيانة له وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها.

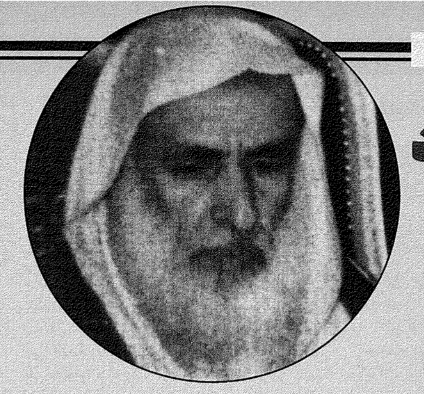
وقال النبي {صلى الله عليه وسلم} لعائشة حين حاضت في الحج فبكت: (.. فلا يضيرك، إنما أنت امرأة من بنات آدم، كتب الله عليك ما كتب عليهن)[١٢].

وكانت حواء تحمل في كل بطن ذكرا وأنثى. وأنها ولدت أربعين ولدا في عشرين بطنا، وقيل مائة وعشرين بطنا، وكل واحد ذكر وأنثى، أولهم قابيل وأخته قليما، وآخرهم عبد المغيث وأخته أمة المغيث[١٣]. وقال الشوكاني: إن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى إلا شيثا - عليه السلام - فإنها ولدته منفردا[١٤].

وقد تقدم أن حواء ماتت بعد آدم بسنة واحدة. ولم نقف على أقوال العلماء في تحديد عمر حواء، فهي خلقت من ضلعه وهو في الجنة، ولا ندرى كم مر عليه من العمر قبل خلقها، والله أعلم.

الهوامش :

(١) سورة آل عمران آية ٥٨ - ٦٠.
(٢) سورة العنكبوت آية ٢٠.
(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٤.
(٤) فتح الباري جـ ٦ ص ٣٦٣ وجـ ٩ ص ٢٥٣.
(٥) ابن سعد جـ ١ ص ٣٩.
(٦) تفسير الطبري جـ ٣ ص ٥٦٦.
(٧) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٠٨، ص ٥٨٥.
(٨) فتح القدير جـ ١ ص ٩١.
(٩) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٤ ص ١٣.
(١٠) فتح القدير جـ ٢ ص ٣٤١.
(١١) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٢
(١٢) فتح الباري جـ ٣ ص ٤١٩.
(١٣) ابن كثير: قصص الأنبياء ص ٥٢.
(١٤) فتح القدير جـ ٢ ص ٣٩.



الشيخ محمد بن صالح العثيمين

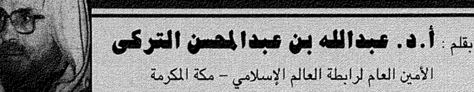
بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، وعلي آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد قال الله تعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا}، وأدعوه تعالى أن يجعل فقيدنا العلامة الجليل الشيخ محمد بن صالح العثيمين من هؤلاء المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فقد كانت حياته رحمه الله وغفر لنا وله زاخرة بالعلم والتعليم والدعوة إلى الله من خلال التدريس في المساجد والجامعات والمعاهد والمؤسسات التي شهدت دروسه الكثيرة ومحاضراته القيمة، ومن خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكان رحمه الله متصفاً بأخلاق العلماء في التواضع وتجنب التعصب والحرص على الوقوف على الحق واتباعه ومتابعة من سلف من علماء الأمة وفقهائها ودعاتها، ونحن لا نزكي على الله أحدا بل الله يزكي من يشاء، فالشيخ رحمه الله اجتهد في التعلم والتعليم ، والتفقه والتفقيه، وقد أخبرنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] أنه «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

ولا شك في أن التحصيل العلمي الذي وفقه الله إليه كان له أثر كبير في حياته يحفزه إلى ذلك ترغيب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] في قوله: «من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة».

لقد انتفع الشيخ رحمه الله أيما انتفاع بما يسره الله له من نهل للعلم وفهم لمقاصد الشريعة الإسلامية حتى صار علماً من علمائها يدرس ويحاضر في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه وفروع الثقافة الاسلامية، وقد فتح الله سبحانه وتعالى عليه لما بذله من جهد في التعلم وجهاد في التعليم، ونحسب أن ذلك يجعله من العلماء العاملين المجاهدين المهديين الذين قال الله فيهم: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين».

وفي سيرته العلمية رحمه الله مثال فذ وشاهد كبير على أهمية طلب العلم والجد في تحصيله حيث كان في ذلك نفع له أولا في تقواه وفي ورعه وفي خلقه، ومن ثم نفع لغيره من طلبة العلم الذين تتلمذوا عليه وأخذوا عنه في علوم الشريعة وغيرهم من عامة الناس الذين كانوا يتحلقون في حلق العلم التي كان رحمه الله يقيمها في المساجد وفي الجامعات والمعاهد والمدارس والمؤسسات الإسلامية والهيئات الدعوية، وقد استفاد الناس داخل المملكة وخارجها من علمه الغزير حيث كانوا يستمعون طيلة عقود من الزمن لفتاويه وإرشاده وتوجيهه في المذياع ويقرأونها كذلك في الصحف والمجلات والنشرات الدعوية ثم في كتبه ورسائله القيمة التي كانت من الثمار الطيبة لعلمه ودأبه وجده في المبادرة للقيام بما كلف الله به العلماء من دعوة الناس وتفقيههم وحثهم على تطبيق الإسلام في حياتهم.



بقلم : **أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي**

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة

لقد كان رحمه الله باراً بإخوانه المسلمين، يبذل كل ما في وسعه لتعليمهم وتفقيههم والإحسان إليهم، طاعة لله في تفقيه الناس وأداء لأمانة العلم «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وكان للجهود التي بذلها رحمه الله في الدعوة الى الله ونشر العلم الشرعي الصحيح بين المسلمين إسهام كبير في توجيه الناس إلى عبادة الله على الوجه النقي والحال الصحيحة بعيداً عن أشكال البدع والضلالات، أو الإفراط والتفريط، حيث كان رحمه الله تعالى يحذر من الجنوح الى أحدهما، وله العديد من المواقف التي انبثقت عن فهم صحيح للإسلام ووسطيته ومنهاجه العادل، وعن فهم سليم لمهمة العالم الداعية، وهذا الفهم لمقاصد الدعوة جعل منه العالم الذي يحرص الناس على الاستفادة من علمه، فكان كبيرا في عيونهم، رفيع القدر عندهم {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}.

لم يكن فضيلة الشيخ بالواعظ المرتجل بقدر ما كان رحمه الله عالماً وداعية ذا منهاج واع استوعب احتياجات المسلمين، وحدد الموضوعات التي تحتاج الى معالجة بحسب أولوياتها معتبراً أن نشر عقيدة أهل السنة والجماعة في مقدمة مهام الداعية في هذا العصر لأهميتها في حياة المسلم وآخرته، كما أشار رحمه الله في مقدمة كتاب (عقيدة أهل السنة والجماعة) ولا شك أن مجموع الجهود التي بذلها في مجال العقيدة كانت ترتكز على ضوابط الكتاب والسنة وما حدده علماء السلف في ذلك ملاحظاً خلال جهوده السعي لإصلاح ما فسد من عقائد عملت على نشرها وإشاعتها بين الناس اتجاهات غير صحيحة انحرفت عن الوجه الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة وهادفاً إلى ربط المسلمين بمنهاج الأسوة الحسنة نبينا محمد [صلى الله عليه وسلم] وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة معتبراً أن ذلك هو طريق صلاح العباد واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم، وهو الطريق الذي ترك النبي [صلى الله عليه وسلم] عليه أمته.. المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما في حياة الخلق فقد حرص رحمه الله على صحة البناء الاجتماعي للمسلمين وكان يعتبر ذلك من أولويات عمل الداعية ومتابعته، ولعله رحمه الله تعالى وجد في قضايا الحقوق وتعليمها للناس والتأكيد عليها في المحاضرات والدروس والكتب والمواعظ خير وسيلة لصيانة البنيان الاجتماعي في البيئة الإسلامية وفي حياة المسلمين ملاحظاً كذلك أن الحديث عن الحقوق يفرض الحديث عن الواجبات لما بين الحق والواجب من اقتران في الشريعة الإسلامية، ويتضح اهتمامه في هذا الجانب الأساسي من حياة المسلمين في كتابه (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة) الذي بدأه ببيان حقوق الله ورسوله على المسلم ومن ثم أبان رحمه الله الحقوق الأخرى التي تصون البنيان الاجتماعي للمسلمين مثل حق الوالدين وحق الأولاد وحقوق الأقارب وحق الزوجين وحق الجيران وحقوق المسلمين بعامة ثم حقوق غير المسلمين.

لقد انتهج الشيخ ابن عثيمين رحمه الله منهاج علماء السلف في اعماله العلمية ونهجه الدعوي وطرق التربية والتعليم الأخلاقي، ومن عرفه عن كثب عرف في منهاجه ما كان عليه سلف الأمة، ولعل أبرز الملامح في منهاجه رحمه الله:

- حرصه الشديد على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علماً وعملا ودعوة وسلوكاً وذلك مقترن بالتنفير والتحذير مما يخالف ذلك.
- الحرص على صحة الدليل وصواب التعليل ووضوحه ومناسبته.
- الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي ضماناً لسلامة أعمال الدعوة وما يضعه الدعاة بين أيدي الناس من كتب ومذكرات وغيرها.
- العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعد الدين لأن ذلك مناط الحكم الإسلامي الذي أمر به الله سبحانه وتعالى.
- الاعتدال والتوسط في المنهاج والسلوك والفهم والتقيد في ذلك بما كان عليه السلف الصالح.

- الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج.
- التيسير الذي يبعد الداعية عن التعقيد أو التنفير.
- البعد عن التعصب والتقليد الأعمى والحرص على التوفيق بين النص والمصلحة.

إن المسلمين الذين ودعوا فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين وودعوا قبله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وغيرهما من العلماء والفقهاء مشفقون من هذه الخسارات العظيمة التي تحل بالمسلمين بفقد علمائهم وهم يخشون بذلك انتزاع العلم، أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: «إن الله لا ينزع العلم من الناس بعد أن يعلمهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم».

وأمام هذا لابد للمسلم أن يحرص على الاستفادة من آثار العلماء التي تتمثل فيما تركوه للناس من كتب ورسائل ومواعظ وإرشادات، وأذكر لفقيدنا - رحمه الله - وصايا عديدة لطلاب العلم ولسائر الناس، منها:

١ - الحرص على متابعة تلاوة المسلم للقرآن الكريم وتدبر معانيه والتخلق بأخلاقه والتأسي بسيرة الرسول {صلى الله عليه وسلم} والتأمل فيما زخرت به الأحاديث الصحيحة من توجيه وحكمة وخلق كريم والتقيد بذلك.

٢ - بذل كل ما في وسع المسلم للعمل على نشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وتصحيح العقائد الخاطئة لدى بعض المسلمين.

٣ - طاعة ولاة الأمور والحرص على تأليف القلوب بين الناس مع قيام العلماء بواجب التأليف المطلوب بين الراعي والرعية.

وقد حرص رحمه الله على بيان العلاقة بين الولاة والرعية موضحاً أن الولاة هم الذين يتولون أمور المسلمين سواءاً كانت الولاية عامة أم خاصة.

وكان رحمه الله يعلم طلابه الحقوق المتبادلة بين الرعية وراعيها معتبراً أن حقوق الرعية على الولاة أن يقوموا بالأمانة التي حملهم الله إياها وألزمهم القيام بها من النصح للرعية والسير بها على النهج القويم الكفيل بمصالح الدنيا والآخرة وذلك باتباع سبيل المؤمنين وهي الطريق التي كان عليها رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فإن فيها السعادة لهم ولرعيتهم ومن تحت أيديهم وهي أبلغ شيء يكون به رضا الرعية عن رعاتهم والارتباط بينهم وطاعتهم في أوامرهم وحفظ الأمانة فيما يولونه إياهم، مؤكدا على أن من اتقى الله سلم من الناس ومن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس وأرضاهم عنه لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء.

وأما حقوق الولاة على الرعية فكان يحرص على تعليمها الناس وهي النصح لهم فيما يتولاه الإنسان من أمورهم وتذكيرهم إذا غفلوا والدعاء لهم إذا مالوا عن الحق وامتثال أمرهم في غير معصية الله لأن في ذلك قوام الأمر وانتظامه وفي مخالفتهم وعصيانهم انتشار الفوضى وفساد الأمور ولذلك أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وأولى الأمر فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم}.

وكان رحمه الله وجزاه خيرا يردد علي مجالسيه قول النبي {صلى الله عليه وسلم} «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وكذلك ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا مع النبي {صلى الله عليه وسلم} في سفر فنزلنا فنادى منادى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال إنه ما من نبي بعثه الله إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتن يرقق بعضها بعضها تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

ومما كان يسجله رحمه الله في العديد من كتبه أن رجلا سأل النبي {صلى الله عليه وسلم} فقال: يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا فأعرض عنه ثم سأله مرة ثانية فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم.

وبين رحمه الله في كتابه (حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة) أن حقوق الولاة على الرعية مساعدة الرعية لولاتهم في مهماتهم بحيث يكونون عونا لهم على تنفيذ الأمر الموكول إليهم وأن يعرف كل واحد مسؤوليته في المجتمع حتى تسير الأمور على الوجه المطلوب، فإن الولاة إذا لم تساعدهم الرعية على مسؤولياتهم لم تأت على الوجه المطلوب.

وله رحمه الله موازنات في مجال الحكم بين حكم الشريعة الإسلامية الذي يوفر الاستقرار الاجتماعي والسياسي في المجتمع المسلم كما هي الحال في المملكة العربية السعودية، وبين التعدديات السياسية الحزبية، يقول رحمه الله في خلاصة له بذلك: «الواجب على الحكومة في أي بلد من البلدان الإسلامية الرجوع إلى الكتاب والسنة وتوحيد الأحزاب السياسية على حزب واحد وهو حزب الله المنفذ لشريعة الله، وهذا الحزب لن يضر بالأمة الاسلامية مثل ما يحصل من التعدد الحزبي، وقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم إلى أن التعدد الحزبي يورث التنازع والاختلاف، والتنازع هو سبب الفشل، قال سبحانه: {ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم} وقال أيضا: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم}.

لقد كانت حياته رحمه الله حياة جد وكفاح، وعمل دؤوب، لمصلحة الإسلام والمسلمين، تعليما، ووعظا، ونصحا، وتأليفا.

لقد كان أول لقاء لي بفضيلته في عام ١٣٨٢هـ حينما كنت مدرسا في المعهد العلمي بالمجمعة، وكان مدرسا في معهد عنيزة العلمي، وكنت مع رحلة طلابية من معهد المجمعة إلى منطقة القصيم، وفي أثناء زيارتنا للمعهد، كان رحمه الله مبرزا في نصحه وتوجيهه ذا أثر متميز على منسوبي المعهد وطلابه، وازدادت العلاقة به من خلال عملنا جميعا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم بعد انتقالي للعمل في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، حيث الميدان واحد، والمهام واحدة، وأذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر، أحدهما: أنه بعد صدور نظام الجامعة، أجرت الجامعة تصنيفا لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب الكادر الجامعي وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم ابحاث ودراسات في مجال الاختصاص، فلم يتقدم بأي بحث، وحينما فوتح برر ذلك بأن العالم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله وما يأتي تبعا لذلك فلا بأس به.

والأمر الثاني: مفاجأته لي وأنا مدير للجامعة بتقديم ظرف بداخله مبلغ من المال، فسألته عن قصته، فذكر أنه صرف له مقابل محاضرات ألقاها في كلية الشريعة وأصول الدين في القصيم وكان رحمه الله وقتها على ملاك معهد عنيزة العلمي مفرغا لإعداد كتب دراسية للمعهد العلمي وأن وقت هذه المحاضرات اقتطعه من الوقت المخصص لتأليف المقررات الدراسية للمعاهد العلمية، وبذلك لا أستحق ما صرف لي.

ولا شك أن الموقفين نادران في هذا الوقت.. وتعفف طالب العلم عما فيه شبه، واعتداله في طلب الدنيا صفات محمودة تقربه للناس، وترغب الناس فيه. ويندر رحمه الله أن ألتقي به إلا وتكون المناصحة والمحادثة في الشأن العام الذي ينفع المسلمين، ويعالج شؤونهم، حتى في زيارتي له في أيامه الأخيرة.

إن البيئة التي نشأ فيها فضيلته، وهذه الدولة المباركة التي تقدر العلماء وأهل العلم وتضع يدها في أيديهم، مؤهلة بحول الله وقوته لإنجاب العلماء العاملين من أمثال الشيخ ابن عثيمين، ولا يزال الناس بخير، فقد قال {صلى الله عليه وسلم} «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» وروي عنه {صلى الله عليه وسلم} انه قال: «يرث هذا العلم من كل خلف عُدُوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

رحم الله فقيد المسلمين رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.. وجزاه بما عمل خيرا وجعل ثواب أعماله في ميزانه، فقد انتقل رحمه الله إلى الدار الآخرة كما انتقل من سبقه «إنك ميت وإنهم ميتون» وسوف يلتحق الناس كلهم بتلك الدار «كل نفس ذائقة الموت» ولا نقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى.. اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرا منها.. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنّا بعده واغفر لنا وله وإنا لله وإنا إليه راجعون.



«الاجتهاد» .. من الموضوعات التي كثر فيها الجدل بين سالب وموجب..

وحتى الذين يقولون بضرورة الاجتهاد لايجاد فقه ديني يجيب عن كثير من اسئلة العصر المتلاحقة، نجدهم يختلفون في تفاصيل هذا النوع الجديد من الاجتهاد، وفق المقتضيات الحديثة، ويختلفون أيضاً ـ فيما بينهم ـ في الفتوى ذاتها، ما بين حلٍ وحرمة، اباحة وكراهة.. مما يؤثر سلباً على المتلقى المنتظر لاجابة فقهية تزيل ما ألمَّ به من شكوك واضطراب..

هذا الموضوع الذي يطرحه الاستاذ (إلياس بلكا) في هذه الصفحات يمثل باباً للحوار تفتحه المنهل في هذا الموضوع الهام..

ويسعد المنهل ان تتلقى آراء العلماء والمختصين، والمشتغلين بهذا الجانب.

ـ المنهل ـ

مرت على المسلمين ـ في تاريخهم الطويل ـ أزمات كثيرة، وبعضها ترك في الأمة جروحا غائرة وآثارا عميقة، لقد ابتليت الأمة بالتفرق المذهبي مذ ظهرت القدرية والجبرية والشيعة والخوارج ونحوهم.. وعانت من الكيد الداخلي الذي حمل لواءه حركات الشعوبية والباطنية.. وانشطرت وحدتها السياسية والعسكرية منذ انتهاء الطور العباسي الأول.. وتعرضت لحملات صليبية متواترة، وكانت أراضيها مسرحا لواحدة من أعتى الاجتياحات العسكرية وأكثرها بربرية وتدميرا في التاريخ: عاصفة التتار التي حولت عالم الإسلام إلى خراب موحش[١].

ومع كل هذه النكبات فقد ظل جسم الأمة سليما معافي في أغلب الأحيان واستمر الإسلام يسكن روح هذه الأمة ويحكم حياتها.. كان أكثر الأمة متمسكا بما كان عليه النبي [صلى الله عليه وسلم] وأصحابه، واندثرت أكثر الفرق المخالفة وإن بقيت مقالاتها محفوظة في كتب الملل والنحل[٢].. وتراجعت تيارات الباطنية وضعفت.. واستطاع سلاطين آل عثمان أن يخضعوا العالم الإسلامي لسلطانهم السياسي والعسكري، وأن يجددوا به فريضة الجهاد ويفتحوا به بلادا جديدة ـ هي شرق أوربا ووسطها ـ فتنساب جيوشهم حتى تحاصر فيينا مرتين وتصل إلى حدود إيطاليا.. وهؤلاء المغول الذين دخلوا بلاد المسلمين للقتل والتخريب سرعان ما تحولوا إلى هذا الدين واعتنقوه وأسسوا باسمه أهم دولة إسلامية بقارة الهند، وهي: الامبراطورية المغولية، وكان هذا التحول التتري استثناء نادرا للقاعدة الخلدونية: المغلوب مولع باتباع الغالب.

المنعطف الكبير: اتصال العالم الإسلامي بأوربا:

كل ذلك قد حدث، كانت الأمة أكبر من أعدائها، وأعلى من خصومها.. واستمرت حضارتها رائدة.



بقلم : **إلياس بلكا** – المغـــرب

لكن التطور الضخم حدث حين دخلت الأمة مرحلة الانحطاط في الفترة نفسها التي بدأت فيها أوربا نهضتها الشاملة.

لقد طور العالم الأوروبي المنهج التجريبي - في العلوم - الذي أخذه عن المسلمين[٣]، وبدأ في حصد الثمار.. وكانت الاستكشافات الجغرافية الكبرى، والكشوفات العلمية والتقنية.. وتزامن ذلك مع أفول عصر الفيودالية وانتهاء سلطة الكنيسة إثر ما يعرف بالحروب الدينية.

ولما استطاعت أوربا ترتيب بيتها من الداخل، بدأت تتوجه نحو الخارج لبسط هيمنتها واستعادة مجدها الروماني القديم.. وكان المسلمون هم ضحيتها الأولى والأهم. إن العالم الإسلامي - كما يقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك - هو أقرب المناطق الجغرافية الى أوربا وأشدها تناقضا معه[٤].

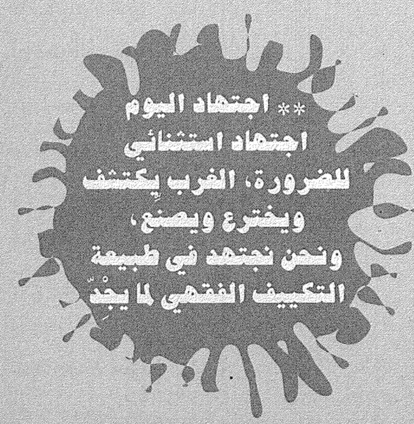
وكلنا نعرف ما حدث بعد ذلك: الحروب والحملات العسكرية، والإطاحة بالخلافة العثمانية، وتجزئة العالم الإسلامي، ثم إخضاعه بالاستعمار المباشر، الذي كان استيطانيا في كثير منه.. والحقيقة أن التطور الهام الذي وقع لم يكن هو الاستعمار العسكري، بل كان شيئا آخر: لقد أصبحت الأمة - لأول مرة في تاريخها - مولعة بتقليد الغالب، وكان هذا الحدث أخطر من كل النكبات التي عرفتها الأمة والتي أشرت إلي بعضها.

كان الغالب مختلفا عنا كثيرا، فهو من دين غير ديننا، ولغته غير لغتنا، وحضارته غير حضارتنا، وتاريخه غير تاريخنا، وتصوره للخالق والكون والإنسان غير تصورنا.. كان مختلفا جدا، ولذا كان الأثر الذي تركه فينا سلبيا جدا، وتقوى هذا الأثر بمرور الزمن.

بهذا الاتصال مع أوربا تغيرت كثير من عاداتنا وأساليب حياتنا: لساننا، لباسنا، مدننا، مآكلنا، عاداتنا، تنظيماتنا الإدارية، شؤوننا الاقتصادية، علاقاتنا الاجتماعية، تقنياتنا في الفلاحة والصناعة.. وغير ذلك كثير.

نفوذ التغريب في الأمة:

لكن الأهم من ذلك أن تصورنا للحياة تغير بدوره: لم نعد نفهم الإسلام على أنه دين شامل يعلو على حدود الزمان والمكان، ولم نعد نعرف وظيفتنا في الوجود وواجبنا نحو خالقه، فاهتزت عقائدنا



**** ما من صناعة إلا وتحمل بين طياتها فكر أهلها وتوجهاتهم**

**** تغريب العالم خلق غربي أصيل ضارب بجذوره في أعماقهم**

**** ما بين مؤيد ورافض.. وموفِّق، اختلف علماؤنا تجاه الوافد من الغرب**

واضطربت حقيقتها في نفوسنا وبذلك لم نعد نحمل من الدين إلا رسمه، ولم يبق شيء يربطنا بحضارتنا الأصلية سوى خيوط هي أوهي من خيوط العنكبوت.

ولقد اصطلح على تسمية هذا الأثر الذي تركه الغرب فينا بـ: التغريب.

لقد مارس الغرب هذا الأسلوب (التغريب) على أمم غير أمتنا، فهو بمجرد أن يتصل بحضارة مخالفة له حتى يبدأ في تحطيم البنى التقليدية التي عليها تتأسس حياة الأمة، ولا يهمه أن تكون بعض هذه البنى صالحة للحياة لأنها أوفق لأهلها وأنسب، كما لا يهمه أن يفرق بين البنيات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. كل ذلك ينبغي أن يهدم ويؤتى عليه من القواعد، بل قد يطمس آثاره حتى لا يسجله التاريخ ولا يذكره، **إن «تغريب العالم» خلق غربي أصيل** يضرب بجذوره في أعماق الكينونة الغربية[٥].

وكان أمضى سلاح استعمله الغرب لبسط نفوذه وتحقيق أهدافه هو سلاح العلم والتكنولوجيا، لقد استفاد الغرب هذا العلم من الحضارة الإسلامية التي كان فيها مزدهرا، ولكنه لم يتطور هذا التطور الضخم إلا في رحم الحضارة الغربية من دون الحضارات الإنسانية الأخرى، لأسباب لا تزال للأسف مجهولة[٦].

كيف تعاملت الأمة مع ما وفد إليها من الغرب؟

لقد نجحت حركة التغريب لأنها كانت تمزج بين مخترعات العلم وما أحدثه من الأدوات والأساليب الجديدة في الحياة وبين منظومة القيم الأخلاقية الخاصة بأوربا.. فتقدم كل ذلك في إطار واحد مختلطا لا ينفصل بعضه عن بعض.

لقد حمل نابوليون ـ لما جاء الى مصر ـ **آلات الطباعة إلى جانب فلسفة الأنوار.** فلما تلقت الأمة هذا الخليط اضطرب رأيها وحار حكامها وعلماؤها، فلم يدروا كيف التصرف إزاء هذه الأشياء الوافدة والأفكار الوافدة، **فقوم لاحظوا** أن هذا الخليط ثمرة للعلم والمعرفة، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، فتقبلوا ما وفد إليهم ورضوه، **وقوم لاحظوا** أن في هذا الخليط تبدو روح القيم التي كانت وراء صنعه، وما دامت هذه القيم الغربية ـ ترجع أصولها إلى اليونان والرومان، وإلى المسيحية واليهودية ـ فلا يمكن إلا أن نرفضها، وبهذا حرموا ما أتى من الغرب[٧].

وبدا لآخرين أن كلا الموقفين على خطأ، وقالوا ينبغي أن نفرق بين الأشياء الوافدة والأفكار الوافدة، فنحن نقبل المنتجات المادية والأساليب الجديدة التي أحدثها العلم، والعلم لا وطن له، ونرد المبادىء والفلسفات التي تصدر عن غير قيمنا.

وكان لهذا الرأي وجاهة يسرت قبوله، **فسار المسلمون على طريقة التوفيق** هذه زمانا، لكن أحوالهم لم تتحسن ولم يتحقق من آمالهم شيء. لقد ظل الغرب أستاذا للعالم بلا نزاع، ولم نستطع أن ننشىء حضارة خاصة بنا ومنسجمة مع قيمنا. على العكس من ذلك تقوت **حركة التغريب** وتوسعت ومدت سلطانها إلى كل مجالات حياتنا وإلى كل طبقات أمتنا. ولهذا لا عجب

إذا علمنا أن تبعيتنا للغرب - في أكثر الميادين - هي اليوم أقوى مما كانت عليه قبل قرن، بل هي أقوى مما كانت عليه قبل أربعين سنة، وستظل كذلك في المستقبل القريب والمتوسط[٨].

في مسألة إغلاق باب الاجتهاد:

أين الخلل إذن؟ :

يحلو لكثير من المثقفين والباحثين أن يؤكدوا على أن من أهم أسباب الخلل ما وقع في التاريخ الإسلامي من **إغلاق باب الاجتهاد**[٩]، وقالوا لقد أدى ذلك إلى تجميد الحياة الإسلامية والفكر الإسلامي، وإلى حرمان الفقه الإسلامي من قدرته السابقة على التفاعل الإيجابي مع تطورات الحياة وعلى مسايرتها بالتسديد والتقويم.. وقالوا أيضا: إن من أهم شروط تحقيق نهضة أمتنا **فتح باب الاجتهاد** من جديد ورفع الحظر الذي أوقعته عليه قرون الضعف والانحطاط، وقالوا: ينبغي أن نجتهد لمشكلات هذا العصر، ونستنبط لها أحكامها الفقهية، ليتبين أن الإسلام قادر على قيادة الحياة الحديثة، وليتبين أيضا أن الفقه الإسلامي يمكن أن يحل مشاكل الأمة ويواجهها.

وقد تداعي الناس إلى هذه الفكرة وتقبلوها، **وظهر فقهاء متحررون** من قيود الفقه المتأخر ومسالكه، واجتهدوا وأفتوا وبحثوا عن المشكلات المعاصرة وحلولها.. وكان جهدا مشكورا.

والحقيقة أنه لم يعد أحد يعترض على فتح باب الاجتهاد، فالاجتهاد واجب شرعي، لأنه تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور، كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، ولابد أن يقدم الدين كلمته في كل ما ينزل بالناس من الحوادث وفي كل ما يستجد من القضايا.. هذا واضح لا إشكال فيه.. من حيث المبدأ، لكن يجوز للدارس أن يلاحظ أمورا حول الاجتهاد المعاصر، وهذه بعضها:

استمرار بعض صور الاجتهاد:

إن باب الاجتهاد - في تاريخنا - لم يغلق كله وبكل صوره، إذ من المعلوم **أن الاجتهاد مراتب ودرجات أعلاه مرتبة المجتهد المستقل**، أي الذي استقل بأصول وقواعد وأساليب في الاستنباط جديدة لم يسبق إليها.. وهذا فقد منذ زمن طويل كما نص عليه العلماء.. لأن الأصول والقواعد تقررت وانتهت ومن المتعذر إحداث جديد فيها، فالنص العام مثلا إما أن يدل على أفراده دلالة قطعية، وإما أن يدل دلالة ظنية.. ولا يمكن لأحد أن يرى رأيا جديدا بحكم القسمة المنطقية كما ترى.. فلو قلت بالمذهب الأول كنت موافقا لقول الجمهور، ولو قلت بالمذهب الثاني كنت موافقا لرأي الأحناف.. فيتعذر الاستقلال بأصول جديدة وقواعد جديدة[١٠]..

وثاني المراتب: **درجة المجتهد المطلق**، وهو الذي استوفى شروط الاجتهاد، فيجتهد في الأصول وفي الفروع، ولا يلتزم بمذهب معين.. وهذا الذي ضن به المتأخرون على كثير من العلماء ممن تحققت فيهم - فعلا - شروط الاجتهاد، كالعز بن عبد السلام والمازري والسبكي والشاطبي وابن تيمية وابن دقيق العيد والكمال بن الهمام والسيوطي وأضرابهم.. والمجتهد المطلق إذا اختار طريقة إمام معين في الاستنباط واقتنع بها كان **مجتهدا منتسبا**، وهذا حال ابن القاسم[١١] والمزني وبعض تلامذة أبي حنيفة.

وثالث المراتب: **مجتهد التخريج**، وهو الذي يفتي في النوازل الجديدة التي لم يسبق لإمامه أن قال فيها قولا، وهو حين يجتهد فإنما يخرج قول إمامه بناء على أصوله وقواعده.

ورابع المراتب: **مجتهد الترجيح**، الذي يرجح بين الأقوال المتعارضة التي حفظها عن الإمام وكبار شيوخ المذهب، وليس بعد هذه المراتب اجتهاد، إنما هو تقليد عن علم وتبصر كحال كثير من أهل العلم، أو هو تقليد صرف كحال العوام[١٢].

إن الذي تم إغلاقه فعلا إنما هو باب الاجتهاد المطلق، وهو الذي ادعاه - عن حق - السيوطي رحمه الله تعالى ونوزع فيه وكتب في ذلك رسالته «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض»[١٣].

أما مرتبتا اجتهاد التخريج واجتهاد الترجيح، فهما لم تمتنعا، وإن كان في الناس من ذهب إلى ذلك.. ولهذا استمر الفقهاء - عبر تاريخنا - في

ممارسة هذين الاجتهادين، وهو أمر واضح في كتبهم وفتاويهم.. فالشيخ خليل لما صنف مختصره في الفقه المالكي اعتمد على أربعة من أبرز علماء التخريج والترجيح في المذهب: اللخمي، وابن يونس، وابن رشد، والمازري.. ومتأخرو الأحناف خالفوا كثيرا من آراء شيوخ المذهب المتقدمين وعللوا ذلك بأنه **اختلاف عصر وزمان لا اختلاف حجة وبرهان.**

ثم إن الاجتهاد ينقسم أيضا الى قسمين: الاجتهاد الكلي والاجتهاد الجزئي..

فأما الأول: فهو اجتهاد العالم القادر على الإفتاء في كل قضية تعرض عليه، وهو حال العلماء المبرزين الذين أحاطوا بمعظم النصوص ولانت لهم طرق الاستنباط كابن دقيق العيد والسبكي..

وأما الثاني: - الاجتهاد الجزئي - فهو جهد العالم الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد، ولكنه يتمتع بملكة فقهية وصل إليها بدراسته للأصول والفقه وبعض النصوص، بحيث يستطيع أن يجتهد في قضية جزئية ويفتي فيها بعد التفرغ لها والبحث فيها بحثا شاملا مستوعبا متبصرا، وهذا ما كان عليه كثير من العلماء ممن لم يرتفعوا الى رتبة الاجتهاد المطلق ولكنهم أيضا لم ينحطوا إلى درجة التقليد الصرف.

وقد قال جمهور الأصوليين: **إن الاجتهاد الجزئى جائز ممن حصَّل ملكة الاستنباط**، وبابه مفتوح[١٤]..

والحقيقة أن الاجتهاد الجزئي كان هو النافذة التي استغلها الفقهاء المتأخرون ليجتهدوا في كثير من القضايا ويبحثوا فيها، وهذا ما جعل من الاجتهاد عملية مستمرة، وإن كانت لا تصل إلى سعة الاجتهاد المطلق وآفاقه، وتحتفظ لنا كتب النوازل بأمثلة كثيرة لذلك.

وينقسم الاجتهاد أيضا الى **تخريج المناط، وتنقيح المناط، وتحقيق المناط.** ولما بحث الشاطبي رحمه الله تعالى قضية: هل يمكن أن تخلو الأرض من المجتهدين، قال إن ذلك ممكن بالنسبة إلى القسمين الأولين، أما بالنسبة إلى القسم الثالث فلا يمكن عقلا وشرعا، وذلك لأن تحقيق المناط معناه تنزيل الحكم الشرعي على آحاد الصور، وذلك كثيرا ما يشتبه فيحتاج إلى الاجتهاد، فلو منع ذلك كان رفعا للتكليف من أصله[١٥]، ولهذا استمر الاجتهاد لتحقيق المناط واقعا قائما.

والخلاصة التي أريد أن أصل إليها هي أن باب الاجتهاد لم يغلق كله وبجميع صوره، فإن من أقسام الاجتهاد ما ظل مفتوحا ممكنا للقادر الراغب فيه.. **وهذا ما يفسر ما يلاحظه الدارس في أحيان كثيرة، من اختلاف كبير للمذهب ما بين زمن الإمام وتلامذته وما بين زمن علماء المذهب المتأخرين، ولهذا أرى - والله سبحانه أعلم وأحكم - أن قضية «غلق باب الاجتهاد» قضية بولغ في الكلام عليها وفي تضخيم أثرها وسلبياتها، بحيث صارت عند المحدثين هي المشجب الذي تعلق عليه كل الأخطاء والبلايا والرزايا التي عرفتها الأمة، خصوصا في القرون الستة الأخيرة[١٦].**

لقد حُمِّلتْ هذه القضية بأكثر مما تحتمل ونسب إليها وإلى فعلها الشيء الكثير مما حوى حقا وباطلا.

اجتهاد بعض العلماء المتأخرين:

وقد رأينا في تاريخنا أمثلة لفتح باب الاجتهاد حين تحدى بعض الفقهاء منع بعض المتأخرين الاجتهاد المطلق، فاجتهدوا في الخلاف الأعلى - كالخلاف بين الأئمة الأربعة - وبحثوا وأفتوا بما يقتضيه نظرهم وفقههم الخاص.. وهذا صنيع الشوكاني وإسماعيل الصنعاني والقنوجي وغيرهم.. فماذا كانت النتيجة؟.

لقد رأينا فقها عاديا لم يرتق إلى درجة الفقه المذهبي بله أن يتجاوزه.. ولهذا كان **كتاب نيل الأوطار - مثلا - لا يختلف عن كتب الفقه المذهبي، فهو يعالج القضايا نفسها ويبحث في الفروع نفسها التي بحثتها مئات الكتب، وبالروح نفسها، ولم يحدث هذا الفقه ثورة في العالم الإسلامي تحرر العقول وتدفع إلى النهضة والتحرر.. أعني لم نجد لهذا الفقه الجديد إضافات هامة وجديدة.**

ما هو تفسير هذا الأمر ؟

وضع الفقه والاجتهاد حين تركد الحياة:

يبدو لي - والعلم لله تعالى - أن هؤلاء الذين

ضخموا من أثر غلق باب الاجتهاد على المسيرة الحضارية للأمة لم ينتبهوا إلى سبب آخر، أو انتبهوا إليه ولم يوفوه حقه من الكشف والدرس. لقد عرفت الأمة - منذ تدمير المغول لبغداد في الشرق، وقبيل سقوط الأندلس - **حالة عامة من الوهن الحضاري وركود الحياة..** لم يعد المسلمون يقومون بواجب عمارة الأرض كما كان يفعل أسلافهم، فاستحالت الحياة الإسلامية إلى حياة رتيبة وراكدة لا تعرف الإنجاز ولا الإبداع ولا الفعل الحضاري البناء، ولم تتقدم علوم المسلمين ولا خبراتهم كثيرا - بالنسبة إلى القرون الأولى - في أكثر مجالات الحياة: الدولة، والإدارة، والاقتصاد، والتمدن، والصناعة، والفلاحة.. يقول السلطان العثماني عبد الحميد الثاني: «إن أساس الأزمات عندنا نابع من قعود الرجل العثماني عن العمل والإبداع، لقد تعود أن يبقى سيدا يأمر غيره بقضاء حاجاته، إن شبابنا يخططون لأن يتخرجوا موظفين أو ضباطا أو علماء دين، فلماذا لا يفكر العثماني أن يصبح تاجرا أو صناعيا مبدعا، إنني أمارس مهنة النجارة»[١٧].

وربما كان الاستثناء الوحيد هو العلوم العسكرية، وذلك بفضل الخلافة العثمانية، وخصوصا في بدايتها، ولهذا لم تكن مظاهر الحضارة الإسلامية في العصر الأول تختلف كثيرا عن تلك التي عرفتها القرون الأخيرة، هل تختلف بغداد في عهد هارون الرشيد - مثلا - في مظهر التمدن عن بغداد بعد ذلك بسبعة قرون؟.

وحين ذبلت الحضارة المادية وضعفت، قلت الأسئلة والإشكاليات التي كان على الفقه أن يفتي فيها ويجتهد لها، قارن بين أي كتاب في الفتاوي الفقهية في القرون الستة الأولى مع أي كتاب في الموضوع نفسه في القرون الأخيرة، تجد الأسئلة تتشابه والنوازل تتماثل، لا جرم أن تجد - أيضا - أن الأجوبة تتقارب ويشبه بعضها بعضا[١٨]. ما عسى يفعل الفقيه لناس اختاروا القعود عن العمل واثاقلوا إلى الأرض؟.

ليس الفقه أساس الحضارة:

وهذا سر الموضوع: إن الفقه ليس هو أساس بناء الحضارات وتجددها، وليس عليه - بالدرجة الأولى - يقوم التغيير وتتم النهضة، إن وظيفة الفقه هي - قبل كل شيء - ذات طبيعة قانونية: ضبط علاقات الأفراد بعضهم مع بعض وتنظيم مؤسسات المجتمع في إطار عقيدة معينة، وقبل ذلك - وهو ما يمتاز به الفقه على القانون الوضعي - تنظيم علاقة الإنسان بربه سبحانه وتعالى. الوظيفة القانونية ليست أهم الوظائف - في الحضارات والمجتمعات - ولا اخطرها.

اضطراب الفقه المعاصر، وسبب ذلك:

ولهذا نلاحظ أن الفقهاء المعاصرين كثيرا ما يضطربون في بحثهم عن أجوبة فقهية لإشكالات الحياة المعاصرة، لسنا - نحن المسلمين - من يقود الحضارة الحديثة، بل ليس لنا مشاركة حقيقية في البناء الحضاري المعاصر، **نحن نعيش على هامش العالم ولا أثر لنا في مسيرته**، على حين أن الغرب يجدد نفسه باستمرار وينتقل من

**** حركة التغريب خلطت بين مخترعات العلم وبين منظومة القيم الاخلاقية.**

**** الركود وعدم الابداع الذي أصاب المسلمين، تبعه ركود وجمود في الفقه الاسلامي.**

مرحلة حضارية إلى أخرى، فهو فاعل ايجابي **والعالم الإسلامي منفعل سلبي..** ولهذا يجد الفقهاء أن ما يطرح عليهم من أسئلة هي من نتاج الحضارة الغربية، ونحن نعرف أنه لا يمكن أن نفصل الإنتاج المادي أو غير المادي عن ظروف البيئة التي أنبتته وأنشأته، ولهذا يحمل هذا الإنتاج - في غالب الأحوال - دخنا يقل أو يكثر؛ والفقيه حين يبصر هذا الدخن يضطرب في اجتهاده، فملاحظته ما في هذا الإنتاج البشري من مصالح يجعله يميل إلى القول بالجواز - بالمعنى الشامل للوجوب والندب والإباحة والكراهة، وملاحظته لما فيه من دخن يحدث مفاسد يجعله يميل إلى مذهب المنع.. ولهذا تجد أن الفقه السائد اليوم، هو - إلى حد كبير - **فقه استثنائي، فهو فقه الضرورة** أو فقه التحريم، إذا أباح احتج بتحقق الضرورة وتوفر شروط الحاجة، وإذا امتنع احتج بما يحمله المنتوج أو النازلة - موضع البحث - من عناصر التحريم والحظر.. وهذا الأمر واضح في بحوث الفقهاء المعاصرين التي تتناول - مثلا - شؤون المال والاقتصاد - خصوصا في قضايا الربا والتأمين بأنواعه - وقضايا الطب والجراحة والوراثة، كالاستنساخ.

إن الفقه هو «العين البصيرة» التي تراقب تصرفات الأفراد والمجتمعات وما ينشؤونه من الأمور المستجدة والقضايا المستحدثة، وهو في كل ما يعرض عليه من أشياء لابد أن يحكم عليها بأحد الأحكام الخمسة: الوجوب، أو الندب، أو الأباحة، أو الكراهة، أو الحرمة.. **المشكلة إذن في هذا «الصانع»** الذي يعمل وينشيء الجديد، إنه لم يعد مسلما بل هو الغرب، و«العين البصرة» التي تراقب ما يفعله الغرب وينتجه لا يمكن إلا أن تأتي بفقه هش أنهكه الترقيع والتضارب.. لو كان «الصانع» الذي ينشيء الحضارة ويطور الحياة مسلما متشبعا بالمذهبية الإسلامية في العقيدة والخلق والعمل لكان الفقه الإسلامي في واقعه الخاص ومجاله الطبيعي، ولتغيرت أشياء كثيرة.

حيرة العقل المسلم في انفعاله بتطورات الحضارة الغربية:

وبسبب هيمنة هذا الفقه الاستثنائي تجد أن العقل المسلم الذي يحاول اللحوق بركب الحضارة الحديثة أسير هذه الحضارة التي **يحركها منطقها الداخلي الخاص بها..** لقد اكتشف العقل المسلم - في أوج الصعود النظري للماركسية بأشكالها المختلفة - أن الإسلام لا يتعارض مع الاشتراكية في شيء، فهما يصدران عن مشكاة واحدة وإن اختلفا من حيث الأشكال والمظاهر، وسرعان ما لاحظ هذا العقل أن الفقه يقدم المصلحة الجماعية على المصلحة الفردية، وأنه يجيز تدخل الدولة في الاقتصاد، وأحيي آراء فقهية كجواز فرض مال غير الزكاة على الأغنياء وجواز التسعير، واعتبر هذا العقل أن تحديد الملكية الفردية جائز فقها كما أن تأميم مرافق الشعب واجب شرعا، وتذكر - العقل المسلم - أن أبا ذر الغفاري - رضي الله عنه - هو من أبرز اشتراكيي الإسلام.. ولهذا لم يكن مستغربا صدور كتب تتحدث عن «اشتراكية الإسلام»[١٩].

ويمجرد أن بدا واضحا للعيان أمارات تهاوي المنظومة الاشتراكية وسيطرة التوجه الليبرالي بالمقابل، حتى اكتشف العقل الإسلامي أن «جوهر» الليبرالية لا يتعارض مع «جوهر» الإسلام.. هي دائما قضية الأشكال والصور التي تختلف، أما المضامين - أي الروح والجوهر -

> **** الفقه وظيفته ضبط علاقات الافراد ببعضهم، وتنظيم علاقة الانسان بربه سبحانه وتعالى..**
> **** نحن نعيش على هامش العالم ولا أثر لنا في مسيرته.**

فهي واحدة.. الإسلام يقدس حرية الفرد وكرامته ويقر الملكية الفردية، والفقه يعترف بمبدأ التنافس الاقتصادي.

ولهذا كان جوهر الإقتصاد الإسلامي هو اقتصاد السوق، حيث القاعدة الفقهية تقتضي أن لا تتدخل الدولة في الحياة المالية والاقتصادية إلا في استثناءات ضيقة جدا.

ومنذ هبت على العالم ريح الديموقراطية وأصبحت دينا عالميا، اكتشف العقل الإسلامي مجددا تلك القاعدة السحرية: إن الأشكال والصور قد تختلف بين الديمقراطية والشورى، ولكن المضامين والحقائق واحدة متحدة، والعبرة في الأشياء «بالروح والجوهر» لا «بالشكل والمظهر».. ألا تقول القاعدة الفقهية: العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني، فالإسلام قرر مبدأ الشورى، واعتبر الفقهاء أن الإمام مجرد أجير عند الأمة، ولا يجوز أن يحكم الناس بالقهر والغلبة بل باختيارهم ورضاهم.. وهذا هو جوهر الديموقراطية التي لا تتعارض مع حقيقة الشورى[٢٠].

وقد ظهر نموذج الدولة القومية في أوربا منذ أربعة قرون، ثم وقع تعميمه في جل مناطق العالم.. ثم أخذ الفقه المعاصر ينظر لهذه الدولة ويبحث عن «مشروعيتها» في الوقت الذي بدأ الغرب نفسه يسعى إلى تجاوز هذا الشكل الدستوري من الحكم بشكل آخر أوفق لصالحه ومستقبله[٢١].

وهذا الوضع سببه أننا عجزنا عن «الإبداع» والفعل الحضاري البناء، وما كان أيسر لنا أن نتكل على الآخر الذي جعلناه أصلا ومرجعا.

قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة:

وقد يحتج الناظر بالقاعدة الشرعية التي تقول: الأصل في الأشياء الإباحة، فكل الأعيان والتصرفات والأفعال في الوجود الكوني والإنساني على أصل الإباحة والجواز حتى يقوم الدليل الفقهي المعتبر على أنها محرمة، وعلى هذا يجوز لنا أن نقتبس مما أنشأته الحضارة الغربية، فالشرط الوحيد ألا يكون ذلك متعارضا مع كليات الدين، ثم بعد ذلك ما علينا إلا أن نصبغه بالصبغة الإسلامية ليكون إسلاميا ومقبولا فقهيا.

ليس لي كلام في قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، فهي صحيحة، وتوارد على قبولها وإعمالها جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرها[٢٢]، لكن أثرها لا يمتد إلى ما يفعله غير المسلم من الأقوال والتصرفات والمنتوجات الفكرية والمادية، فما صنعته يد من لا يدين بديننا أو انتهى إليه فكره لا تطبق عليه القاعدة، بل الواجب أن نفحص كل ما أنتجته حضارته فحصا دقيقا وشاملا، وهذا هو مقصد أحاديث النهي عن التشبه بالكفار، فهي لا تريد أن تمنع المسلم من أي تواصل مع من يخالفه في العقيدة، ولكنها تريد أن تربي في المسلم خلق الحذر والتبصر والاحتياط تجاه المظاهر الحضارية للمخالفين لنا في الدين.

وقد يقال: يجب أن نفرق بين جانب الفكر والعقائد في الحضارة الغربية وبين جانب المظاهر المادية والأساليب التقنية ومناهج تنظيم الحياة.. لكن المشكلة تكمن في هذا الفصل: **هل يمكن أن نعزل «إبداعات» الحضارة الغربية عن منظومة القيم والأفكار التي تحكمها؟.**

هل الإنتاج المادي مستقل عن القيم؟:

إن حضارة الغرب مدينة - الى أبعد حد - للعلم وثماره، فهل «العلم» - فعلا - عامل محايد في الوجود البشري، أم أنه - كأي مجال للنشاط الإنساني - يتأثر بالخلفيات العقائدية والنفسية لهذا الذي يمارس البحث العلمي وينتج التكنولوجيا.

وقد يشتط بي الخيال بعيدا فاطرح هذا السؤال: ترى لو استمرت الحضارة الإسلامية حيوية رائدة، وحققت بنفسها هذا التطور العلمي والتقني الضخم، هل كانت ستكون صورة الحياة هي نفسها التي نعيشها الآن؟.

ليست هذه دعوة للانكفاء على الذات وتحصينها بالرفض وثقافة المنوع، ومنعها من الاستفادة الواعية المتبصرة من تجارب الإنسان وإنجازاته، كيفما كان هذا الإنسان.

إنني أدرك أن هذا الموقف - علاوة على أنه في

**العين التي ترقب ما ينتجه الغرب لا تأتي إلا بفقه هش أنهكه الترقيع والتضارب.

**الحضارة الغربية يحركها منطقها الداخلي الخاص بها.

ذاته خطأ - لا يمكن أن يرى النور ويتحقق - حتى لو أردناه - في زمن العولمة وتقارب الحدود، وانمحائها بالكامل أحيانا، وسيطرة الإعلام ووسائل الاتصالات ووحدة المصير الإنساني.. لقد غدا العالم واحدا، يؤثر بعضه في بعض، واستحال فيه الانعزال والتقوقع على الذات.

لكنني أقصد أن التغريب ما يزال يعيش بيننا ويؤثر فينا من حيث نشعر ومن حيث لا نشعر، ولم تسلم عقولنا وأفكارنا وقيمنا من فعله وأثره.. يقول المفكر المغربي محمد عابد الجابري: «إن إعادة بناء أهداف المشروع النهضوي العربي تتطلب، كما قلنا، الأخذ بعين الاعتبار الكامل ليس العوامل الداخلية وحدها بل الظروف والتطورات الدولية أيضا.. **ولما كانت عملية إعادة بناء الأهداف عملية فكرية بالأساس** فإنه من الضروري استحضار التأثير الذي يمارسه الغرب علينا - شئنا أم كرهنا - في المجال الفكري، والوعي بالتالي بالتوجيه الذي يمارسه الفكر الغربي على رؤانا الفكرية المعاصرة، ومن بينها تصورنا لأهداف المشروع النهضوي العربي مستقبلا»[٢٣].

خاتمة في أسئلة معلقة:

إننا - في الواقع - مازلنا نعيش مرحلة الولوع بتقليد الغالب، ما هو السبيل إذن، وأي دور ينبغي أن يكون للفقه المعاصر، وفيما يجب أن يكون الاجتهاد، وكيف؟ لا أملك أجوبة واضحة على هذه الأسئلة، وهذا المقال الذي بين يدي القارىء الكريم لم يقصد إلى ذلك، إنه مجرد دعوة للتأمل والمناقشة وتوطئة لهما، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

(١) راجع «تاريخ الاسلام» للدكتور إبراهيم حسن.

(٢) وأهم هذه الكتب «الملل والنحل» للشهر ستاني، و«الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي، و«الفصل بين الملل والأهواء والنحل» لابن حزم، وكلها مطبوعة متداولة.

(٣) راجع كتاب المرحوم علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤. وانظر خصوصا الباب الخامس: مناهج البحث لدى علماء العلوم الكيميائية والطبيعية والرياضية في العالم الإسلامي، صفحة ٣٢٩ فما بعدها.

(٤) عن المجلة الشهرية «مستقبلات» الصادرة عن الجمعية الدولية للمستقبلية، وذلك بالفرنسية، وفيها مقال بيرك: FUTURIBLES, N 154, MAI 1991, PARIS.

(٥) راجع في هذا الموضوع الكتاب الهام للمفكر وعالم الاقتصاد الفرنسي سيرج لاتوش: تغريب العالم:
Serge Iatouche: L'occidentalisation du monde, la decouverte, 1989. France.
وهو مترجم إلى العربية.

(٦) هذا موضوع مشكل، لقد نشأ العلم ونما جيدا في حضارتين اثنتين: الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية، ومع ذلك فإن هذا النمو توقف فجأة في هاتين الحضارتين، ولم يتطور العلم حق التطور إلا بعد أن انتقل إلى أوربا، لماذا حدث هذا وكيف؟ لقد حاول أحد الباحثين أن يجيب على هذا اللغز في كتابه: فجر العلم الحديث، سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٨.

(٧) هذا أصل الخلاف حول بعض الإصلاحات التي شهدتها مناطق من العالم الإسلامي في بعض الأوقات، مثل الإصلاح المعروف بـ «خط كلخانة» الذي عرفته الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر.

(٨) Mahdi Elmandjra: "premire guerre civilisationnelle", P176. Editions toubkal, Maoc.

(٩) راجع في المسألة: الاجتهاد في الإسلام، ص ٢١٨ فما بعدها، لنادية العمري مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ثالثة ١٩٨٦.

(١٠) انظر في الفرق بين المجتهد المستقل والمطلق: «المجموع شرح المهذب» للنووي ١/٧٥ - ٧٦، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية، أدب المفتي والمستفتي، ص ٨٦ - ٨٧ - ٩١، للحافظ ابن الصلاح، «الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» لجلال الدين السيوطي، ص ١١٢ - ١١٣.

(١١) راجع : «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»، لأبي العباس أحمد الونشريسي، طبع دار الغرب الإسلامي، ونشر وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٨١، ٦/٣٥٠ فما بعدها.

(١٢) انظر في مراتب الاجتهاد: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٧٤ فما بعدها، الكتاب لعبد القادر بدران، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٩٩١، أدب المفتي والمستفتي ص ٨٨ الى ٩٨، الاجتهاد في الاسلام، ص ١٧٣ فما بعدها، لنادية العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٣) الرد على من أخلد الى الأرض ص ١١٦.

(١٤) «المحصول في علم الأصول» ٦/٢٥ لمحمد بن عمر الرازي، تحقيق طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، طبعة ثانية، ١٩٩٢، «المستصفى» ٢/٣٥٣ فما بعدها، لأبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٨٣، «البحر المحيط» ٦/٢٤٢، لبدر الدين الزركشي، دار الكتبي، مصر، طبعة اولى ١٩٩٤، «أدب المفتي والمستفتي»، ص ٨٩ - ٩٠.

(١٥) راجع «الموافقات» للشاطبي ٤/٦٤ الى ٦٨، و١١٢ الى ١١٧، و ١١٩ الى ١٢٠، طبعة دار الكتب العلمية، بتعليق عبد الله دراز.

وانظر تفرقة الشاطبي بين تحقيق المناط العام والخاص والخاصن ٤/٦٩ الى ٧٥ وانظر أيضا «الاحكام في أصول الأحكام» ٣/٢٦٤ لأبي الحسن علي الأمدي، دار الكتب العلمية، طبعة أولى، ١٩٨٥، «البحر المحيط» ٧/٣٢٤.

(١٦) انظر «الأزمة الفكرية المعاصرة»، ص ٢٦ - ٢٧، لطه جابر العلواني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، طبعة اولى ١٩٨٩.

وانظر أيضا: «مراجعات في الفكر والدعوة والحركة» ص ٩٦ الى ٩٨ للأستاذ عمر عبيد حسنة، منشورات المعهد العالمي، فرجينيا، طبعة أولى ١٩٩١.

(١٧) عن «العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا» ص ١٧٣ - ١٧٤، للدكتور عبد الكريم مشهداني، منشورات المكتبة الدولية بالرياض.

(١٨) قارن مثلا «فتاوى النووي والعز بن عبد السلام الذين عاشا في القرن السابع مع فتاوى الونشريسي المسماة بالمعيار، وهو قد توفي في بداية القرن العاشر، وكذا مع فتاوى الشيخ عليش - من علماء القرن الرابع عشر - المسماة «فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك».

(١٩) وهو عنوان كتاب للأستاذ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، وكان صدر في نهاية الخمسينيات.. وفي هذه الفترة كثرت المقالات والكتب التي تسير في هذا الاتجاه.

(٢٠) راجع المقال الهام للاستاذ ميمون النكاز بمجلة المنعطف، عدد: ١٢ سنة ١٩٩٦ ص ٣ فما بعدها «والمنعطف» مجلة فصلية ثقافية تصدر من وجدة بالمغرب، عنوان المقال، «الخطاب الإسلامي المأسور وقاهرية السلط المعرفية».

وانظر مقال: الديموقراطية المهزوزة، في المجلة الشهرية التي تصدر من باريس.

Le monde Diplomatique, Qctobre 1996, PI.

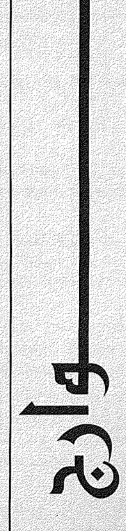
(٢١) راجع فصل «مستقبل الدولة القومية» في: Paul Kennedy: Prerarer LeXXI sicle Edition Odil gacob, 1994.

وانظر حول مستقبل الشكل البيروقراطي للإدارة، وهو الأسلوب الذي تسير عليه الدولة القومية Alvin Toffler: Le choc du futur pp144-174. folioVessais. 1971

وانظر أيضا في الموضوع نفسه مقال: Diana Pinto: La societe francaise fiere de sesmaux وذلك بمجلة: Futuribles, N 154, P 5.

(٢٢) راجع في القاعدة: الأشباه والنظائر في الفروع، ص ٤٣ فما بعدها، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، وقد توسعت في دراسة هذه القاعدة في كتابي - الذي تقدمت به لنيل دكتوراه السلك الثالث : «الاحتياط في الشريعة الإسلامية»، جامعة وجدة بالمغرب ١٩٩٦.

(٢٣) سلسلة المشروع النهضوي العربي: آفاق المستقبل، وهي مجموعة مقالات للدكتور محمد عابد الجابري نشرها بجريدة «الاتحاد الاشتراكي» بالمغرب، أما النص المذكور فيوجد بالصحيفة يوم ٢ غشت ١٩٩٦م.



روى ابن ماجة في سننه بسند حسّنه العلامة الألباني رحمه الله من رواية عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «تنشأ نشأ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر - راوي الحديث - سمعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «كلما خرج قرن قطع» أكثر من عشرين مرة: «حتى يخرج في عراضهم الدجال».

مصداقاً لهذا الحديث فقد استمر فكر التكفير ومذهب الخوارج على مر العصور وكر الدهور حتى يومنا هذا وسيستمر هذا الفكر إلى أوان خروج الدجال كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

يجدر بنا في هذا الموضع أن ننبه الى أربعة أمور مهمة جداً تتعلق بالخوارج الأوائل، وتتعلق كذلك بأفكار وجماعات التكفير المنبثقة عن ذلك الفكر الأول:

أحدها: أن الامتداد الحديث للفكر القديم يصح أن نطلق عليه اسم الخوارج ونجري عليه أحكام الخوارج إذ أن الخوارج ليسوا محصورين في أولئك النفر الذين قاتلهم علي - رضي الله عنه - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٥ - ٤٩٦): «.. وهذه العلامة التي ذكرها النبي {صلى الله عليه وسلم} هي علامة أول من يخرج منهم، ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون الى زمن الدجال وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر. وأيضاً الصفات التي وصفها تعم غير ذلك العسكر». ويقول رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٦) وهذه النصوص المتواترة عن النبي {صلى الله عليه وسلم} في الخوارج قد أدخل فيها العلماء لفظا أو معنى من كان في معناهم من أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وجماعة المسلمين.

وعلى هذا فكل من سلك سبيل التكفير فهو من الخوارج لأن الخوارج (يجري مجراهم من سلك سبيلهم)[١].

والثاني: أن الخوارج قد انقسموا - قديماً وحديثا - الى جماعات وفرق عديدة وهذه الجماعات ليست بالضرورة على فكر واحد وفهم واحد بل القاسم المشترك بينها هو الاتفاق على تكفير المسلمين وأما ما عدا ذلك فالغالب على هذه الفرق أنها يكفر بعضها بعضا، يقول الإمام ابن حزم رحمه الله متكلماً عن فرق

بقلم : **حاتم أحمد الطيب الشيخ** - السودان

الخوارج: «لهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها»[٢]، وهذا من شأن أهل البدع دائماً وأبداً فإن «من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أهل العلم أنهم يُخطِّئون ولا يُكَفِّرون»[٣].

يقول أبو المظفر السمعاني فيما نقله عنه الحافظ قوام السنة الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة (٢/٢٢٥): «إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يُبَدِّعُ بعضُهم بعضاً بل يرتقون الى التكفير يُكَفِّر الابن أباه والرجل أخاه والجار جاره، تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم».

والثالث: أن العلماء اتفقوا على وجوب قتال الخوارج إن كانوا ممتنعين غير مقدور عليهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوي (٢٨/ ٥٣٠): «وقد أجمع المسلمون على وجوب قتال الخوارج والروافض إذا فارقوا جماعة المسلمين»، وقال: «الخوارج المارقون الذين أمر النبي {صلى الله عليه وسلم} بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم»[٤] ولأجل ذلك نقل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عدم الخلاف في صحة قتال علي رضي الله عنه للخوارج فقال: «فأما الخوارج فلا نعلم أحداً كره قتاله إياهم»[٥].

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (٧/٧١ - ٧٢): «قوله {صلى الله عليه وسلم} «فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً» هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاة وهو إجماع العلماء، قال القاضي: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم»، ولثبوت النص في الأمر بقتال الخوارج كان السلف يفضلون قتالهم على قتال المشركين فقد روى ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/٣٠٣) وأحمد في المسند (٣/٣٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «قتالهم - أي الخوارج - أجل عندي من قتال عدتهم من الترك»[٦].

هذا كله عن قتال الخوارج الممتنعين وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج ففيه خلاف بين العلماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوي (٢٨/٤٧٥ - ٤٧٦): «وأما الواحد المقدور عليه من الخوارج والرافضة فقد روي عنهما - أعني عمر وعلي - قتلهما أيضاً - والفقهاء إن تنازعوا في قتل الواحد المقدور عليه من هؤلاء فلم يتنازعوا في وجوب قتالهم إذا كانوا ممتنعين».

والذي يذهب إليه الإمام النووي رحمه الله أن الخوارج إذا لم يخرجوا عن الطاعة لا يقاتلون يقول في شرح مسلم (٧/١٧٠) «وما لم يخرجوا عن الطاعة وينتصبوا للحرب لا يقاتلون بل يوعظون ويستتابون من بدعتهم وباطلهم»، ولكن الراجح أنه يجوز قتل الواحد المقدور عليه منهم إذا كانت المصلحة في قتله، أو ترتب من بقائه حياً الفساد، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله وقد استدل على ذلك بما لا يمكن دفعه يقول في مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٩ ـ ٥٠٠) «فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء هما روايتان عن الإمام أحمد والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد، فإن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وقال عمر لصبيغ بن عسل: «لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك» ولأن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سبأ أول الرافضة حتى هرب منه، ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول أو كان في قتله مفسدة راجحة، ولهذا ترك النبي {صلى الله عليه وسلم} قتل ذلك الخارجي ابتداء لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل اصحابه، ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام، ولهذا ترك علي قتلهم أول ما ظهروا لأنهم كانوا خلقاً كثيراً وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهراً ولم يحاربوا أهل الجماعة»٠

والرابع: أن الخوارج مع عتوهم في الضلال وتكفيرهم للمسلمين واستحلالهم لدماء المعصومين فهم ليسوا كفاراً لأنهم فعلوا ذلك بتأويل، ولأجل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يكفروا الخوارج الأوائل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣/٢٨٢): «الخوارج المارقون الذين أمر النبي {صلى الله عليه وسلم} بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم٠ ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد ابن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم»، ويقول الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٧/١٦٠): «قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: قال المازري: اختلف العلماء في تكفير الخوارج٠٠ ومذهب الشافعي وجماهير أصحابه العلماء أن الخوارج لا يكفرون»٠

وفي ختام هذا الفصل ننقل ما ذكره العلامة موفق الدين بن قدامة رحمه الله في المغني حيث قال: «ومن اعتقد حلَّ شيء أجمع على تحريمه وظهر حكمه بين المسلمين وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير والزني وأشباه ذلك مما لا خلاف فيه: كفر٠٠ إن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك، وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وفعلهم لذلك متقربين الى الله تعالى وكذلك لم يحكم بكفر ابن ملجم مع قتله أفضل الخلق في زمنه بذلك، ولا بكفر المادح له على هذا المتمني مثل فعله، فإن عمران بن حطان قال فيه يمدحه بقتل علي:

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ عند الله رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه
أوفي البرية عند الله ميزانا

وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم وأموالهم واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم٠

إن الناظر في الساحة الإسلامية الدعوية يرى أن

فكر التكفير قد استشرى وانتشر وتمخضت عنه أمور يشيب من هولها الولدان فسالت الدماء المعصومة واستبيحت الأموال المصونة وانتهكت الحرمات والمقدسات ولأجل ذلك لابد من وقفة نحاول فيها أن نتتبع الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور هذا الفكر أولا وانتشاره ثانياً، ومن أهم هذه العوامل:

أولا: الجهل بالشرع من حيث أحكامه ومقاصده وقد كان هذا السبب هو العامل الرئيس في ظهور هذا الفكر أول مرة، فالخوارج الأوائل لم يقعوا فيما وقعوا فيه من البدع والطامات إلا لجهلهم وبعدهم عن الفقه في دين الله عز وجل فقد كان الخوارج الأوائل «أعراباً قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء»[٧] يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في الإعتصام[٨] (٢/ ٦٩٠ - ٦٩١): «هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل الى وجه واحد وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت أو الأخذ فيها بالنظر الأول ولا يكون ذلك من راسخ في العلم، ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي لأن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وصفهم بأنهم (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم) يعني والله أعلم أنهم لا يتفقهون به حتى يصل الى قلوبهم لأن الفهم راجع الى القلب.

وإن من أدل الدليل على جهل الخوارج أنهم حملوا آيات القرآن على غير مناطاتها وفهموا النصوص على غير مراميها، روى الحافظ أبو عمر بن عبد البر النميري في التمهيد (٢٣/ ٣٣٥) عن بكير بن الأشج أنه سأل نافعاً مولى ابن عمر رضي الله عنه فقال له: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، قال إنهم انطلقوا الى آيات في الكفار فجعلوها على المؤمنين[٩].

وما من عاصم من هذه الفتنة وما من دواء لهذا الجهل إلا بالعلم ثم العلم ثم العلم، أعني به العلم المبني على كتاب الله عز وجل وسنة النبي عليه الصلاة والسلام وفهم سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين والعلماء العاملين أئمة الهدى ومصابيح الدجى فمن تنكب هذا الطريق فلا عجب أن يضل هذا الضلال المبين ويزيغ عن الصراط المستقيم.

- للبحث صلة -

الهوامش :

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٢٦).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٥٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٢٠.

(٤) مجموع الفتاوي (٣/٢٨٢).

(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٨/١٨٨)، بواسطة مدارك النظر للشيخ عبد المالك الجزائري.

(٦) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/٣٠١) قال ابن هبيرة: وفي الحديث أن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى.

(٧) الفصل لابن حزم (٤/١٥٦).

(٨) بتحقيق الشيخ سليم الهلالي.

(٩) الأثر علّقه البخاري في الصحيح وصحح اسناده الحافظ في الفتح.

ولاة البلد الأمين

وحيث كنت قد توقفت في الحلقة الماضية أن ولاية البلد الأمين قد صارت الى جد النبي [صلى الله عليه وسلم] الرابع:

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وكان من أمره أنه قد احتملته أمه صغيراً من الديار الحرمية الى الشام وكانت قد تزوجت برجل من أشراف قضاعة بعد وفاة زوجها والد قصي. ولما كبر قصي عاد الى الاباطح المكية مع قوافل الحجيج. وبعد أداء المناسك ثبت في البيت الحرام ولم يرجع الى أمه، ثم أنه خطب الي والى مكة وحاجب البيت الحرام. حليل بن حبشية الخزاعي ابنته: حُبَّي فزوجها إياه لما رأى فيه من الوسامة والوضاحة والشرف والسؤدد مالا يوصف. فلما زوجها إياه دفع اليه مفتاح الكعبة المشرفة كما سبق ذكره، فلما عادت ولاية البيت الحرام الى قصي بن كلاب، جمع شتات قومه وأعادها الى محور الديار المكية والرحاب الأبطحية وأقطع مكة لهم رباعاً وانزل كل قبيلة منها في ناحية فسموه بذلك مجمعاً.

وكان قصي رجلا عاقلا حازما بارعا جميلا وسيما حكيما فأطاعه قومه وهابته العرب، فأنشأ دار الندوة الى جوار المسجد الحرام وجعل بابها شارعاً فيه وكان يبت في هذه الدار في أحوال وشئون قريش. فلا تعقد الرايات الا فيها ولا تنكح الأيم الا من بعد إذنه. ولا تدرع الفتاة الا في داره وكان يجتمع فيها برؤساء قريش وينظر في أحوالهم، غير أنه أقر العرب على ما كانوا عليه من عادات، وسن الرفادة والسقاية وإطعام الحجيج ولم يزل حتى أدركته الوفاة فصار الأمر من بعده الى ولده:

- عبد الدار بن قصي بن كلاب:

فسار عبد الدار على نهج والده وطريقه وظل عليها زمنا وهو جد بني شيبة سدنة بيت الله الحرام، فلم يلبث أن وقع التنازع على الولاية والشرف فيما بينه وبين إخوته والمؤيدين لكل فريق منهم وكادوا يقتتلون عليها حتى درأ الله عز وجل عنهم الشر ووقع الاتفاق في معاهدة تسمى المطيبون على أن تكون الرئاسة والولاية والقيادة واللواء لعبد مناف بن قصي جد النبي [صلى الله عليه وسلم] الثالث وتبقى الحجابة والسدانة لعبد الدار وبذلك أنتقلت ولاية البلد الأمين الى:

- عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب.

وكان عبد مناف شريفا في قومه وسيداً في عشيرته وكان قد ركب صهوة جواد الشرف في حياة أبيه وذهب بالمراتب كل مذهب. وكان يدعى القمر لحسنه وجماله وفيه قال أبو طالب بن عبد المطلب عم النبي [صلى الله عليه وسلم] في قصيدته البليغة المشهورة:

اذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر
فعبد مناف سرها وصميمها

واستمرت ولاية البلد الحرام بيده حتى تولاها ابنه سيد البطحاء:

- هاشم بن عبد مناف وهو الجد الثاني لرسول الله [صلى الله عليه وسلم].

واليه ينتمي نسب بني هاشم، وفيه حصرت الفضائل والشرف وعرف بحسن القيادة وجميل السيرة فلم يكن له بمكة شرفها الله مساو ولا نظير وكان يكني أبا فضلة ويقال له عمرو العلي. وهو الذي هشم الثريد لقومه وللحجاج الآفاقيين وسنَّ رحلة الشتاء والصيف التي نوه القرآن الكريم عنها في سورة قريش، واستمرت ولاية البلدة المحرمة فيه حتى توفي بأرض الشام وتولى بعده:

- المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وظل يحكم مكة شرفها الله فصار زعيما لا يبارى وسيدا لا يضاهى وسمي الفيض لسماحته وفضله وكان يقال له القمر لحسنه وجماله وقد ترجم له العلامة الامام ابن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية.

ولبث المطلب في ولاية البلد الحرام حتى توفي فتسلم شرف مكة وولايتها من بعده ابن أخيه وربيبه سيد البطحاء:

- عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب جد النبي [صلى الله عليه وسلم] الاول، فمضى على سنن آبائه وأحسن السيرة، وأطعم الحجيج وسقى



بقلم : **السيد ضياء محمد عطار** - المدينة المنورة

السقاية وحفر زمزم بعد اندثاره وقد دُلَّ على مكانه في النوم برؤيا رآها فكانت منقبة عظيمة له، وكان يتحنث بغار حراء يتعبد فيه الليالي والايام، وكان مجاب الدعوة ويستسقى به قومه عند الجدب وكان يطعم الفقراء والوحوش والطيور وكان يدعى الفياض لسماحته وفضله.

وقصته في حفر زمزم وما حدث له وقصته مع أصحاب الفيل متواترة مشهورة وقد كفل النبي [صلى الله عليه وسلم] بعد أمه حتى بلغ الثمانية من العمر، ولبث عبد المطلب في حكم مكة شرفها الله ما لبث حتي توفي عن مائة وعشرين سنة وقيل أقل من ذلك وقد رثاه الشعراء ومنها قولهم:

على شيبة الحمد الذي كان وجهه
يضيء سواد الليل كالقمر البدر

كما ذكره الامام أبو محمد بن هشام في سيرته المباركة.

- ومن بعده صار الأمر وولاية البلد الحرام الى عمه وصنو أبيه عبد شمس بن عبد مناف وكان رجلا كثير الأسفار وتوفي بمكة شرفها الله فصار الأمر من بعده الى ابنه:

- أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب جد بني أمية. ومن بعده انتقلت ولاية البلدة المعظمة الى ابنه:

- حرب من أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. فقاد أمية حرب الفجار المشهورة وشهدها النبي [صلى الله عليه وسلم] وهو ابن عشرين سنة كما ذكره الامام أبو الوليد الازرقي في أخبار مكة.

وبعده صارت ولاية البلد الحرام الى ابنه:

- أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي رضي الله عنه وقد تولي القيادة بمكة شرفها الله وقاد الحروب وعقد الرايات قبل اسلامه ولم يزل كذلك حتي كتب الله عز وجل له الايمان والاسلام في السنة الثامنة من الهجرة عام الفتح رضي الله عنه وأرضاه وبذلك انتهت ولايته وعادت ولاية البلد الأمين الى دولة الاسلام ورعاية سيدنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وانتهت ولاية قريش في الجاهلية على الاباطح المكية وبزغ فجر الاسلام في الرحاب الحرمية وسطع نوره.

وحدث التحول العظيم في تاريخ البلد الأمين وبعد أن آلت ولاية البيت العتيق الى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وقبض مفتاح البيت ودخله معززا مكرماً متواضعاً لله رب العالمين وأطلق الاسارى من قريش فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء أعاد [صلى الله عليه وسلم] امارة البلد الحرام الى شاب من بنى أمية كما رد مفتاح الكعبة المشرفة الى أصحابها من بني عبد الدار بن عبد مناف خالدة تالدة الى يوم القيامة حين أنزل الله عز وجل عليه قوله: {إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها} الآية.. وولّي على مكة شرفها الله سيدنا عتاب بن أسيد الأموي وهو شاب حدث وأوصاه بأهل مكة خيرا فقال له: أتدري على من وليتك؟ فقال صلوات ربي وسلامه عليه مجيباً: على أهل الله فاستوصى بهم خيراً كررها عليه ثلاثا.. ورتب له مكافأة يومية قدرها درهم واحد فكان يقول رضي الله عنه في بعض خطبه: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله [صلى الله عليه وسلم] درهما كل يوم فليست لي حاجة الى أحد كما ذكره الامام أبو محمد بن هشام في سيرته المشهورة وذكر العلامة نجم الدين ابن فهد الهاشمي في كتابه إتحاف الورى بأخبار أم القرى أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فرض له أربعين أوقيه فضة: وذكر العلامة ابن قدامة المقدسي في كتابه التبيين في أنساب القرشيين أنه حلف بالله عز وجل وقال: ما أصبت في عملي الذي بعثني رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عليه إلا ثوبين.

ولم يزل الأمير عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية الأموي القرشي رضي الله عنه في ولاية البيت العتيق حتى قُبضَ رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فأقره خليفة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الصديق سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه على ولايته للبلد الحرام فلم يزل عليها حتى توفي الى رضوان الله تعالى وكان دفنه يوم دفن الصديق رضي الله عنه بالمدينة المنورة، وذلك في السنة الثالثة عشرة من الهجرة وهو ممن توفي بمكة شرفها الله من حكامها في الاسلام وكان عمره يوم وفاته خمس وعشرون سنة، والله تعالى أعلم..

- للحديث بقية -

في ضيافة الملك عبد العزيز:

قراءة في قصيدة الشاعر الخطيب

نحن أمام قصيدة دالية عصماء، قالها الشاعر العراقي «محمد رضا الخطيب» وألقاها بين يدي المغفور له بإذن الله تعالى الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - بمنى عام ١٣٥٤هـ.. وأفكار القصيدة (عناصرها) تتمثل في خمس نقاط:

موقف العرب كافة من الملك عبد العزيز، وإعجابهم بنخوته وسياسته، وانبهارهم من توجهه الإسلامي السامي، المتمثل في: الوحدة، ولمّ الشمل، والذود عن حمى الإسلام والمقدّسات. نعم إنهم رأوا فيه السيد الشجاع، الذي يأبى الضيم، ويطمح إلى بث روح الحياة في جزيرة الإسلام (الجزيرة العربية) بعد أن كانت شبه ميتة!! عبر ما يحدث فيها من فوضى وفتن. فلا أمن، ولا أمان، ولا عدل ولا نظام.

لقد كانت أحوال المناطق والواحات والهجر يرثى لها، يحدثني جدي لأمي وأستاذي الراحل/ عبد اللطيف بن عبد العزيز العبد الله الرشيد (يرحمه الله) قائلا: لقد حرموني من جدي لأمي/ عبد الله بن دخيل، حين قتله الأعراب من قبيلة (؟) وهو متوجه إلى دولة البحرين على طريق ميناء الأحساء (العقير) حيث خرّ صريعاً من مطيته المحملة بالتمور والأرز الأحسائي المشهور وغيرها من خيرات الأحساء ومنتوجاتها.

وذكر لي أبي/ عبد الله بن أحمد الهاشل (والد زوجتى) من رواة قرية الشقيق قائلا: إن الحياة كانت صعبة ، حيث لا يأمن الشخص على نفسه، فلا يمشي إلى مزارعه إلا بالسلاح، الى درجة أن بعض أهل البادية يحرمون الماشي من ثوبه، وربما أخذوا ثوبه وقتلوه أيضا، كما يحدث



بقلم : **عبدالله بن ناصر العويد** - السعودية

لبعض ضعاف الفلاحين في ذلك العصر (لا أعاده الله)، حيث إن اللصوص من الأوغاد يأمرون الفلاح بخرف الرُّطب، أو صرام التمر، وقس على ذلك قطف الثمار: كالخوخ والرمان والليمون والاترج والتين... الخ من خيرات هجر.

ثم يجازى بعدها بالضرب أو القتل!! إلا من عنده شيمة منهم، فيكتفي بالسرقة، ثم يولّي ذليلا، منتظراً العقوبة الدنيوية قبل عقوبة الآخرة!!

أعود إلى الأبيات التي نوّهتُ عنها في مطلع القصيدة، والتي تبين موقف العرب من الملك عبد العزيز آل سعود، كما أسلفتُ، حيث يقول (يرحمه الله):

أرى العرب، قد ألقت إليك قيادها
وأعطتك عفواً قلبها وفؤادها
فتحمي نواحيها، وتجمع شملها
وتمنع عنها بالأذى من أرادها
لقد وجدت فيك الجزيرة سيداً
علاها على رغم الأنوف وسادها
وكانت مواتاً قبل ذاك، وإنما
«أبو فيصل» نحو الحياة أعادها
ليجعل فيها الأمن والعدل ظاهراً
ويمحو بآيات الصلاح فسادها

ثم تحدث عن صفات الملك/ عبد العزيز، وابتدأ بمحاربة البدع، ولم يفصلها الشاعر، لكونها معروفة لدى المثقفين وغيرهم. وهي مذكورة في كتب التاريخ والعقيدة، ومقررات الطلاب في شتى المراحل، ومنها: الطواف حول القبور، والتوسل لها، والبناء فوقها، وتقديس الأولياء عبر الغلو المقوت الذي لا يرضي من يقدسونهم لو كانوا أحياء، والاحتفالات بالموالد، وحادثة الإسراء، وليلة النصف من شعبان.. وغيرها مما لم ترد نصوص تؤيدها (.. ابتدعوها ما كتبناها عليهم). فكان الملك عبد العزيز يحث العلماء الثقاة على الدعوة بالتي هي أحسن، ويشجع بالدعم في طبع الكتب، فأحال أجواء الضلال المظلمة إلى أنوار الرشاد!! وذلك بسخائه الذي شبهه الشاعر بالغيث العميم، فلنستمع إليه، وهو يشدو قائلا:

أخو همّة، لم يُبق في الناس بدعة
تخالفه إلا إلى الدين قادها
أتى للورى نوراً من الحق مشرقاً
لتبصر من بعد الضلال رشادها
لئن أجدبت فالكف منه كفيلة
تقومُ مقام الغيث، إنْ هو جادها
لقدْ محّض الإسلام نيّة ناصح
كما محّضتهُ كلُّ نفس ودادها

طفق الشاعر يعبر عن شعوره تجاه إعجابه بالشخصية الفذة التي منحها الإله الحكيم لمدوحه، وهو من يستحق أضعاف ما قال، حيث إنه قطع الفجاج (فجاج الجزيرة) مشرقاً من موطنه العراق، ورائده في ذلك الشوق، بيد أن نار الجوى أورت زنادها بقلبه المتلهف المتوهج للملك عبد العزيز، بعد أن غرّدت البلابل بذكره فوق أفنان فؤاده الرحب، على أن نفس المشوق قد قاربت نفادها عندما وصل إلى منتصف طريقه على كثبان النفود من ديار نجد أثناء توجهه إلى ديار الحجاز للحج والسلام على الملك الصالح الذي ما انفك يدعو له طيلة المسير، وقد انتشر نبأ عدله وحنكته وحكمته في الآفاق:

تذكرني الرّمال بأرض نجد
وقلبي عند من هزّ الرمالا!!

والصبر جميل، لكن للصبر عند المتلهفين حدود، فليس لشاعرنا إلا أن يعلل نفسه، ويسليها بالأمل القريب المنتظر، حيث ستقر عينه عندما يسعد ويتشرف بالوقوف أمام الملك عبد العزيز، كما يقول الطغرائي (يرحمه الله):

أعللُ النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش! لولا فسحة الأمل

وفجأة إذا بشاعرنا أمام هضاب الحجاز وجهاً لوجه، بعد أن سلب الشوق من ناظريه رقادها!! أجل .. لن يهنأ لعينيه الرُّقاد إلا بعد أن تكتحل بمرأى من قصده. وحق له ذلك.

ما أجمل هذا الشوق! وما أروعه ! وقد قص أجنحة النوم، حتى لا تحوم على أجواء ناظريه!! حول هذه الفكرة المضيئة في قلب مروج القصيدة، ها هو يقول بكل فخر واعتزاز :

قطعتُ إليك الفجَّ، والشوقُ رائدي
ونارُ الجوى أورتْ بقلبى زنادها!
ولمّا بدتْ من أرض نجد نفودُها
وقد قاربتْ نفسُ المشوق نفادها
تعلّلتُ في لُقياك عن كل مأرب
ونفسي من ذكراك صيّرْتُ زادها
وحين تراءت للحجاز هضابه
وقد سلب الشوقُ العيون رُقادها!!
فقلت لها: قرّى، فقد قرُب الحمى
وقاربتُ مولى يعرُب وجوادها
وباتت تُناجي الفرقدين مناعة
مبان لك الرحمن بالعز شادها

بعد ذلك شرع يدعو بدوام الحكم للملك عبد العزيز وذريته، بأن تكون القيادة فيهم إلى يوم الحشر، وفيها دعاء للملك فيصل (يرحمه الله)، الذى أحكم ثغور البلاد بدهائه وشجاعته وإقدامه منذ شبابه المبكر، كما دعا للملك عبد العزيز بطول

العمر المبارك، فهو مَنْ سيقود الأمة من الغمة الى القمة!! مهما شبّت فتن الغرب الحقود:

إلى الحشر فيكم، لا تزال وراثة
نؤملُ من باري الوجود امتدادها
وفي «فيصل» أكرم بطلعة فيصل
وجدنا ثغور المسلمين سدادها
تراه يداً للمسلمين وعُدّة
إذا فقدت يوم النضال عتادها
أمولاي .. دم للعرب حيّاً مملّكاً
وتلك حياةٌ ، لا نُحبُّ افتقادها
لعلّك إنْ شبّتْ من الغرب فتنةٌ
لتضمنُ للإسلام منها حيادها

وختم مسكها الفوّاح بمخاطبته منادياً بأنهُ دبّج قصيدته، وهو في غاية الفخر والاعتزاز، بيد أنهُ جعل مدادها من سواد عينيه، التي ملأ بها عيون المحبين قرّة! وعكس ذلك مع الشانئين.

ويقسمُ بالله الذي اختار الملك عبد العزيز حاكماً وحارساً على نجاد الوطن وبطاحها بتجددُ العيد في كل حجّة، على أن المكرمات؛ تثني إليه وسادها!!

أمولاي.. قد دبجتُ فيك قصائداً
جعلتُ سواد العين منّي مدادها!!
ملأت بها عين المحبين قرّة
ومن عين أعداكم، فقأتُ سوادها!

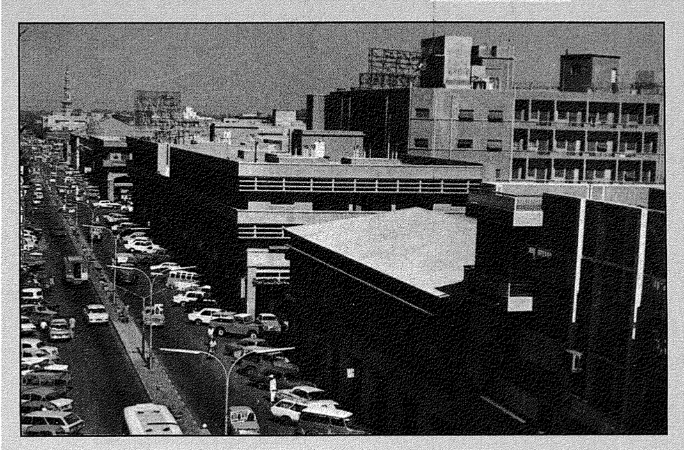
ولا .. والذي استولاك حرمة بيته
وولاكها بطحاها وجيادها
تجدد فيك العيد في كلّ حجّة
وتُثنى إليك المكرماتُ وسادها!

هكذا انتهت قصيدة الشاعر العراقي الوفي «ابن الخطيب» أثابه الله ورحمه، بعد أن تجوّلنا في بساتينها العبقة، ذات الأزهار المبتسمة، والأنهار المتفجرة!! والحديث عن الملك «عبد العزيز» - يرحمه الله - ذو شجون، وهو بحاجة الى مؤلفات، لأن حياته كما يقولُ فضيلة الشيخ/ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل (مدير إدارة الأوقاف والمساجد في الأحساء)، وهو من المؤلفين المبدعين في الفقه والعقيدة والأدب واللغة والتاريخ والتراجم والنقد.. حيث يقول (أثابه الله):

«فحياة الملك عبد العزيز رحمه الله مليئة بالأحداث الجسام، والعبر. وشخصيته متعددة النواحي، في كل جانب منها تبرز عظمته، حتى إنها الجديرة بتقديم رسالة أو بحث.

فعفته واستقامته وورعه وشجاعته وفروسيته وفراسته وإقدامه وانتصاراته وبعد نظره، وسعة أفقه.. وإقامته الحدود الشرعية وصرامته وعدله وتأمينه السبل وأخذه على أيدي المفسدين وتقديره للعلماء الصادقين المخلصين، كل ناحية منه تستحق دراسة مستقلة... الخ».

انظر مقدمة كتابه (شعراء العلماء بين يدي الملك عبد العزيز).



الشاعر السوداني
احمد محمد صالح

ولد شاعرنا احمد محمد صالح ـ طيب الله ثراه ـ في أم درمان عام ١٨٩٤م وتوفي في عام ١٩٧٢م، تخرج في كلية غردون عام ١٩١٤م وعمل مدرساً للغة الإنجليزية والجغرافيا بالمدارس الابتدائية (المتوسطة الآن). ورقي ناظراً وهو في الثلاثين من عمره، وتقلد وظائف كثيرة في وزارة المعارف حتى أصبح نائباً لمديرها الإنجليزي. عمل أيضا مدرساً بكلية غردون وسماه طلبته في الكلية «الإنجليزي الأسود» لمعرفته الفائقة باللغة الإنجليزية. وعند استقلال السودان أختير عضواً في مجلس السيادة، وكان له فضل في نظم نشيد الجيش والسلام الجمهوري السوداني.

كان شاعراً فحلا، عشق الشعر منذ طفولته وحفظ عيون الشعر العربي والإنجليزي وأطلق عليه الشعراء المعاصرون له لقب «الأستاذ الشاعر». كان وطنياً يعتز بكرامته وحريته، وله ديوان بعنوان



بقلم : د. عبيد خيري – المدينة المنورة

«مع الأحرار» مقسم إلى أبواب هي: باب المدح، باب الرثاء، باب الاجتماعيات، باب الوطنيات، باب الغزل، وأخيراً باب العروبة. هذا ووجدت أحداث العالم العربي طريقاً إلى نفسه وحركت مشاعره فصاغ في ذلك شعراً حافلا بضروب البلاغة والبيان.

وفي قصيدته «دمشق مهد الحرية» يصور شاعرنا ما ألم بها من دمار وخراب عندما أراد الفرنسيون الاستيلاء عليها وضمها لهم كإحدى مستعمراتهم. فصاغ في ذلك شعراً ضمنه لواعج نفسه وصوَّر فيه صدى تلك الكارثة في مختلف البلاد العربية وعواصمها التي رددت هذا الصدى ألما وحسرة وغضباً، فهو يهيب بدمشق ويناشدها الصبر وسعة الصدر وطول الأناة. هذا وجَسَّد دمشق في شخص حزين مُكْفَهرّ الوجه، ولم يكن جرح دمشق جرحها فقط بل كان جرحاً عميقاً غائراً في مختلف البلاد العربية. فعمان جازعة وصنعاء مهتزة روابيها لهول ما أصاب شقيقتها دمشق، والخرطوم ترى في محياها آثار الحزن والألم الدفين، وبيروت تئن أسى وحزناً عميقاً. كل هذه المآسي والأحزان صاغها الشاعر في أسلوب اتسم بجزالة اللفظ وجمال التجسيد وحسن السبك والصياغة، فقال:

صبراً دمشق فكل طرف باك
لما استبيح مع الظلام حماك
جرحُ العروبة فيك جرحٌ سائلٌ
بكت العروبة كلُّها لبكاك
جزعتْ عمانُ وروِّعتْ بغدادُ واهـ
تزتْ ربي صنعاء يوم أساك
وقرأتُ في الخرطوم آيات الأسى
وسمعتُ في بيروت أنَّة شاكي
الزعفرانُ مشتْ عليه كآبة
لما استبد السَّيفُ في مضناك
والروضةُ الفيحاء رُوِّع ركنُها
لما تعفر بالثرى خدُّاك

ثم دلف بعدها يتحسر على الغساسنة والعرب في دمشق وهم يلثمون حصاها وثراها حباً وعاطفة وهياماً بها، ثم يعود فيواسي الأمة العربية في الكارثة التي أحلت بها ليهون على نفسه وقع الفاجعة وفظاعتها. وعلى الرغم من ذلك الدمار

والهلاك فسوف تعود دمشق لا محالة إلى رونقها وعظمتها ومجدها الطارف التليد. فكانت حاضرة للأمويين وتاجاً على رؤوسهم حيث كانت عزيزة في الجاهلية والإسلام، فهي قبلة العباد والنسّاك، وفي هذا أنشد شاعرنا قوله:

ضربوك لا متعففين سفاهة
لم تأت إثماً يا دمشقُ يداك
ورماك جبّارٌ يتيه بحوله
شُلَّتْ يمين العلج حين رماك
أين الغساسنةُ الألى دانتْ لهم
عُرْبُ الجزيرة يلثمون حصاك
بل أين من مروان كلُّ خليفة
لو يستطيع بتاجه افداك
قم يا ابن هند وامش فيهم غازياً
في كلِّ جبّار العزيمة شاكي
جدد لنا يوم اللواء وعهده
وأعد علينا ما حكاه الحاكي
أيام خيل الله أو قُلْ جمعهُمْ
في دار أهل البغي والإشراك
يحملن كلَّ أغر وضّاح السنا
عند الكريهة باسم ضمّاك
داسوا فرنسا واستباحوا أرضها
وغدوا لحوزتها من المُلاك

سبحانك اللهم أمركُ نافذٌ
لك حكمة جلَّتْ عن الإدراك
صبراً دمشقُ فكلٌّ هم زائلٌ
وغداً يلوح مع النجوم سناك
تتألقين كما عهدتك درة
في تاج أروع من أمية زاكي
في الجاهلية كان عزك باذخاً
وازدان بالإسلام عقدُ حُلاك
يا جنة الدنيا وبهجة أهلها
وحظيرة العبّاد والنُسّاك
يا معقل الإسلام في عليائه
لا تُذعني للغاضب السفّاك

ثم خاطب شاعرنا ديجول (رئيس فرنسا) ساعتئذ وذكره بما أصاب سيدان وما عاناه رجاله من التقتيل والتعذيب وموقفه الجبان وفراره حين غزا هتلر بلاده تاركاً قومه تحت نيران الحروب ومآسيها، ناجياً بنفسه ممثلا الغدر والإفك والخيانة. ثم مجد شاعرنا للإنجليز دورهم في مساندة فرنسا فلولاهم لأصابتها وصمة العار والذل والخزي، ولكن حتى هؤلاء جحد ديجول ما فعلوه وتباهى بذلك النصر الذي لا محالة زائل

وغــداً تدور الدائرات على بلاده وعندها ســيكون شاعرنا أول شامت ينعاها، فقال:

قــولي لديجـول مـقــالة شــامت
أنســيت فـي باريس نـوح البـاكي؟
أنسيت كيف ترنحتْ (سيدانُ) من
ضــرب على هام الرجــال دراك؟
أنســيت يوم أتاك هتلرُ غــازياً
وفـررت لـم تـصـبـر لـيـوم عـراك؟
خلَّفت قــومك يلطمــون خــدودهم
ونجــوت فــعل الـغــادر الأفــاك
مـهـلا فـرنسـا فـالحـوادث جمـةٌ
والـدهـر دوَّارٌ مـع الأفـــــــلاك
والله لولا الإنجليــز وحلفــهـم
لذهبت غـيـر حـمـيـدة ذكـراك
هم آزروك فكُنت وصــمـة عــارهم
يـاليــتــهـم تركــوك في بلواك
سرعان مـا نسيت يداك صنيعهم
ورمـــيــتــهم بـالطين والأشــواك
وزهيت بالنصر الرخيص سفاهة
أتـراك بـلّـغت الأمــــــان ثـراك
اليــوم أنت عــزيزة مــوفــورة
حـتـمـاً فـهـتلر قـد مـضى لـهـلاك
وغـداً تدور الدائرات فـشــمـري
ســاكـون أول شــامت ينعــاك

ثم ختم شاعرنا منظومته هذه بتوجيه النصح الى العرب وطلب منهم عدم الركون الى الغرب، فهم كفرة لا يوفون بوعد، ولكنهم ينصبون حبائلهم للدول الصغيرة فتقع في شراكهم. ثم أوصاهم بالاعتماد على النفس وحماية أوطانهم والزود عنها بكل ما أوتوا من قوة الإيمان وثبات العقيدة، وذلك في قوله:

قل للعــروبة قــول بـاك مــشــفق
لا تركني للغــرب في مــســعــاك
الوعــدُ عندهم جَــهَــامٌ خُلَّبٌ
وعــهــودهمُ شَــرَكٌ من الأشــراك
إن كنت تبــغين الحــيــاة عــزيزة
صُـوني حـمـاك وسـددي مـرمـاك
(من لم يذد عن حـوضـه بسـلاحه)
كـبْــرٌ عليــه فــذاك في الهُــلاك
إن كــان سـرَّك أنهم قــد بشّــروا
بالحبِّ حـقـاً كـان مـحض تبـاك
كم خـوَّر الأعـصـابَ مـعْـوالُ المُنى
حلْـو الحـديث حُـبـالة الفـتَّــاك

الاجتهاد مشروع حضاري

ثقافة الإبداع والتجديد

ما من شك في أن الاسلام قد أطلق عنان التفكير والاجتهاد ودعا الى اكتشاف السنن الإلهية في الكون والحياة والاجتماع.. وهذا كتابه الأكبر (القرآن الكريم) يمثل دعوة صريحة الى التدبر والتفكر والنظر والابداع والانتاج والعمل {**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء**} (الأعراف/٥٤). {**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**} (الذاريات/٢١).

وكان ثمار هذه الدعوة ذلك المنهج التجريبي الذي أبدعه المسلمون وأنتجوا من خلاله آثاراً علمية شهد لهم العالم بالبراعة فيها والأصالة، ولقد كان معلوماً في تاريخ العلم أن الأوربيين في عصر نهضتهم اقتبسوا هذا المنهج من المسلمين مباشرة، بعد أن عجز المنهج الارسطي عن أن يكون اداة علم نافع، وكان المسلمون من قبل قد نقدوا هذا المنهج وتجاوزوه[١].

والحق أنه لا يمكن للانسانية أن تتطور وتتكيف مع ما يحيط بها من عوالم، ولا يمكن أن توظف هذه العوالم لخدمتها، دون أن يكون هناك منهج عملي يفضي الى الابداع، كما أنه بدون هذا الابداع لن تكون هناك نقلات في تاريخ البشرية على مستوى الفكر والاكتشاف والصناعة، ولن تكون هناك حداثة بالمعنى الذي نفهمه للحداثة، وهو أننا كلما وجدنا إبداعاً وجدنا عملا حديثاً، وبهذا المعنى فالحداثة ظاهرة تاريخية إنسانية عامة[٢]، وليست وقفا على مرحلة معينة من التاريخ الحديث، كما يريد لها الأوربيون والمتغربون في بلادنا.

ولقد عدّ الاسلام الاجتهاد في الامور التي لم يرد فيها نص شرعي (إلهي أو نبوي)، عَدَّه مصدراً من مصادر التشريع، وندب إليه القادرين عليه، وأثاب من يصيب فيه مرتين، ومن يخطىء مرة ولعل في ذكر حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) ما يوضح هذه الدرجة الاجتهادية. فلقد سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم) معاذاً عن سبل استنباطه للاحكام التي سيقضي بها بين الناس قائلا: (بم تقضي)؟، فقال: بكتاب الله، فسأله: (فان لم تجده في كتاب الله؟)، فقال: أقضي بما قضى به رسول الله. فسأله: (فان لم تجد فيما قضى به رسول الله؟)، فقال: أجتهد رأيي، ولا آلو. وعند ذلك قال الرسول: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله)[٣].

هذا في حدود الدين والفقه، حيث يطلب النظر والاجتهاد أو قل التجديد، كما يفهم من الحديث: (يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)[٤]. والدعوة في هذا المجال مستمرة حيث

بقلم : **د. شلتاغ عبود** - جامعة سبها - ليبيا

يجب بذل الجهد العلمي الدائب وتشجيع منهج الجمع بين العقل والنقل، واصطناع علوم الدراية الى جانب علوم الرواية، وذلك من خلال فقه اسلامي معاصر يساعد على التطبيق اليومي للاحكام الشرعية، مما يجعل الدعوة الى جعل الشريعة الاسلامية مصدراً للتشريع في العالم الاسلامي أمراً مقبولا لدى الامة، ومفروضاً على الحكام الذين لا يرضيهم هذا الاتجاه.

اما فيما يتعلق بالابداع والاجتهاد والتجديد في امور الدنيا، فلا حدود له اذا التزم بالخطوط العريضة للتصور الاسلامي، ومصالح العباد، بل هو عبادة لله اذا توفرت فيه النيات الصالحة.

واذا كنا نفكر في مشروع احياء حضاري هادف، فانه لا مفر لنا من جعل الابداع هاجساً يومياً في ضمير كل إنسان مسلم في حدود الطاقات والامكانات والمواهب. ولكن لا ينبغي أن يكون هذا الابداع خاضعاً لضغوط **المشروع الأوربي الذي يريد تفصيل الحياة الاسلامية على قياساته وتصوراته**، لأننا لو فعلنا هذا لفقدنا مبرر عرض أي مشروع، لأن عرضك لمشروعك الحضاري يعني قبل كل شيء تميزك وأصالتك وإبداعك الخاص.

كما ينبغي التأكيد على ان **المشروع الثقافي الاسلامي لا يعني السكونية والركون الى جوانب الابداع في العصور الاسلامية السابقة** فيما لم يعد مفيداً للحياة المعاصرة، لأننا لا ننظر الى هذه الجوانب نظرة تقديس ولا نعطيها صلاحية البقاء لكل زمان ومكان، لانها نتاج انساني خاضع لزمانه ومكانه. ومن المعلوم أننا لا نلزم انفسنا الا بما هو ثابت من مصادر التشريع الاسلامي، وما هو من ثوابت الشخصية الاسلامية وسماتها، وما عداه من نتاجات المسلمين فنحن نتعامل معها بحرية تامة، فنأخذ ما نأخذ وندع ما ندع، ولكننا - وهذا حق يجب أن يؤكد - لا نتعامل مع هذا التراث، تعاملنا مع الوافد الغربي الذي يعكس التصور الأوربي للحياة، ونضعهما على طاولة واحدة.

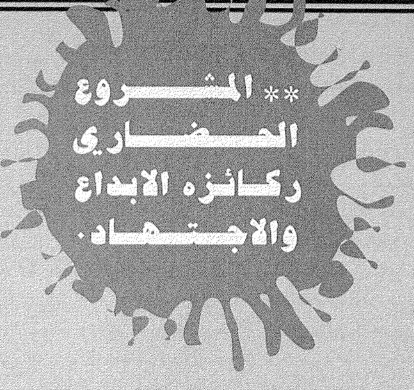
فالأمر مختلف، اذ إن ما أنتجه المسلمون القدامى صار جزءاً من كياننا وحياتنا المعاصرة، وهو يسري في شرايين كل جسد منا، فهو - في كثير من جوانبه - معاصر وحيوي، بقدر ما هو ماض وتراث، ولكن الذي نحياه من الوافد المستورد لم يشكل جزءاً من كياننا العضوي، بل إنه مازال طارئاً مفروضاً علينا بالاكراه تارة، وبالإغراء تارة أخرى.

وبكلمة أخرى إننا لابد أن نفكر في معادل مشروعنا الحضاري الجديد من خلال ما نضيفه نحن، وليس من خلال ما نقتبسه من الغرب، او نقلد به اسلافنا، وهو غير نافع، وغير مناسب لايقاع حياتنا وحركتها وتوقها الى المنافسة والبناء والحضور.

وفي هذا المجال لابد أن نشير إلى شريحة من الناس الاحياء بيننا تستفزهم

**** الحداثة ظاهرة تاريخية انسانية عامة.**

**** الاجتهاد منهج عملي يفضي الى الابداع والتقدم.**



** المشروع الحضاري ركائزه الابداع والاجتهاد.

الدعوة الى التجديد واستعمال العقل خشية منهم وغيرة على الدين، وهم صادقون مخلصون في هذه الخشية والغيرة، ولكنهم ليسوا على صواب في هذا الاتجاه، وإن فهمهم هذا مجانب لمنهج الدين نفسه، **فالدين الاسلامي في حقيقته ثورة على الجمود ودعوة الى التأمل والاجتهاد والابداع**، كما اشرنا.

ومن المعلوم أن أمتنا مرّ عليها وقت من الخمول والتبطل والركون الى التواكل وعدم التعلق بالاسباب والبعد عن روح العلم والعمل والفاعلية، فعلينا ـ ونحن في سبيل الدعوة الى مشروع ثقافي حي ـ أن نُهيْيء المناخ المناسب للفكر المبدع، والنتاج الخلاق، والروح المتوثبة المجددة، التي تحرك الكيان الانساني كله: عقله وقلبه ويده، ليسوح في ملكوت الكون فيبدع ويبني ويجني ثمار ابداعه وبنائه.

يرى بعض المفكرين إن السبيل الى هذا المناخ هو (توفير او تطوير بعض التشريعات القانونية اللازمة للنشاط الثقافي، وعلي رأسها التشريعات المتعلقة بحرية المثقف، وبتشجيع الانتاج الثقافي وبتمويل الثقافة، وبانشاء الصناعات الثقافية، وبحقوق التأليف، والعمل الثقافي، وبحماية الآثار، وبتكوين الاتحادات والنقابات الخاصة بالثقافة بأنواعها المختلفة)[٥]، بمعنى آخر أن تكون لنا سياسة ثقافية شاملة واسعة تمثل الثقافة بروحها العام، وهي حركة الفكر والادب والصناعة والتقاليد، بل حركة الحياة كافة.

وما من شك في أن روح هذا المناخ الثقافي العام وقاعدته هي الحرية التي تسمح لجهاز التنفس لدى الفكر والابداع أن يعمل بأقصى طاقاته دون معوقات او اختناقات، إذ انه لن يكون هناك إبداع مع القيود والهيمنة والاستبداد والفرعونية السياسية والثقافية. فالبلبل ـ كما هو معلوم ـ لا يَنْسلُ داخل قفص، حتى هذا الطائر الصغير له أسلوبه في رفض القيود والاعتراض عليها بطريقة عدم الإنجاب حتى لا يلد عبيداً مقيدين مثله!!

غير أن قضية الحرية هذه يتجاذبها جانبان متطرفان هما: **حرية مطلقة من كل قيد**، ولا حرية على الاطلاق!! وكلا الجانبين غير مجد وغير واقعي ولا يسهم في بناء الحياة والانسان والنظر الصحيح الى هذه المسألة يمكن استيحاؤه من المنهج الاسلامي الذي لا ينظر الى حرية الفرد الا من خلال المجتمع بما فيه من أفراد آخرين واتجاهات أخرى، وهو ينمي لدى الانسان **الوازع الاخلاقى الذي يراعي الذات والجماعة**، ولا يشتط او يجعل كفة الميزان تميل لصالح الذات، او تذيب الذات في المجتمع الا في الحالات الخاصة بالتضحية التي تحيي الذات والمجتمع معاً[٦].

إن **الانسان** في المفهوم الاسلامي **سيد في الكون** مكرم، وهو يمارس حريته كخليفة لله في هذا الكون،

وهو بذلك لن يسيء استعمال هذه الحرية، ولن يركن معها الى ظلم، وهو يختلف عن الانسان الأوربي الذي أراد أن يكون **سيداً للكون**[٧]، أو إلهاً فيه، بعد أن تمرد على الألوهية العظمى، وكانت الحرية التي أعطاها هذا السيد لنفسه قد أفضت به - في جانب من جوانبها - الى الخروج عن أي التزام أو أخلاق يفرضها الدين، ولم يعرف الا الاخلاق التي تؤدي الى المنفعة.

والمَعْلَمُ الآخر المتولد من مناخ الحرية هو **تربية العقل الناقد** الذي يتعامل مع الأفكار بعقلانية وفعالية ناقدة، ولا يأخذها كمسلمات الا ما كان منها منسجماً مع الفطرة والعقل الكلي والتوجيه الرباني المتفق على نصيّته.

وهذه العقلية الناقدة المتبصرة هي التي تقابل بين مختلف المعطيات حتى ما كان منها متعارضاً، لتقارن وتحاكم حتى تتوصل الى وجوه الحق بأكثر ما يمكن من الضمان، دون الاقتصار على الوجه الواحد من المعطيات مما قد يكون سبباً في انحجاب الحقيقة أو جزء منها عن الباحث عنها[٨].

وما من شك في **أن المجتمع الذي يتمتع بدرجة عالية من الرشد والوعي هو الأقدر على اشاعة روح النقد بين اعضائه** وجعله عرفاً او تقليداً اجتماعياً وثقافياً يسهم في بناء الكيان الثقافي كله، ويسارع في البناء الحضاري للامة. ولو أنك تصورت مجتمعاً يخلو من روح الإرشاد والنقد والتربية الناقدة الواعية، لتصورته مجتمعاً ساكناً راكداً خالياً من ملامح الحيوية فاقداً لحركة النمو والتطور، ولن يكون هذا المجتمع سوى مجتمع السلطة القاهرة، والفرعونية المتجبرة، والرأي المفروض بالأسنة والحراب!! ولقد لاحظنا من خلال المعايشة أن **المجتمعات الراكدة يثيرها النقد ويستفزها**، وترى أوداج الشخص - اذا ما وجهت إليه نقداً أدبياً أو علمياً - تنتفخ ظاناً أن هذا النقد موجهاً الى شخصيته، وليس الى الأثر المنقود إن كان أدبياً أو علمياً.

وكلما زادت نسبة (الهمج الرعاع) - بتعبير الامام علي - كان المجتمع اقل استعداداً للنقد، وأقل تقبلا للنمو: (الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا الى ركن وثيق)[٩]. وكلما قلت فيه نسبة هؤلاء، وزادت نسبة المتعلمين على سبيل النجاة، ونسبة المبدعين والمجتهدين الذين يستخدمون عقولهم، ويستنبطون الاحكام الشرعية، ويساهمون في تنمية

**** الاسلام ثورة على الجمود، ودعوة للتأمل والتجديد.**

**** الثقافة، مفاتيح حركة الحياة.**

**** الحرية، هي منظومة الوازع الأخلاقي الذي يراعي الجماعة والذات.**

**** في المفهوم الاسلامي الانسان سيد في الكون وليس سيد الكون.**

**** الحرية تعلي من شأن العقل الناقد.**

**** المجتمعات الراكدة يثيرها النقد ويستفزها.**

**** الكيان الثقافي الحيّ يطور مؤسساته وأفراده.**

الواقع والانسان، كان المجتمع يسير في طريق النمو والتكامل حقاً.

والأمر ليس سهلا، بطبيعة الحال، وهو يتعلق ببرنامج الثقافة ومحيطها ومناخها وطماح النفوس الراغبة في الحرية المستعصية على الاستبداد.

ولا ينبغي أن يكون هذا **النقد** وقفاً على علم معين او فن او سلوك بل هو روح تسري في كل الكيان العضوي **للثقافة الاجتماعية، والكيان الثقافي الحي هو الذي يطور مؤسساته وأفراده وفنونه وعلومه**، فتجده دائم الدأب، دائم التغيير، دائم الاصلاح، دائم النقد.. وقد يقوم الفرد نفسه مقام الناقد المفترض، فيمارس النقد والمحاسبة لنفسه واعماله، ونحن المسلمين لسنا بعيدين عن التوجيه القرآني والنبوي في هذا المجال.

ولكن - والحق يقال - إن واقعنا الاسلامي ليس صورة مثلى، ولا صورة تعكس هذا التوجيه القرآني والنبوي، فمازلنا نحب المديح ونطرب له، على الرغم من أنه (كسر للرقاب) كما ورد في التعبير النبوي، بل ان النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: احثوا التراب في وجوه المدّاحين!!

ومازلنا أبعد ما نكون عن المحاسبة الذاتية، والمحاسبة لمؤسساتنا او حركاتنا السياسية التي ننتمي إليها[١٠]، بل إن **رموزنا الثقافية والفكرية ننظر إليها على اساس من الرهبة، وكأنها من نسيج (ما فوق الواقع)**، في حين أن كل حديث وكل رأي يمكن محاورته واغناؤه، او ترشيده.. الا حديث المعصوم الذي لا ينطق عن هوى، ولا ينزع عن خطل. كما أن كثيراً من **عاداتنا الاجتماعية** التي تشكل جانباً كبيراً من حركة الروح والفكر والعواطف في محيطنا الثقافي، مازالت محاطة بمهابة القداسة والتقليد، بينما هي خالية - احياناً - من القدرة على تغيير محتوياتنا الداخلية أو واقعنا الخارجي، لما في بعضها من مفارقات وتجاوزات في الشرع والمعقولية[١١].

والحق أننا في صمتنا هذا كثيراً ما نترك الفرصة سانحة لأعداء الاسلام ليمارسوا النقد لواقعنا وفكرنا وتراثنا، ومن المعلوم أن نقد هؤلاء فيه قسوة وبعد عن الحقيقة في كثير من الاحيان، ولكن شرائح واسعة من الأمة تستقبله بالرضا، لأن الساحة الفكرية خالية من النقد للبيت الاسلامي ومرافقه المتعددة. تصور لو أننا مارسنا بانفسنا نقد التراث بمعناه الانساني الذي يمتد الى الف وخمسمائة عام، بما فيه من حقول فلسفية واجتماعية، ودينية (تصرفات اشخاص محسوبين على الدين، او افكار او احاديث لاشخاص محسوبين على الدين)، ألم نكن قد سحبنا البساط من النقد الذي صُبَّ على تراثنا صبا على ألسنة المنافقين والعلمانيين من أبنائنا، والذين لم يكن لهم فضل في هذا - في كثير من الاحيان - سوى ترديد ما قاله أساتذتهم من المستشرقين.

ولابد - في هذا المجال - من التحذير من أن نفهم النقد على أنه القاء الضوء الكاشف (البروجكتور) على نصف الكوب الفارغ، أو على زاوية معينة مظلمة من

ديكور المسرح، ولا هو نوع من التيئيس أو إشاعة روح الإحباط، بل هو لا يقل عن الابداع نفسه، وعن البناء ذاته، وهذا النوع من النقد هو الذي يكون في تركه خطر، لأنه نوع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وناهيك عن عظمة هذه الشعيرة في الاسلام.

والاطار العام لهذا النقد البناء هو التسامح والانفتاح والحوار الايجابي والنظرة التاريخية المتبصرة لحركة الفكر في الواقع الاسلامي خلال قرون عديدة تنتهي الى الاقرار بأن **التسامح هو اختراع اسلامي** لم تحظ به امة من الأمم في مجال علاقاتها بين افرادها وبينها وبين غيرها من الأمم تستشف ذلك من التوجيهات القرآنية والسنة النبوية وعلاقات مجتهدي المذاهب وعلماء الاسلام عموما، إذ كان احدهم يقول: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخر خطأ يحتمل الصواب!! حتى صار للمسلمين أدب خاص بالاختلاف والحوار، انطلاقاً من كون الاختلاف نفسه سنة إلهية في الحياة البشرية، فهو واقع بمشيئة الله، وغير منفصل عن حكمة الله: **{ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم}** (هود/١١٨).

اي من اجل الاختلاف خلقهم، كما يرى بعض المفسرين، أو من اجل ذلك الأختيار الذي كان منه الاختلاف. كما يقول الزمخشري[١٢]. فهو القادر - سبحانه - على أن يجعل الناس على نمط واحد من التفكير، بل لو شاء لجعلهم مسلمين موحدين، ولكن حكمته اقتضت هذا الاختلاف في التفكير والأديان والمذاهب هذه هي طبيعة البشرية، اذ **التنوع في أدائها وتفكيرها هو القاعدة، وطبعهم على نسخة مكررة وتشابه تام هو الاستثناء.**

وهذا من الحقائق التي فرغ الوعي الاسلامي من تقريرها وإشاعتها في النسيج الثقافي العام للامة، ولكن ثمة تداول للايام حدث، فصارت الامة تعاني من تطاحن مذهبي داخل حصونها شغلها عن الوحش الرابض على ثغورها، وكلنا يعلم أن الصراع العثماني الصفوي في اطاره المذهبي والسياسي كان تحطيماً للقوة الاسلامية وتمكيناً للمارد الغربي في بدايات توثبه وانقضاضه على محيطات الاسلام ومراكز إشعاعه، بل إن المذاهب الاسلامية الأربعة حدث بينها من الصراع ما لو وظف لصالح الاسلام لكان الاسلام بألف خير.. ولكن هذا الذي حدث في المراحل الأخيرة من تاريخنا!!.

والدعوة اليوم ملحة الى بناء البيت الاسلامي من الداخل وترميمه وجعله قادراً على الثبات والرسوخ امام عوادي المعتدين ومكرهم وتربصهم.

واذا كانت الدعوة ملحة في الانفتاح على التيارات الفكرية والمذهبية داخل البيت الاسلامي، فانها ملحة -



كذلك ـ من حيث التعامل مع الأمم والشعوب وثقافاتها وأنساقها الفكرية، وذلك استجابة للنداء القرآني في التعارف والتجاوب بين بني البشر، وفي هذا اغناء لفكرنا نفسه، لأن منطلقاتنا وانجازاتها تبقى انجازات بشرية محتاجة الى رفدها من تجارب الآخرين واغنائهم. وهذا التلاقح والتبادل الثقافي سنة وليس وقفاً على تجربتنا في التعامل مع الآخر، بل كان الآخر نفسه ميدان استفادة وأخذ من حضارتنا وانجازها في مرحلة ازدهارها.

ولكن هذا المنطلق، على صحته وسلامته بشكل عام، يحتاج الى شيء من الضوابط والايضاحات، منها **اسبقية وعي الذات** وتشخيصها وتركيز عناصرها في الامة المسلمة، ثم الانطلاق ـ بعد ذلك ـ لحالة التواصل مع الآخر[١٣]. ومنها الا يكون هذا التسامح من نوع الصلة بين القاتل والقتيل، **اذ لا يمكن أن يكون هناك حوار وانفتاح وتسامح مع حضارة تريد استئصالك وتريد تهجينك وترويضك على الانصهار** في مفرداتها ونسقها العام، وهذا ما يحدث بالضبط في علاقة الثقافة الغربية بثقافة العالم الاسلامي، وثقافات الشعوب الأخرى. فالثقافة الغربية تنطلق من عقدة التفوق والمركزية، وتعد نفسها ثقافة نهائية ونموذجاً ينبغي ان يحتذى عالمياً، إما بالاغراء وإما بالقسر والإكراه.. وتاريخها وصراعها مع ثقافات الأمم شاهد على هذا، وما حديث (العولمة) عنك ببعيد.. حيث يراد للدنيا كلها أن تفصل على مقاس النظرة الغربية للانسان والفكر والاقتصاد والسلوك!!.

وهذا ـ في واقع الامر ـ **استئصال بشفرة السيف، وليس تسامحاً او انفتاحاً.** إن الانفتاح الحقيقي، او الحوار الحقيقي هو الحوار المتكافىء الذي يكون بين الانداد الأحرار، وليس حوار السيد مع عبيده[١٤]، كما هو الحال في الحوار الذي يحدث بين اوربا وافريقيا تحت ضغط التجويع والتمسيخ و(الفرانكفونية) الثقافية الفرنسية المفروضة على تلك الشعوب المغلوبة.

**** التسامح اختراع اسلامي، فقدته كثير من الأمم.**

**** الصراع العثماني حطم القوة الاسلامية ومكن للغرب.**

وإذا كانت الدعوة الى السلام والبعد عن الحقد معنيان قريبان من روح الاسلام وأجوائه، فانهما لا يعنيان ـ في فهمنا ـ تطبيعاً وتدجيناً للعقل المسلم لأن يستجيب لمعطيات الأقوياء الذين يخططون ليل نهار لنهب ثرواتنا، ومسح ثقافتنا، واستعبادنا.. بل ربما تكون تغذية النفوس والوجدان بالحذر من فكر الآخر وهيمنته هو السبيل لليقظة

وعدم الذوبان، حتي ليكون ذلك نوعاً من التربية العسكرية وتنمية لروح الاستعداد والتحدي[١٥].

ثم لماذا هذا الحديث الذي شاع على كل لسان عن التسامح مع اوربا ومع المسيحية واليهودية، عبر مصطلحات من مثل (حضارة البحر الابيض المتوسط)، و(الثقافة الشرق أوسطية)، ولا نسمع عن حوار وتلاقح مع ثقافات الشعوب الاسلامية في ايران وتركيا واندونيسيا، فضلا عن ثقافات الشعوب الأخرى في اليابان والهند وامريكا اللاتينية؟ تبقى القاعدة تعميق الوعي بالذات وبناء اسس التميز والخصوصية، مع الانفتاح والحوار مع ثقافات الشعوب والأمم الأخرى شريطة الالتفات الى الضوابط والحدود التي أشرنا إليها.

الهوامش :

(١) ينظر بحث (نظرية الاستقراء الأرسطية وموقف جابر بن حيان منها) د. عادل محيى الدين شهاب، مجلة جامعة سبها، قسم الآداب والعلوم الانسانية، ع٢، ١٩٩٥، ص ٩٧.

(٢) بحث (العولمة والهوية الثقافية)، د. سليمان نجم خلف، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، الكويت، ع٦١، ١٩٩٨، ص ٢٢١.

(٣) رواه ابن حنبل، وابو داود والدارمي وابن ماجه.

(٤) رواه الدارمي (الملاحم).

(٥) ينظر بحث (المسألة الثقافية بين الاصالة والمعاصرة) في ندوة مركز دراسات الوحدة العربية، بعنوان (التراث وتحديات العصر في الوطن العربي)، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٧١٢.

(٦) التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، د. علي القريشي، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٩، ص ٢٣٦.

(٧) بحث (الهوية الثقافية بين الاصالة والمعاصرة) د. محمد عمارة، مجلة رسالة الجهاد، مالطا، ع١٠٠، ص ٩٦.

(٨) المستقبل الثقافي للغرب الاسلامي، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الاسلامي بيروت، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣٨.

**** حضارات الغرب لا تعترف بالآخر وتعمل على تهجينه او استئصاله.**

(٩) نهج البلاغة، تحقيق د. صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٤٩٦.

(١٠) ينظر، الحركة الاسلامية، رؤية مستقبلية، اوراق في النقد الذاتي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩.

(١١) ينظر، الاختلاف والنقد ثم الاصلاح، مختار الاسدي، قم، ايران، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، كما ينظر ملف مجلة التوحيد عن اصلاح الشعائر الحسينية، وندوتها، ع ٩٤، ١٩٩٨م.

(١٢) الكشاف، جـ ٢، ص ١٢٠.

(١٣) متابعات ثقافية، عبد الجبار الرفاعي، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ايران، ط ١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٢١٥.

(١٤) ينظر، الثقافة العربية وثقافة العالم، حوار الأنداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، تونس، ١٩٩٩.

(١٥) التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، ص ٢٦٦.

صالح بن سالم اليعربي

إن هذا الشاب الذي حالت إعاقته دون إتمام دراسته لم يستسلم لتلك المعوقات والمثبطات بل رفع شعار (لا إعاقة بل إرادة وانطلاقة) وهذا شعار جدير أن يعمم في كل المؤسسات المعنية بشئون المعاقين.

إن صالح بن سالم اليعربي يعتبر أحد الأدباء الذين يحتلون مساحة من الصحافة المحلية بدولة الإمارات العربية المتحدة كما انه يشارك في العديد من الأنشطة الثقافية كما يشارك في الكتابة ذات المضامين الأدبية والثقافية والاجتماعية، وهو حاصل على عدة جوائز وشهادات تقدير من العديد من المؤسسات الثقافية.

في عام ١٩٩٩م صدر له كتاب يحتوي عدداً من المقالات التي نشرها في مجلة (المنال) التي تتولى إصدارها مدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، وغيرها من الصحف المحلية وهو عاشق دنف للقراءة وقد عبر عن هذا العشق في مقدمة كتابه المشار اليه:

إن تحقيق الطموحات لا يأتي بالتمني والاحلام، ولكن يأتي بالعمل الجاد والمخلص في صور التفاعل التام مع مختلف مناشط الحياة، والقراءة هي أجمل وأرقى تلك المناشط فمن خلالها يشغل المرء فكره وعقله في أجواء البحث عن المعرفة، منذ وقوعي في المرض عايشت تجليات كثيرة في ازمنة واماكن متعددة، بين الغربة عن الوطن والأهل، وبين آلام المرض، وفي أجواء إنسانية مؤثرة مع عالم الإعاقة والمعاقين وعالم المعاناة الإنسانية بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات ومعان، وفي كل ذلك كان الصبر والتحمل على المتاعب، والكتاب بجانبي أينما توجهت أحمله في حجري وبين عضدي، والقراءة متعتي وعالمي الجميل، وهكذا كانت الرحلة ومازالت مستمرة بعون الله وفضله.

ويشير بألم إلى عدم استطاعته مواصلة الدراسة.. حيث يجد في القراءة ما يسد النقص ويثري العقل.

كانت الأحلام في المخيلة تتراقص بقوة ومنها حلم الدراسة الجامعية، ولكن الأقدار وبما أصبت من ظروف صحية صعبة، لم تسعفني في تحقيق ذلك الحلم الكبير وإن كنت لم استطع مواصلة الدراسة الأكاديمية المتخصصة إلا أنني وبفضل الله استطعت من خلال القراءة الذاتية الحصول على قدر يسير من الزاد المعرفي، وحقيقة ان هذا الزاد هو الذي يجعلني شغوفا الى التطلع الى أبواب الجامعة.

ويتحدث عن معارض الكتب باعتبارها موائد شهية تحتوي من أصناف المعرفة كل ما لذ وطاب: كم هي ظمأى نفوسنا وأرواحنا لينابيع المعرفة المختلفة، ونحن كما نعرف نجد دائما في الكتاب، مهما، تعددت وسائل المعرفة، حيثيات الارتواء المناسب لذلك الظمأ، فهو يبقى ملاذنا الاول والاخير، إنني عندما أتجول بين ردهات الكتب في أي معرض تنتشي الروح فرحا بين هذه الردهات، كما ان العين ترى متسعا لرؤية مشاعر الحركة والتفاعل في جنبات المعرض، ولا عجب في هذا التأثير المباشر للكتاب ولحركة الناس، لأن مفعول الكتاب وأثره في حياة الناس هو الذي يجعل نفوسنا وأرواحنا في قمة التأثير والإحساس بقيمة الكتاب، فمع الكتاب نقضي دائما روعة الإحساس، وفي قراءات متفاوته بين التأني والتأمل في لحظات، وبين التعجل في بعض الأحيان، وفي كل الاحوال ونحن ننصهر ونتفاعل بفكرنا بين صفحات الكتاب لنلتقي في النهاية بخطاب النفس إلى النفس من خلال ما يبدعه العقل والوجدان الإنساني من صنوف المعرفة.



بقلم : **عبدالله بن أحمد الشباط** - الخبر

وفي عام ٢٠٠٠م صدر لأديبنا صالح كتاب عنوانه (خواطر وقراءات) وهو يختلف عن سابقه في المحتوى، لأن هذا الكتاب الاول تناول مواضيع عامة، أما هذا الكتاب فقد ركز على الدراسات الأدبية والنقدية ومن ذلك ما عبر به عن عشقه للغة العربية في مقال بعنوان (موسيقى اللغة العربية):

نغمة الكلمة العربية هي نغمة قوية ومؤثرة لدى مستمعها، أيا كان ذلك المستمع، عربيا أو اعجميا، دليل ذلك الإقبال المتزايد على تعلم ودراسة اللغة العربية من قبل غير الناطقين بها، وهذا الإهتمام المتزايد من قبل أولئك يأتي أو يدخل في أطر وأهداف متعددة، لا مجال لبسطها هنا، ولكن الشيء المهم الذي يجعلهم يهتمون بدراسة اللغة العربية هو محاولة اكتشاف جماليات وأسرار اللغة.. وجماليات لغتنا العربية هي جماليات متجددة دائما، وهنا تكمن أسرارها المتجددة. تتجلى موسيقى اللغة العربية بأبهى صورها فيما نقرؤه أو نحفظه من الشعر العربي فمن خلاله نجد عذوبة ونغمة الكلمة العربية، وتراثنا العربي زاخر بتلك الإبداعات الناصعة من الآثار الأدبية والفكرية التي لو استوعبناها جيدا في وقتنا الحالي لاستخرجنا منها دراسات عدة تختص بنواحي وجوانب اللغة العربية، كهذا الذي نتحدث عنه وهو (موسيقى اللغة العربية) ما من شك بأن هناك كتبا ودراسات تختص بهذا الجانب تركها لنا روادنا الاوائل من علماء اللغة، غير ان تلك الآثار القيمة تكاد تكون منسية، بل هي مجهولة وغائبة عنا كقراء عاديين.

ولأديبنا شطحات يرسلها في شكل ما يسمى بقصيدة النثر ومن ذلك غزله في وطنه:

لا أطيق البعد عنها
فهي لي نسمة مساء
هي لحظة صفاء
هي لمسة وفاء
هي في عمري رجاء
هي في فكري نداء
لا أطيق البعد عنها
هي مني وأنا منها
لا تلمني يا نديمي
لا تلمني في هواها
هي حبي هي زادي
إنها ديرة أهلي
إنها مسقط رأسي
إنها أرضي الحبيبة
لا تلمني في هواها
لا تلمني إن قلت يوما
لا أطيق البعد عنها
فهي مني وانا منها
هي أرض عشت فيها
اجمل واحلى الذكريات

والاديب صالح بن سالم اليعربي من مواليد مدينة نزول بعمان عام ١٩٥٧م وبها تلقى تعليمه الأولي أي أكمل المرحلة الإبتدائية، إلا أنه وبسبب ظروفه الصحية لم يتمكن من اكمال دراسته النظامية ولكنه ركز جل اهتمامه في القراءة والمطالعة معتمدا على اسلوب التثقيف الذاتي حتى أصبح أحد الادباء الفاعلين بدولة الإمارات العربية المتحدة صدر له كتابان: لا إعاقة بل إرادة عام ١٩٩٩م - وخواطر وقراءات عام ٢٠٠٠م.







المفاهيم تختلف من ثقافة إلى أخرى:

المفهوم هو التصور الحاصل في الذهن لمجموعة من الأشياء تشترك في خصائص رئيسة ثابتة، وقد تتفاوت خصائصها الثانوية. فمفهوم الدار مثلا هو بناء مسقوف يستعمل للسكن. وهكذا نجد أن الخاصتين الرئيسيتين لهذا المفهوم هما: الماهية والغاية، فالماهية هي البناء المسقوف، والغاية من هذا البناء هي السكن. ولكن هناك خصائص ثانوية أخرى مستقلة، مثل توفره على ماء وكهرباء، أو متضمنة مثل استخدام الطين أو الآجر في البناء وتوفره على أبواب وشبابيك، وهكذا.

وتحصل المفاهيم في الذهن من تقطيع منطقي واضح لمكونات الوجود، بحيث تمثل كل قطعة مفهوما يعبر عنه الناس بمصطلح أو رمز، شفويا كان أم مكتوبا. ولكن تقطيع الوجود يختلف من ثقافة الى أخرى، فكل ثقافة لها طريقة تفكير متميزة في تصور المفاهيم، حتى إذا كان المفهوم يمثل ذاتا محسوسة واحدة في الوجود. فمفهوم البقرة في الثقافة الهندوسية، مثلا، يختلف عما هو عليه في الثقافة العربية، لارتباطه بمعتقدات الناس وعاداتهم وطريقة معيشتهم، كما أنه يتباين داخل الثقافة الواحدة من شخص إلى آخر طبقا لتعليمه وخبراته وتجاربه ومهنته. فمفهوم البقرة بالنسبة للقروي العربي الذي يربي الأبقار أوسع من مفهومها لدى ابن المدينة العربي الذي قد لا يرى البقرة إلا في الصور والتلفاز.

ولكن تقطيع الوجود في الذهن لتكوين المفاهيم المنفصلة لا يعني أن مكونات الوجود في الواقع منفصلة بعضها عن بعض، فهي في حقيقة الأمر متصلة ومترابطة بعضها ببعض فالبقرة ذات علاقة وثيقة بالثور، وبالعجل، ولا يمكن تصور الحليب، مثلا، بدونها. ويؤدي هذا الترابط وذلك الاتصال الى وجود منظومات مفهومية تشترك أفرادها في بعض الخصائص وتتباين في خصائص أخرى. كما يؤدي ذلك إلى ظهور مفاهيم مركزية تدور حولها مجموعة من المفاهيم، أشبه ما تكون بالمجموعات الفلكية.

مفهوم المال:

المال، لغة، كل ما يملكه الإنسان أو الجماعة من متاع وعقار وحيوان ونقود. وينقسم المال، في علم الاقتصاد، الى أموال ثابتة وأموال منقولة. ولكن عندما نسمع كلمة مال يتبادر إلى ذهننا النقود لأنها الوسيلة التي نقيم بها بقية الأموال ونقتنيها.

ومفهوم المال، في الثقافة العربية، مفهوم مركزي تتفرع منه وتتصل به مفاهيم متعددة أخرى بحيث يشكل مجموعها منظومة مفهومية كبيرة. فمن المفاهيم التي تتفرع من المال، مفاهيم الغني والفقر، اليسر والعسر، الإنفاق والادخار، التبذير والتقتير، وغيرها. كما يتصل مفهوم المال بمفاهيم أخرى لأنه يؤثر في تكوينها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو يشترك معها في



بقلم : **د. علي القاسمي** - الرباط

بعض الخصائص الرئيسة أو الثانوية، فيكون علة أو معلولا، وسببا أو نتيجة. ومن هذه المفاهيم البيع والشراء والربا، والقوة والسلطة والحرب، والصداقة والحب والأخلاق.

أهمية المال :

المال أحد عنصري الإنتاج: المال والعمل. وللمال أهمية كبيرة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل على ترقية حياة المجتمع وإشباع حاجاته الأساسية من سكن وغذاء وملبس وصحة وتعليم. ولا يكفي توفر المال في مجتمع من المجتمعات لبدء الإنتاج وتحقيق التنمية المتوخاة، وإنما لابد أن تكون لذلك المجتمع نظرة إيجابية تجاه المال واستثماره بطريقة ناجعة. ولهذا يرى كثير من علماء الاقتصاد أن **تقدم أمة من الأمم يتوقف إلى حد كبير على مفهوم المال في ثقافتها.**

وتولي الثقافة العربية الإسلامية أهمية كبيرة للمال. فقد ورد ذكر (المال) وجمعه (أموال) في نحو **٦٨ آية في القرآن الكريم** إضافة الى الآيات التي تعالج موضوع المال ولم تنص عليه بلفظه وإنما بلفظ آخر دال عليه مثل الذهب والفضة. وتشكل تلك الآيات سياسة اقتصادية اسلامية تتوخى ترقية حياة الإنسان والمجتمع، فهي تبين طرق كسب المال الحلال، وتحرم احتكاره وكنزه، وتحث على استثماره في مشروعات نافعة وتوزيعه بصورة عادلة.

الغنى والفقر:

ويؤدي امتلاك المال أو قلته أو عدمه إلى تقسيم المجتمع الواحد على طبقات أو شرائح متعددة. وعلى الرغم من أن الإسلام لا يميز بين الناس طبقا لغناهم أو فقرهم، لأن «الناس سواسية كأسنان المشط» كما قال الرسول [صلى الله عليه وسلم] ، فإن هناك اختلافاً واضحاً في مداخيلهم، (وفَضَّلْنا بعضكم على بعض في الرزق)، **فالمساواة بين الناس مساواة في القيمة الإنسانية وفي الحقوق والواجبات.**

وعلى الرغم من أن للغني شروره وللفقر شروره، وكان الرسول [صلى الله عليه وسلم] يدعو الله قائلا: «اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر» (كما أخرجه البخاري في كتاب الدعوات)، فإن الإسلام يحث الناس علي الجد في العمل للكسب والغنى لأن «اليد العليا خير من اليد السفلى» كما جاء في الحديث الشريف المتفق عليه. وهذا ما أشار إليه عدد من الشعراء من مثل محمود الوراق الذي قال:

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

أنواع الغنى:

هناك في الثقافة العربية نوعان من الغنى: غنى المال وغنى النفس. ويتحقق النوع الأول بامتلاك المال أما غنى النفس فلا يتأتى بالمال. و(خير الغنى غنى النفس)، كما ورد في الأقوال المأثورة. **فالرجل الذي استحوذ على نفسه الطمع والجشع والبخل وظل يلهث**

**** مكونات الوجود متحده بعضها مع بعض.**

**** مفهوم المال في الثقافة العربية مفهوم مركزي.**

** تقدم الأمم يتوقف على مفهوم المال في ثقافتها.

** المساواة بين الناس مساواة في القيمة الانسانية، وفي الحقوق والواجبات.

** الجشعُ فقير مهما جمع من مال.

وراء المال يبقى فقيرا محتاجا طوال حياته مهما كدس من أموال ومهما كنز من ذهب وفضة. ولهذا قال الرسول [صلى الله عليه وسلم] ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس - متفق عليه. وقال [صلى الله عليه وسلم] «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس». ف (القناعة كنز لا يفنى)، كما يقول المثل العربي. ويقتبس الإمام الشافعي معنى الحديثين النبويين السالفين ويصوغه شعرا فيقول:

غَنيٌ - بلا مال - عن الناس كلهم
وليس الغنى إلا عن الشيء لا به

ويكرر هذا المعنى عدد كبير من شعراء العربية كابن نباتة الذي يقول:

وإنَّ المرء ما استغنى غنيٌّ
وحاجته الى الشيء افتقارُ

المال والأخلاق:

إذا كان المفهوم الكنسي يجد بعض التناقض بين الدين والمال طبقا لما ورد في العهد الجديد: «لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. : إنك لا تستطيع أن تخدم الله وتخدم المال» - إنجيل متى ٦:٢٤ - ، فإن الإسلام يوفق بين الدين والدنيا وبين المال والمروءة ويحبذ امتلاك المال إن أحسن استعماله. فقد روي عن الرسول [صلى الله عليه وسلم] «لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه» - رواه مسلم والترمذي وابن حنبل - .

ونحن نعرف أن الفقر قد يضطر الإنسان إلى الخروج عن جادة الصواب، ولكن الغنى كذلك قد يفسد أخلاق المرء إن لم يكن قد تربى تربية قويمة، كما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

ولهذا فإن الرسول [صلى الله عليه وسلم] كان يدعو بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر» - رواه البخاري في كتاب الدعوات - وهذا يؤكده قوله تعالى: **{إنما أموالكم وأولادكم فتنة}** (سورة التغابن/١٥)، فالغني - وخاصة محدث النعمة - قد يتكبر ويبطر كما ورد في القرآن **{كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى}** (سورة العلق/ ٦-٧). وقد يؤدي الجشع والتهافت على المال والاستئثار به الى الفرقة والاختلاف والتنازع. وهذا ما لاحظه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عندما قال: «إن هذه الأمة لم تختلف في دينها ولا في كتابها، وإنما اختلفت في الدينار والدرهم».

ولكن المال قد يساعد الرجل العاقل على تحقيق أهدافه الخيرة فيحسن إلى الآخرين دون أن تفسد اخلاقه، كما قال الحكم بن عبدل الأسدي:

إني لأستغني فما أبطرُ الغنى
وأعرضُ ميسوري على مبتغي قرضي

فالناس الأخيار يدخرون الأموال لقضاء الحاجات وفعل الخيرات، وهو أمر محمود كما قال أبو الحسن الموسوي النقيب:

إنما يُدَّخرُ الما
ل لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأمـ
ـوال أثمان المعالي

وفي ثقافتنا العربية يجمع الناس على أن **الأخلاق مقدمة على الأموال**. والعربي يفاخر بأخلاقه لا بأمواله. فالأموال تزيد وتنقص مثل أوراق الشجر، أما الأخلاق الأصيلة فهي ثابتة منغرسة كما تنغرس الجذور في أعمال التربة، كما قال أبو محجن الثقفي:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته
وسائلي القوم عن ديني وعن خُلقي
قد يكثر المال يوماً بعد قلّته
ويكتسي العود بعد العري بالورق

المال والعلم:

هناك إجماع في ثقافتنا العربية على أن **العلم أفضل من المال**، وأن على المرء أن يسعى لجمع المعارف لا لكنز الأموال، وأن ينفق المال في سبيل تحصيل العلم. ومن أبلغ ما لخص موقف العرب من جدلية المال والعلم قول الإمام علي بن أبي طالب في وصيته لكميل: «العلم خير من المال: العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، ومنفعة المال تزول بزواله».

ومن المنطقي أن الذي يتوفر على الذكاء ويزدان بالمعرفة ويتحلى بالعلم يكون أقدر من غيره على اكتساب المال. ولكن هناك استثناءات كثيرة لهذه القاعدة. فنحن غالبا ما نشهد اغتناء كثير من غير النابهين أو حتى الخاملين، في حين نجد أن الفقر يحيق بعدد من العلماء والأدباء ما يدعو إلى التساؤل، كما تساءل نسيب عريضة:

لماذا يفوت الأديب الغني
وتحظى به فئة جاهلة؟

ويبدو أن هذا السؤال قد طرحه كثيرون في مختلف عصور الثقافة العربية، وكان الجواب أن ذلك لا يدعو الى العجب فالحظ له مفعوله ويلعب دوره في معادلة العلم والمال، كما قال محمد بن حازم الباهلي:

لا تعجبن لأحمق
نال الغنى من غير كده
ولعاقل ما يستتـ
ـبُ، فكلهم يسعى بجدّه

وهذه الحقيقة تجعل بعض الأدباء الذين يعانون الفاقة والفقر يشعرون بمرارة تبلغ حد التهكم في تفضيل المال على العلم، كما هو واضح من كلام حامد النجاشي الزوزني:

إني أقول وخير القول أصدقُه
والصدقُ يُحملُ أحيانا على الكذب
لا تجمعنْ أبداً علماً ولا أدباً
وجدَّ في طلب الأموال واغترب
في المال زينٌ وفخرٌ إن ظفرت به
والنحسُ والبؤس والإدبارُ في الأدب

المال والقوة:

يهبُ المال الإنسان القوة، بنوعيها المعنوية والمادية. فإذا كانت البلاغة في القول تعني - فيما تعني - بلوغ الغاية التي يتوخاها المتكلم في إقناع السامعين برأيه، فإن هناك من يرى أنك تستطيع إقناع الآخرين، لا بروعة فكرك وبيان لغتك، وإنما برنين دراهمك وبريق ذهبك. إن حيازتك على المال تجعل الآخرين يفهمون لغتك ويتفهمون مقاصدك أفضل من فهمهم الفقراء الفصحاء. ومعروف أن ميسور الحال يستطيع أن يتعلم فنون القول. وهذا ما جعل أبا العيناء يقول ساخرا:

من كان يملكُ درهمين تعلمتْ
شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدّم الفصحاء فاستمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التي يزهو بها
لرأيته شرّ البرية حالا

ويتابع أبو العيناء هذا المعنى ويعممه ليصبح قاعدة ذهبية عالية مفادها أن المال قوة، فمن يملك المال يستطيع إقناع الآخرين بآرائه، كما يستطيع اقتناء السلاح لمقاتلة أعدائه، فيقول متهكما:

إن الدراهم في المواطن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالا

ويرد هذا المعني كثيرا في الأدب العربي في مختلف عصوره، ما يدل على أنه متصل بمفهوم المال، متجذر في ثقافتنا. فالشريف الرضي، مثلا، يقول:

قد يبلغُ الرجلُ الجبانُ بماله
ما ليس يبلغه الشجاعُ المعدمُ

والمال يرفع قدر المرء ويعلي شأنه حتى إذا كان خاملا. أما انعدام المال فإنه قد يؤدي إلى الإزراء بالرجل الكريم المحتد. وهذا ما عبّر عنه شعرا عمارة بن عقيل فقال:

ويرفع المالُ أقواماً وإن خملوا
ويزري الفقرُ أقواماً وإن كرموا

فإذا امتلك المرء المال الكافي وأحسن استعماله، فإنه يستطيع أن يبلغ أعلى المراتب الاجتماعية، أما إذا افتقر المرء فإن حالته تسوء، لا محالة، كما قال الشاعر:

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب
وقد يسوّدُ غير السيد المالُ

ويدعم هذا المعنى المثل السائر (ربما سوّدَ المالُ غير السيد، وقوّى غير الأيد). ومن المؤكد أن الذل والهوان يصيبان الإنسان إذا فقد أمواله، كما قال الهيثم بن الأسود النخعي:

وأعلم علماً ليس بالظنِّ أنه
إذا زال مالُ المرء فهو ذليلُ

والمال خير وسيط لقضاء الحوائج. فالغني لا يحتاج إلى إرسال رجل حكيم يقضي له حوائجه بما تجمع لذلك الحكيم من فطنة ورجاحة عقل وبلاغة قول، بل يكتفي بإرسال «هدية» غالية الثمن، تكون خير وسيط في فتح الأبواب الموصدة والقلوب الرافضة، وفي تيسير الأمور وإنجاز المهمات. وهذا ما دعا اللغوي الكبير أحمد بن فارس إلى تشطير البيت المشهور:

إذا كنت في حاجة مرسلا
فأرسلْ حكيماً ولا توصه

فقال متهكما:

إذا كنت في حاجة مرسلا
وأنت بها كلفٌ مغرمُ
فأرسلْ حكيما ولا توصه
وذاك الحكيمُ هو الدرهمُ

المال والصداقة:

هذه العلاقة الحميمة التي نسميها «صداقة» تبدأ عادة بتحية، بابتسامة، بحديث ثم يتحول الإعجاب المتبادل الى مودة عميقة. ويملك الغني ذلك المعدن المغناطيسي الذي يجذب الناس إلى تحيته والتقرب إليه



وخطب مودته، أو كما يقول عمارة اليمني:

حيّاك من لم تكن ترجو تحيته
لولا الدراهمُ ما حيّاك إنسانُ

وقد تكون تلك التحية أولى خطوات الصداقة. فالغني مؤهل لكسب الأصدقاء، أما الفقير فقد يخسرهم، كما قال بن محلم:

فإن الغنى مُدني الفتى من صديقه
وعدم الغنى بالمقترين نزوحُ

وإقبال الناس على الغني وإدبارهم عن الفقير ظاهرة اجتماعية لاحظها شعراء آخرون كثيرون وصاغوها شعرا، كالشريف الرضي الذي أراد أن يضع قاعدة عامة فقال:

إذا قلّ مال المرء قلّ صديقه
وفارقه ذاك التحنُّ والودّ

وقال شاعر آخر مكررا المعني ذاته :

إذا قلّ مالي قلّ صحبي وإن نما
فلي من جميع الناس أهلٌ ومرحبُ

فالعلاقة بين امتلاك المال واكتساب الأصدقاء علاقة طردية في ذهن الرجل العربي، ولعل هذه الظاهرة ظاهرة إنسانية عالمية، فاكتساب الأصدقاء لا يتم بحلو الكلام فقط، فالكلام وحده لا يرضي الصديق كما لاحظ أبو بشر الضرير الذي قال:

كفى حزناً أني أروحُ وأغتدي
وما لي من مال أصونُ به عرضي
وأكثر ما ألقى الصديق بمرحباً
وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي

فالهدايا المتبادلة بين الأصدقاء تمتن العلاقة وتزيد المودة.

المال والحبّ :

قلنا إن صاحب المال يسهل عليه كسب مودة الناس، والنساء كبقية الناس يفضلن حب الرجل

**** الفقر كفر يخرج عن الجادة.**

**** العلم يحرسك وأنت تحرس المال.**

**** البخيل المقتر حارسُ نعمة لغيره.**

الغني. وهذا هو الشعور السائد بين عامة العرب، وقد لخصه منذ العصر الجاهلي الشاعر علقمة الفحل بقوله:

فإن تسألوني بالنساء فإنني
بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه
فليس لهُ من ودهنّ نصيبُ
يُردن ثراء المال حيثُ علمنه
وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

** العلاقة بين امتلاك المال واكتساب الاصدقاء علاقة طردية.

** الاسلام يدعو للوسطية ما بين التقتير والبسط.

ويؤكد هذا المعنى الشاعر الجاهلي امرؤ القيس :

أراهنَّ لا يحببن من قلَّ مالُه
ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

إنفاق المال:

الثقافة العربية الإسلامية ثقافة وسطية تقرّ أنّ «خير الأمور أوساطها» والقاعدة التي تحكم إنفاق المال هي: «لا تبذير ولا تقتير» أو كما ورد في القرآن الكريم **{ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البَسْط فتقعد ملوما محسوراً}** (سورة الإسراء/٢٩).

وكنز المال محرم لأنه يضر بالحياة الاقتصادية يؤدي إلى ركودها ويحرم الناس من فرص العمل والرزق. والنص القرآني واضح في تحريمه هذا: **{والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم}** (سورة التوبة/٣٤).

ويذهب العقل العربي إلى أن إنفاق المال هو دليل الملكية الفعلية، ومن لا ينفق ماله فإنه مجرد حارس عليه بل يصبح عبدا للمال. وكان حاتم الطائي الذي يضرب بكرمه المثل يفتخر بإنفاقه أمواله فكان يقول:

إذا كان بعض المال رباً لأهله
فإني، بحمد الله، مالي معبّدُ

وكرر هذا المعنى الشاعر أبو نواس، حين قال :

إذا المرء لم يُعتق من المال نفسه
تملكه المال الذي هو مالكه
ألا إنما مالي الذي أنا منفق
وليس لي المال الذي أنا تاركه

وسئل أبو العتاهية عن هذين البيتين فقال إنه اقتبسهما من الحديث النبوي الشريف: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت».

وقد أكثر أبو العتاهية من استثمار هذا الحديث الشريف في زهدياته فقال في إحداها:

كلُّ حي عند ميتته
حظهُ من ماله الكفنُ

فإذا لم يجد المرء بأمواله على المستحقين والمحتاجين فإن الدهر يجود بها على ورثته أو غيرهم، فينتقل المرء إلى العالم الآخر عاريا كما ولدته أمه أول مرة، لا يحمل معه متاعا ولا يصطحب مالا، أو كما قال عبد الله بن المعتز:

إذا لم أجُد بالمال جاد به الدهـ
ـرُ على وارثي والكف في قبرها صفرُ

وردد هذا المعنى كثير من الشعراء كالعطوي الذي قال:

المالُ عندك مخزونٌ لوارثه
ما المالُ مالك إلا حين تنفقهُ

ونجد هذا المعنى كذلك عند الأضبط بن قريع السعدي، الذي أراد أن يصوغه على شكل قاعدة عامة:

قد يجمع المال غيرُ آكله
ويأكلُ المال غيرُ من جمعهْ

إذن عليك أن تنفق المال في وجوه الخير أثناء حياتك لتنال حمد الناس وثناءهم، فالمال لا محالة ذاهب، كما قال إبراهيم الحضرمي:

أرى كل مال لا محالة ذاهبا
وأفضله ما ورّث الحمد كاسبهْ

لن يبقى من المال سوى الثناء الطيب العطر على

الرجل الكريم الذي ينفق أمواله على الضيف والمحتاج وابن السبيل. وكثيرا ما يلقي هذا الرجل الجواد معارضة من أهله، ويدخل معهم في مناقشة يحاول خلالها إقناعهم بوجهة نظره، فيؤكد لهم أن المال يأتي ويذهب أما الثناء العطر فسيبقى على ألسنة الناس. فهذا حاتم الطائي يخاطب زوجته قائلا:

أمــــاوي، إن المال غـــــاد ورائحُ
ويبــقي من المال الأحــاديثُ والذكـرُ

فيرد أهله قائلين إن معارضتهم نابعة من خوفهم عليه وعلى مصيره بعد أن ينفق كل أمواله ولا يدخرها للصعب من الأيام. فينكر الجواد أن يكون مصيره سيئا بسبب سخائه، ويأتي بحجج إضافية لإقناعهم بصواب تصرفه، كما خاطب حطائط بن يعفر اليربوعي زوجته بقوله:

أريني جـــوادا مــــات هزلا لعلني
أرى مـــا تريني أو بخــيـلا مــخلدا
ذريني يكن مــــالي لعـــرضي جُنة
يقي المالُ عـرضي قـبل أن يتـبـددا
ذريني أكن للمـــــال رباً ولا يكن
لي المالُ رباً تحـمـدي غـبّـه غـدا

فالثقافة العربية تشجع على الإنفاق والعطاء، مهما كان هذا الإنفاق محدودا، ومهما كان هذا العطاء يسيرا. فقد كان الإمام جعفر الصادق يقول: «**لا تستح من إعطاء القليل**، فكل فوائد الدنيا قليل، **والحرمان أقل منه**».

ويفضل أن يكون العطاء خالصا لوجه الله، وليس من أجل مقابل يرتجى أو جزاء يؤمل. وقد ورد في القرآن الكريم: {**ويطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله، لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**} (سورة الإنسان/٨ ـ ٩).

ومن أبيات الشاعر البصري الأعمي بشار بن برد التي سارت مثلا:

ليس يعطيك للرجـــاء ولا الخـــو
ف، ولـكـن يـلـذُّ طـعـم الـعـطـاء

وينصحنا هذا الشاعر البصير بأن كنز المال والسهر عليه نوع من الشقاء وخير لنا أن نسارع إلى إنفاقه، فيقول:

أنــفــق المـــال ولا تـــشــق بــه
خـــيـــر ديناريك دينارٌ نفقْ

وكأنه في هذا البيت ينظم شعرا مقولة سبقه إليها فقيه كبير من مدينة البصرة كذلك هو الحسن البصري الذي نقل عنه قوله: **بئس الرفيقان الدرهم والدينار، لا ينفعانك حتى يفارقانك**». وتكرر هذا المعنى في عدد من الأقوال السائرة مثل: (**من أهان ماله أكرم نفسه**) و (**من بذل ماله أدرك آماله**).

وعلى الرغم من أن الثقافة العربية تحث على الإنفاق والعطاء والجود، فإنها توصي كذلك بحسن استخدام المال واستعمال الذكاء في تدبيره وحفظه وتنميته، كما قال المتلمس:

قليل المال يُصلحــه فـيـبــقى
ولا يبـقى الكثـيـر مع الفـســاد
وحـــفظُ المال خـيــرٌ من فناء
وعـسف في البـلاد بغـيـر زاد

ولعل المثل السائر (الفلس الأبيض لليوم الأسود) يقع في هذا المجال.

الخلاصة:

يتبين لنا من الشواهد التي سقناها من مختلف عصور الثقافة العربية **أن العقل العربي ينظر إلى المال نظرة إيجابية، ويفضل أن يكون الإنسان غنيا على أن يكون فقيرا، فبالمال تصل رحمك وتكسب الأصدقاء وتستعين على قضاء حوائجك، وتجود به على المحتاجين فتكسب حمد الناس وثناءهم. ولكن ينبغي أن نحسن استخدام المال وتنميته وإنفاقه.**

قواعد الدستور في فرائد الدكتور

حكى ابن خَلّكان[١] قال: كان لرجل بغدادي اسمه عسكر غلام ابتاعه من بلاد الروم، فعلمه الاتجار بين الأمصار، ثم أعتقه، وقد أثرى ثراء عظيماً، فطاف في البلاد تاجراً ومتعلماً حتى أغرم بالعلماء والأدباء، وشُغف بالأقاليم والبلدان، فعُرف هذا العالم الجليل والرحالة الأمين بياقوت الحموي[٢]! وكانت له صحبة حميمة بالوزير أبي الحسن القفطي[٣]، وقد دخل عليه ذات يوم، فقال له ياقوت: يا أبا الحسن، لقد تبوّأت مكانا علياً، وأوتيت علماً غزيراً، حتى أصبحت في الناس وزيراً، وغدوت قاضياً قديراً، وشيخاً مهيباً جليلا! قال: ما هذا الإطراء وفيض الثناء يا أبا عبد الله؟!

قلتُ : إنما أعدّ منْ محاسنك، وعظيم صنائعك لطول باعك في الكتابة والسياسة، ولكأنما القائل يعنيك بقوله:

اليمنُ يتبعُ ظلَّهُ
والمجدُ يمشي في ركابه!

قال : فما حملك على ما قُلت آنفاً؟

قلت : طوفت في البلاد شرقاً وغرباً، وخالطت الناس عجماً وعرباً، فما رأيتُ مثلك يا أبا الحسن، وما أجدر أن تعلق في مديحك المعلقات، وأن يخصك طلبة الدراسات العليا بالمقالات المدبجات، والتوقيعات الظريفات التي يعلقونها على استار «الكفتيريا»، وفي أروقة المعاهد والجامعات!

قال : إني سائلك عن «الكفتيريا» ما هي؟

قلت: مطعم يأكل فيه الدارسون المتوسطون وأرباب الدراسة الرفيعة.

قال: لمَ نُعت هؤلاء بالمتوسطين؟ أهم نسبة إلى البحر الأبيض المتوسط؟

قلت: لا. قال: أهم نسبة الى المتوسطين في العيش؟ قلت: لا.

قال: أهم نسبة إلى الولاية الوسطى في السودان؟ قلتُ: لا.

قال: أهم نسبة الى قول الشاعر:

ونحن أناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ؟[٤]

قلت: لا والله. قال: والله لقد قدحتُ زناد فكري فما وجدت جواباً، فهات أبا عبد الله، ولا تضنّ علينا بعلمك.

قلت: يرحمك الله يا أبا الحسن، نُعتوا بالمتوسطين نسبة إلى «الدبلوم المتوسط»!

قال: سبحان الله، فما الدبلوم؟

قلت: اجازة تحصيل العلوم، ورفع للعتب واللوم، رغم ما فيها من فقر وصوم!



بقلم : **د. أحمد عطية السعودي** - الأردن

وتليها «البكالوريوس»!

قال: أفزعت فؤادي بهذه الكلمة، فما البكالوريوس يا صاح؟

قلت: هي الشهادة الجامعية تُعطي لكل ألمعي وألمعية وفق الأصول المرعية، ولم يعط مثلها ابن بقية[٥]! وتليها «الماجستير»!

قال: فما هذه الكلمة الغريبة المتنافرة الحروف، المتناثرة الصفوف، المتكسرة الرفوف؟.

قلت: هذه الماجستير، شهادة الفاضلية، عكاز الغنى والثراء، والدعة والرخاء، والكرم والسخاء، من نالها فلن يعود الى الوراء، لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء (لا إلى الدبلوم العالى ولا الى الدبلوم المتوسط) وتليها الدكتوراة!

قال: دكتوراة، دكتوراة!! ذكرتني بلغة الغريب لدى الشعراء كقول احدهم:

إنما الحيزبون والدردبيسُ
والطُخا والنُّقاخُ والعطلبيسُ
والسبنتى والحقصُ والهيقُ
والهجرسُ والطرقسانُ والعسطوس[٦]!

هل تفهمُ شيئا مما عنى الشاعر؟ قلت: لا. قال: وأنا أيضا لا أفهم ما الدكتوراة؟

قلت: هي درجة العالمية العليا، وإجازة العلم الكبرى، لا تدانيها إجازة، ولا تضاهيها في السَّعة مفازة! من حازها فرح وطرب، وصار ذا لقب، وفاخر العجم والعرب! يشار إليه بالبنان، ويلهج بذكره كل لسان، ويؤخذ بالأحضان في كل وقت وآن!

إذا أقبل احْتُرم، وإذا زار أكْرم، وإذا قال علم، وإذا أخطأ سلم!

يسرع الناس إلى تلبية ندائه، والقيام بأعبائه، والتطواف حول أنحائه!

قوامه رشيق، وكلامه رقيق، ولباسه أنيق!!

قال: زه، زه[٧]! لقد أوتي حامل هذه الشهادة خيراً وفيراً، حدثنا عمن لقيت في أسفارك من حملة الدكتوراة يا أبا عبد الله، فقد شوقتنا، وشنفت آذاننا.

قلت: أنعم الله عليّ بزيارة كثير من الأمصار والأقطار ولقاء أفذاذ العلماء وفحول الأدباء، وبخاصة من الدكاترة والدكتورات في دور العلم والجامعات:

ففي العراق عرفتُ عبد العزيز الدوري المؤرخ المعروف، وعضو المجامع اللغوية في بغداد ودمشق والقاهرة وعمان، وقد نال الدكتوراة من جامعة لندن!

كما عرفت صالح العلي، وعبد الكريم زيدان، وإبراهيم السامرائي، وأحمد عبد الستار الجواري.

وفي الأردن وفلسطين عرفت إحسان عباس، وناصر الدين الأسد صاحب «مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية» ومحمد يوسف نجم، وعبد الكريم خليفة.

وفي القطر السوري عرفت شاكر الفحام، وحسني سبح، ومازن المبارك.

وفي السعودية عبد الله بن عمر نصيف الذي كان أميناً عاما لرابطة العالم الاسلامي، وغازي القصيبي.

وفي السودان عرفت عبد الله الطيب، وعون الشريف قاسم، ويوسف الخليفة أبو بكر.

ومن لبنان الشاعر المسلم المجيد عمر فروخ، ومن المغرب عبد الهادي التازي.

أما في مصر التي يسميها أهلها «أم الدنيا» فعرفت أكابر الأدباء والمبدعين من أمثال: طه حسين

صاحب الشعر الجاهلي وما ثار من خلاف حوله، وزكي مبارك الذي يسمّي نفسه «الدكاترة» لنيله اكثر من شهادة، ومحمد عبد الخالق عضيمة، وشوقي ضيف، وشكري عياد، وعبد القادر القط، وبنت الشاطىء «عائشة عبد الرحمن» الحاصلة على الدكتوراة في الأدب والنقد من جامعة القاهرة، وابراهيم مدكور، ورمضان عبد التواب، ويوسف القرضاوي وغيرهم كثير.

قال: أحسنت، ولكن قل لي هل أسهم غيرهم (من غير حملة الدكتوراة) في الحركة الأدبية والفكرية في البلاد التي ذكرتها؟ قلت: أجل. بل هم أساس النهضة الأدبية والصحوة الفكرية، وتحضرني الآن بعض اسمائهم من أمثال:

الأستاذ محمد بهجة الأتربي، والشاعر معروف الرصافي، والشاعر محمد مهدي الجواهري، واللواء محمود شيت خطاب من العراق، عبد القدوس الانصاري مؤسس هذه المجلة (المنهل)، والفريق يحيى المعلمي، والشاعر عبد الله بن خميس، والشاعر حسن قرشي، وطاهر زمخشري، وحمد الجاسر من السعودية، وكذا الأستاذ محمد كرد علي، والشيخ علي الطنطاوي والشاعر عمر أبو ريشة من سورية.

أما من مصر فيتعذر حصرهم ولكني أذكر منهم: الأديب الرافعي، والعقاد صاحب «العبقريات» وتوفيق الحكيم، والمنفلوطي، وأحمد حسن الزيات، ونجيب الكيلاني، ومحمود محمد شاكر، والمازني، وأحمد أمين، ومحمود تيمور، وعبد السلام محمد هارون شيخ المحققين وغيرهم كثير.

قال: أفدت يا أبا عبد الله وأجدت، إني أغبط هؤلاء الدكاترة على ألقابهم البديعة وعلى مناصبهم الرفيعة، فهل كل من نال «الدكتوراة» يحظى بشرف العلم وجلالة المنصب؟!

قلت: كلا والله لقد ذهب الرعيل الأول من الأساتذة المرموقين والأدباء المفلقين والخطباء المفوهين، وخلف خلف ظن الشهادة وجاهة، والمنصب وراثة، والتعالي على الطلبة فطنة وكياسة، فضعف الاجتهاد، وفترت العزيمة، وعمّ الجهل، ودبّ الفساد، وفتحت الأبواب «للواسطة»، فهزلت وسامها كلُّ مفلس!

قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا الناس أخذوا «بالواسطة»، ولم يقدروا «الكفاءة» حق قدرها فاعلم أن ميزان العدل قد اختل، وأن رئيس القوم قد ضل، وأنهم جميعا من ذُلّ الى ذُلّ، لا يرفع عنهم حتى يؤدوا الأمانة، وينصفوا المظلوم، ويحكموا بالقسط.

قلت: صدقت يا أبا الحسن، لقد ذهب «أفراخ الواسطة» بالمال والجاه، وكظم الأكفياء غيظهم، ولسان حالهم يقول:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم
ويقيتُ في خَلْف كجلد الأجرب[٨]!

حدّث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تنشد بيت لبيد هذا وتقول: رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ فقال عروة: رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال هشام: رحم الله أبي، فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال وكيع: رحم الله هشاماً فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال أبو السائب: رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ وقال أبو جعفر: رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم؟ قال أبو الفرج الأصفهاني: ونحن نقول: الله المستعان فالقصة أعظم من أن توصف[٩]!

قال الوزير القفطي: رحمهم الله جميعا، فكيف لو أدركوا «أفراخ الواسطة» ذوي المعرفة الساقطة؟ إذن لعاشوا في حزن دائم، وهمّ متصل، وغيظ مستعر، وأكباد مقروحة!

قلت: على رسلك يا أبا الحسن، إنه زمان الإمَّعة والرويبضة، فلا تعجب لانقلاب الحدثان، وتغيُّر الأقران، وسيادة الجهال وأشباه الرجال! وحسبنا الله ونعم الوكيل!

قال: يا أبا عبد الله، استحلفك بالله ألا تكتم عني مظلمة إن علمت بها، ولا تن في إرشاد الحائر، فبابي مفتوح لكل سائل أو متظلم أو صاحب حاجة، وإذا سمعت عن أحد من هؤلاء الدكاترة الأكفياء ممن لا واسطة لهم ولا راحلة، ولا جمل ولا ناقة، فبلغني فوراً، فإنما تحيا الأمة بالمخلصين وتفسد بالبغاث والمتسلقين[١٠].

قلت: أعز الله الوزير، وأدام عدله، وأفاض عليه نعمه، سأفعل إن شاء الله.

وأما أنا فسوف أجمع أخبارهم، وأسطر أعمالهم، وأحتفي بمآثرهم في كتابي «معجم الأدباء»، وسأجعل عنوانه الجديد: معجم الدكاترة الأدباء والبروفسورات الشعراء»!

قال ابن خلكان راوية هذه الحكاية:

فلما غير ياقوت عنوان كتابه اقتديت به فجعلت عنوان كتابي: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذا الزمان، على هذا النحو:

«وفيات الدكاترة الأعيان والدكتورات الحسان وأبناء التكنولوجيا في هذا الزمان»!

أما الوزير القفطي فقد أعاد طباعة كتابه: «إخبار الحكماء بأخبار العلماء» وصدره بمقدمة قيمة طارت شهرتها في الآفاق، سماها: «قواعد الدستور في فرائد الدكتور».

الهوامش :

(١) ابن خلكان: مؤرخ حجة، وأديب ماهر، ولد قرب الموصل، واسمه أبو العباس احمد بن محمد، انتقل الى دمشق وتولى القضاء فيها، ومارس التدريس حتى توفي (٦٨١هـ).

(٢) ياقوت الحموي: أبو عبد الله، ياقوت بن عبد ا لله، مولى رومي الأصل، بغدادي المولد، استقر به المقام في حلب، عند الوزير القفطي، له «معجم الأدباء» و«معجم البلدان». ت (٦٢٦هـ).

(٣) القفطي: جمال الدين أبو الحسن، علي بن يوسف. ولد في بلدة قفط بصعيد مصر. ناصر صلاح الدين والقاضي الفاضل، استقر به المقام في حلب حيث ولي الوزارة مرات، وقد اتصل به ياقوت وأذاع فضله. توفي في حلب (٦٤٦هـ).

(٤) البيت لابي فراس الحمداني، من قصيدته المشهورة «أراك عصيَّ الدمع».

(٥) ابن بقية: وزير مشهور قيل إنه مات تحت أقدام الفيلة ت (٩٧٨هـ).

(٦) البيتان لصفي الدين الحلي، في ديوانه ص (٢٢٤)، ويليهما قوله:

لغة تنفرُ المسامعُ منها

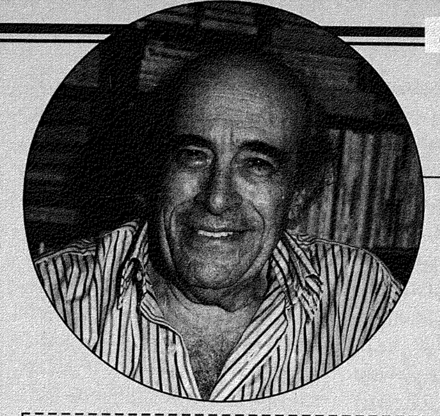
حين تُرْوَى وتشمئزُ النفوسُ!

(٧) زَهْ زَهْ : كلمة فارسية تقال عند الاستحسان. وقد تقال عند الاستهجان تهكماً وسخرية. (المعجم الوسيط مادة زَهْ).

(٨) البيت للشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة (ت ٤١هـ).

(٩) انظر: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، اعتنى بتصحيحه أ. احمد بن الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان، ص ٢٧.

(١٠) البُغاث: ضعاف الطير، وفي المثل: «إن البغاث بأرضنا يستنسر». يضرب للضعيف يصير قوياً، وللذليل يعز بعد الذل. (انظر: مجمع الأمثال للميداني، ج١، ص ١٠).



حوار مع الروائي الكبير إدوار الخراط

«إدوار الخراط» الذي أعرفه من أشهر الروائيين.. وأكثرهم التزاماً.. الكتابة عنده ضرب من سائر ضروب الفنون الجميلة مجتمعة.. ومن شتى ضروب المعارف مجتمعة أيضاً.. أعرف قيمته الأدبية من خلال قراءتي المتأنية الصبورة لأعماله الإبداعية.. و«إدوار الخراط» إنسان عاشق لعروبته.. لذلك فلا غرو أن يمنح جائزة «سلطان العويس» التي تمنحها دولة الإمارات العربية.

ولد في ١٦ مارس عام ١٩٢٦ بالاسكندرية، وحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٦، وعمل مستشاراً لرئيس منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية. له أكثر من عشرين مجموعة قصصية وروائية، وحوالى خمسة دواوين شعرية، وأكثر من خمس عشرة دراسة أدبية، بخلاف ترجماته ومقالاته ودراساته. حصل على جائزة الدولة للقصة القصيرة عام ١٩٧٣م، وجائزة الصداقة الفرنسية العربية من فرنسا عام ١٩٩١، وجائزة كافافيس للدراسات اليونانية عام ١٩٩٨م، وجائزة الدولة التقديرية عام ٢٠٠٠م.

مجلة المنهل كان لها هذا الحوار الهادف والجاد:

* «إدوار الخراط».. كاتب راصد للأجواء النفسية.. ولقضايا الخلق والعدم والحياة والموت.. نتوقف عند قضية الموت.. يقول «وفيق» في رواية «أبنية متطايرة»: «هذا الموت الذي يلازمني الآن ملازمة مستمرة.. يجعلني لا أحس بأي شيء مما حولي».. الأمثلة عديدة.. ولنسأل.. لماذا الموت هو القضية التي شغلت فكر «إدوار الخراط» في كتاباته؟.

** ربما هي القضية التي تشغل فكر كل إنسان.. الموت من القضايا الأساسية أو الكبرى.. المصير.. من ضمن قضايا أخرى مثل: ما هي العدالة؟.. ما هي الحرية؟.. ما هو معنى الوجود؟.. إلخ.. من هذه القضايا التي - بطبيعة الحال - لها مذاق فلسفي.. وجوهر فلسفي.. ولكنها تعالج - فيما أرجو - في أعمال الروائية والشعرية معالجة فنية وليست معالجة عقلية نظرية.. ولهذا فلا ينبغي أن



حاوره : **وفيق صفوت مختار** - القاهرة

يؤخذ كلام «وفيق» أو من شئت مأخذ أنه هذا ما يعتقده الكاتب.. وإنما هذا ما يطرحه الكاتب من ضمن ما يطرح من أسئلة وقضايا.

***** بعض شخصيات «إدوار الخراط» تعاني من صراعات واحباطات وحزن عميق.. هل النفس البشرية مفطورة في الأغلب الأعم على الحزن؟ وأن الحزن الإنساني هو الجدير بالتسجيل والحكي والقص؟ وأن لحظات السعادة تعاش ولا تدون؟.**

** هذا صحيح .. ولكنه غير كاف.. بمعنى أن الشجن والحزن والألم وأيضاً المأساة موجودة في حياة كل إنسان.. وفي صميم كل كتابة أدبية.. ولكن إذا كانت المقوم الوحيد لهذه الكتابة فهو خلل.. هناك إلى جانب الحزن النشوة والفرح والبهجة.. ليس بمعنى السعادة.. السعادة كلمة غامضة جداً.. السعادة حالة لا أعتقد أنها متصلة أو مستمرة أو دائمة.. وليست هي الخمول أو الركود أو الاستنامة إلى المتع والملذات استنامة هادئة.. ليست هذه سعادة.. وإنما السعادة أن تحدث بهجة.. تحدث إقبالا على الحياة.. واستمتاعاً بالحياة.. وتأكيداً للأمل في الحياة في مقابل الفجيعة والحزن واليأس.. إلى آخر ذلك.. فهذه هي بالتأكيد عناصر الأدب الصحيح.. والحياة الصحيحة.

***** ما رأيك بصدد الحيرة التي يقع فيها المبدع أحياناً بين ما يكتبه ليرضيه هو كمبدع أو كاتب، وبين ما يرضي جمهرة القراء أو المتلقين؟.**

** أبداً.. أنا أعتقد أنها قضية مغلوطة.. لأنه عندما يكتب الكاتب.. أو يعمل الفنان بشكل عام وفي ذهنه اعتبارات أخرى غير متطلبات العمل الفني نفسه هو مُعرض للعطب.. وأي نوع من أنواع التنازل في هذه الحالة.. يؤدى إلى فقدان العمل الفني قيمة لعلها كانت تتوفر له.. ليست المسألة مسألة لامبالاه بالقارىء.. أو عدم اهتمام بالقارىء.. هذا غير صحيح لأن كل فنان يهمه أن يقرأه ويسمعه ويراه كل أحد.. كل أحد في العالم، لكن بطبيعة الحال إذا وضع الفنان نُصْبَ عينيه شيئاً آخر أو ما يريده الجمهور، ما أدراه بما يريده القارىء أو المستمع؟..

**** العمل الفني الجاد رؤية مستقبلية.**

**** الاديب يستشرف الظواهر الاجتماعية والحياتية من خلال قراءة الواقع.**

**** جائزة نوبل ليست المعيار للقيمة الادبية.**

وأي قارىء؟ وعلى أى مستوى؟.. ولأي درجة؟.. هل هو الحد الأدني؟ وعندئذ يصبح كلامه سطحياً جداً.. هذه مسألة أعتقد أنها خارجة عن سياق الخَلْق الفني.. وغريب عليه.. أنا أيضاً أعتقد أن القارىء حتى لو كان لديه أى مستوى من التعليم سيصل إليه شيء من العمل الفني الأصيل.. يصل بشكل أو بآخر.. قد لا يستطيع أن يعبر هذا القارىء عما وصل إليه من هذا العمل تعبيراً دقيقاً أكاديمياً متقفاً إلخ.. لكن أنا مؤمن أن شيئاً فيه يهتز ويستجيب للعمل الفني الصادق.. وفي تصورى أن التنازل يؤدى إلى الخلل والعطب.

اجتماعية وحياتية مختلفة قبل أن تقع.. الفنان يدرك أو يتنبأ بما سوف يحدث، كما حدث في بدايات هذا القرن بالنسبة للحركة السيريالية والحركات التشكيلية المختلفة التي آذنت بهذا التفكك وانعدام المنطق العادى اليومي.. وحلول منطق آخر محله هو منطق الإنفعال.. منطق القوى اللاواعية.. إلا أنه في النهاية الإنسان ليس عقلا فقط.. بل هو إلى جانب العقل.. والعقل هو كما قال شيخنا «المعرى» الإمام في الكتيبة الخرساء أو الكتيبة الظلماء، ولكنه ليس هو العنصر الوحيد الذي يقوم الإنسان.. إلى جانب العقل هناك تلك القوى التي تجيش بها النفس والروح الإنسانية.. لعلّ الفن هو وحده القادر على رؤيتها وادراكها.

**** يطلق البعض على هذا العصر عصر القلق والتعقيد والتفتيت، وكان من الطبيعى أن تتأثر الرواية ومعها الشعر والقصة القصيرة بكل هذا القلق، فصارت الرواية لا تخضع لقواعد العقل والمنطق، بل أصبحت صورة الحياة المفككة.. وخرجت في شكل وعاء يضم كل المتناقضات التي تجعل من الحياة لوحة من الأخلاط العجيبة.. ما صحة هذا الطرح؟.***

** هذا صحيح.. ولكن التوضيح أو استكمال هذا الموقف هو أن العمل الفني ليس مجرد انعكاس للواقع أو للمجتمع، ليس صورة في مرآة، وليس محاكاة، وإنما هناك تفاعل مستمر، وتبادل في التأثير، والدليل على ذلك أن العمل الفني أحياناً يستشرف ويرهص ويتنبأ بوقوع ظواهر

**** أعمالي تسير في مواجهة السائد وتقتحم غير المألوف.**

**** الجائزة مرفأ أمان وموضع ترحيب وتقدير.**

**** النقد الجاد يعكف على الاعمال الجادة.**

**** التطبيع الثقافي مع العدو الصهيوني خيانة.**

**** هل أصبح من العسير أن يفوز بجائزة نوبل في الأدب مبدع مصري أو عربي، على غرار فوز «نجيب محفوظ» بها في الثمانينيات؟..***

** يجب أن نتخلى عن الهوس بنوبل.. لأن نوبل ليست هي المعيار النهائي، أو الوحيد للقيمة الفنية، هناك فنانون كبار أو أدباء كبار لم يحصلوا على «نوبل» بل بالعكس هناك من حصل عليها ممن هم أوساط، أو على الأقل لا يتمتعون بموهبة كبيرة!! هناك اعتبارات أخرى دائماً تدخل في حسابات جائزة «نوبل» اعتبارات التركيز على الثقافة الأوربية.. فليس من المعقول مثلا أن الهند بكل ثرائها ولغاتها المتعددة لم يحصل منها كاتب أو أديب على

«نوبل» إلا «طاغور» في أوائل هذا القرن!! ممّا يدلك على أن «نوبل» ليست هي المحك أو المعيار النهائي للقيمة الفنية.. وطبعاً العالم العربي أيضاً فيه ـ فيما أتصور ـ من هو أجدر «بنوبل» ممن حصلوا عليها من بعض كُتَّاب الغرب.

*** بعد فوزكم المستحق بجائزة «سلطان العويس» في الرواية.. ماذا تعنى الجوائز الأدبية لديكم؟.**

** هو طبعاً بالنسبة للكتابة.. والعمل الفني وطوال سنوات عديدة جداً جداً.. لم يكن لعوامل خارجية مثل الشهرة والانتشار والرواج أو الجائزة أو الحصول على مركز إلى آخر كل ذلك.. أي قيمة، أو أى اعتبار، بالعكس تماماً، أظن أنه منذ بداية أعمالي كنت أسير في مواجهة السائد، أو ضد التيار الغالب، وأحاول أن أقتحم غير المألوف، وأن أقوم بمغامرة في الفن.. أعتبر أنها هي أحد الشروط الأساسية للعمل الفني الجاد.. لكن طبعاً الجائزة عندما تصل تصبح مرفأ أمان للكاتب وموضع ترحيب وتقدير.

*** هناك من يرى بأن الحركة النقدية في مصر والعالم العربي قاصرة عن تتبع هذا الكم الهائل من الإبداع الروائى والقصصي والشعري أيضاً!! ما تعليقكم؟**

** طبيعى جداً أن يكون هناك فجوة زمنية بين ظهور العمل الأدبي.. وظهور النقد، لأن النقد عملية ليست مثل الإلهام في كتابة قصيدة شعرية تأتى في ومضة خاطفة، بل تحتاج الى دراسة وتأمل، فترة من الزمن يخلص فيها الناقد للعمل ولتأمله ولدراسته، وبالتالى لا يبدو أنه يواكب ظهور العمل مواكبة فورية، بل هناك دائماً هذا القدر من التمهل، وخاصة أن النقد يعكف، النقد الجاد الحقيقي يعكف على الأعمال الجيدة، وهذه الأعمال ليست بالضرورة كثيرة، لأن الواضح جداً أن الأعمال الجيدة ليست هي التي تغرق الأسواق، ما يغرق الأسواق هو السهل المتداول الرائج، الأعمال الجيدة تحتاج إلى جهد في تلقيها.. وهو جهد ممتع دائماً، وجهد لكي يستطيع الناقد أن يلعب دوراً، أو يقوم بدور الجسر بين العمل وبين القارىء.

*** يدعو البعض لإقامة تطبيع ثقافي مع إسرائيل!!.. ما تعليقكم؟**

** خونة !!

*** وما هي مبرراتكم؟.**

** سهلة جداً، وواضحة جداً، ولا تحتاج الى تبرير.. بمعنى.. لا يمكن أن أدعو إلى تطبيع مع شيء غير طبيعي، واسرائيل غير طبيعية، إنها حتى الآن ولأمد غير منظور مازالت تغتصب أراضي غيرها.. مازالت تنتهك حقوقهم، مازالت تمارس نوعاً من الاستعلاء العنصرى ومزاعم التفوق، ومازالت عملية لقوى استعمارية واضحة النوايا.. وواضحة المقاصد.. وواضحة المناهج، مازالت أيدى اسرائيل تقطر بدم الفلسطينيين كل يوم، كيف أمد يدي لهذه الأيادي الملوثة بالدماء!؟

*** بماذا يرى «إدوار الخراط» الواقع الثقافي في مصر والعالم العربي؟**

** الواقع الثقافي كلمة عريضة جداً، دعنى أركز على الرواية والقصة القصيرة والشعر.. أنا أعتقد في كلمة موجزة، أننا لم نشهد فترة حدث فيها هذا الإزدهار، والمغامرات المتعددة، والاتجاهات الكثيرة، والمواهب الواضحة كما نشهد الآن في القصة القصيرة وفي الرواية وفي الشعر أيضاً.

الاستشراق

أهدافه وأثره في الدراسات العربية

مرّ على العالم العربي حين من الدهر، بات الباحث فيه، لا يكاد يجهر بابداعه الفكري في مجال الدراسات التراثية العربية، العلمية، واللغوية والأدبية والفنية، الا باستشارة مباشرة أو غير مباشرة للدراسات الغربية والاستشراقية بخاصة؛ اذ كان **ظل خطاب المستشرقين، يرافق كل متلق** حاول ابتداع مشروع انمائي، أو اعلان نظرية، أو كتابة رسالة علمية، أو الادلاء بفكرة مبتدعة في مجالي البحث العلمي والأدبي.

ولم تكن تعود البتة تلك الظاهرة لضعف في التكوين العلمي لدى الباحث العربي آنذاك، أو لأن الدراسات الاستشراقية للتراث العربي الاسلامي جاءت بالقول الفصل والمنهج العلمي السديد، **وانما ترجع الى الركود الفكري والثقافي** الذي شمل العالم العربي الاسلامي قرونا، ليترك فراغا تتولى الفصل فيه الأحكام الاستشراقية في أخطر القضايا الفكرية والعلمية المتصلة بالتراث الحضاري. وساعدها على ترسيخ خطابها الاستلابي، وسائل الاعلام، والامكانات المادية، واستثمار المعارف الانسانية لصالحها.

وانطلاقا من هذا المعطى يصبح (الاستشراق) موضوعا خطيرا، يفرض نفسه بالحاح، ويحتاج الى دراسات جادة ومتجددة - على الرغم مما أثير حوله من اسئلة ونقاش، وما عقد من ندوات وملتقيات، وما صدر من كتب ومقالات - تميط اللثام عن أهدافه وآثاره الايجابية والسلبية في الدراسات العربية الاسلامية.

وتأتي هذه الدراسة، لاثارة موضوع الاستشراق باعتباره حركة علمية ومدرسة فكرية، تباينت الآراء ووجهات النظر في الحكم عليها بين الدارسين. وتتمحور حول مفهوم الاستشراق، وحصر أهدافه، وتشخيص آثاره الايجابية والسلبية في الدراسات العربية.

المفهوم:

الاستشراق لغة مأخوذ من جذر (شرق) بزيادة الهمزة والسين والتاء للدلالة على الطلب والسؤال غالبا[١] ومنه التعبير العربي القديم (هؤلاء قوم استعربوا)؛ أي طلبوا العربية في تعلمهم حتى لزمتهم. واصطلاحا تأتي وصفا للشخص الذي اتخذ الشرق ميدانا له؛ فاطلع على حضارة الشرق ولغتها وعلومها عامة، وتضيق دائرة التخصيص في كلمة (مستعرب) التي تعني الشخص الغربي الذي اطلع على لغة العرب وعلومها وحضارتها خاصة[٢].

وقد ظل تعريف مصطلح الاستشراق يتباين بين الدارسين باعتباره ظاهرة غير محددة الغاية، ولا

بقلم : **د. الجيلالي حلام** - كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة سيدي بلعباس

مقصودة الهدف؛ فالاستشراق لم يكن للعلم الصرف أو السياسة الصرفة أو للدين أو للفن أو غير ذلك. كما أنه يختلف باختلاف الايديولوجية التي ينتمي اليها الدارس، وبحسب المعتقد، من مسلم الى مسيحي الى يهودي الى ملحد؛ ولذلك لم يتضح هذا المصطلح الا في حدود القرن الثالث عشر الميلادي، مع كل من/ فدريك الثاني المتوفى سنة ١٢٥٠م، وألفونسو صاحب قشتالة، المتوفى سنة ١٢٨٤م الذي (جمع المترجمين وأمر بترجمة كتب العرب، فقضوا معظم القرون الوسطى في النقل ليخرجوا بحوالي تسعين كتابا في الطب و٤٠٩ كتابا في الكيمياء والنجامة و٩٠ كتابا في الفلسفة والعلوم الطبيعية و٧٠ كتابا في الرياضيات والفلك)[٣].

على أننا نجد قبل هذا التاريخ، ظاهرة الاستشراق تتبلور في شكل ارساليات تنصيرية، مثلما فعل المستشرق جربر دي اورلياك (٩٣٨ - ١٠٠٣م)؛ حيث (أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ولما ارتحل الى روما سما على أقرانه، وانتخب حبرا أعظم، باسم سلفستر الثاني (٩٩٩ - ١٠٠٣م)، فكان أول بابا فرنسي يأمر بانشاء مدرستين عربيتين/ الأولى في روما مقر خلافته، والثانية في رايمس وطنه)[٤]. ومثله المستشرق قسطنطين الافريقي الذي انتحل لنفسه كتاب المقالات العشر لحنين بن اسحاق المتوفي سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، فجعل عنوانه (كتاب قسطنطين الافريقي في طب العيون)[٥].

ولعله، ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي، أخذ يتضح مصطلح الاستشراق، والمستشرقون هم علماء غربيون درسوا اللغات الشرقية كالعربية والفارسية والهندية وغيرها، واطلعوا على حضارتها وعلومها وصناعاتها في مواطنها الأصلية من أجل غايات وأهداف متعددة، وان غلب عليه في هذه الفترة من الزمن دراسة الاسلام وما يتبعه من لغات أهله وتاريخهم وعلومهم ومظاهر حضارتهم.

ولم يستقر المصطلح علميا، الا في حدود القرن الثامن عشر؛ ليدرج في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٨م، كما عقد أول مؤتمر للمستشرقين سنة ١٨٧٥م، وأسس المعهد الكاثوليكي في باريس (in-stitut cath de paris) سنة ١٩٧٥م للغات العربية والسريانية والقبطية[٦].

أسباب نشأته :

اختلفت آراء الدارسين حول تاريخ نشأة الاستشراق وأسبابه والاهداف التي ظل يسعى لتحقيقها، الا أن المعطيات التاريخية تجعلنا نقف على الكثير من الاحداث ذات الصلة الوثيقة بما أصبح يدعى فيما بعد (بالاستشراق)، ومن أهم الآراء في هذا الصدد نذكر:

١ - يرجع تاريخ نشأة الاستشراق الى سنة ٦٢٩م في معركة (مؤتة) بين المسلمين والبزنطيين؛ حيث احتك المسلمون بالرومان، فشاهد الرومان أول مرة حضارة راقية، ونظاما عجيبا يحرك الناس، ويدعوهم الى منهاج يمكنهم من السيطرة على كل ما يقف أمامهم؛ (فوقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية)[٧]، بدعوى أن الاسلام قادر على احتواء العالم في أي وقت من الأوقات، فهل حركة الاستشراق تبدأ بهذا التاريخ؟ وهل يرجع فعلا قيامها الى هذه الخصومة التاريخية؟.

٢ - يعود الاستشراق الى مجالس العلم في الأندلس، والي الاتصال المباشر للغربيين بالمسلمين؛ لأخذ العلم والمعرفة، فقصدوا مدارس اشبيلية وقرطبة، مثلما فعل المستشرق جربر دي أورالياك ابتداء من القرن العاشر؛ حين قصد الأندلس وأخذ من أساتذتها، في مدارس ريبول، وأشبيلية، وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره علما وثقافة كما سبقت الاشارة[٨].

٣ - يبتدىء الاستشراق بأيام صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨ - ١١٩٣م)، ومع الحملات الصليبية المتتالية، لسبب عقائدي سلطوي، كما يذهب الى ذلك المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل؛ فيذكر أن الغرب وصل به الأمر الى أن (يرسم صورة المسيح وقد كتب تحتها/ هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين)[٩].

٤ - وفريق آخر يرى أن نشأة الاستشراق، ترجع الى تاريخ فتح الاندلس على يد طارق بن زياد سنة ٧١١م، وانتصاره على رودريك ملك القوط. وتمتد هذه الفترة الى حدود فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م.

وكان ذلك بهدف البحث عن أسباب القوة عند المسلمين؛ فوجدوا أنها تكمن في القرآن الكريم، وضمنه اللسان العربي الذي يفتح لهم آفاق العلم، ويعرفهم على كنوز الحضارة العربية الاسلامية. فعمدوا الى اتخاذ كل وسيلة في سبيل تعلم اللغة العربية، وترجمة كل ما كتب بهذه اللغة، حتي وجد من ضمن علماء أوربا من لا يحسن الا اللغة العربية كتابة وقراءة، من مثل: (ألفونسو)، و(بيدرو الطليطلي المتوفي سنة ١١٤٠م) الذي يقول (وقد أصلح راهب لغتي اللاتينية؛ لأنني لا أجيدها مثل اجادتي اللغة العربية)[١٠].

ان تتبع الآراء السالفة الذكر حول تاريخ نشأة الاستشراق وأسبابها، تجعلنا لا نكاد نستقر على رأي، وبخاصة أن هذه الحركة لما تبلورت، اعتنت بكثير من القضايا المتشابكة، ولا سيما مع بداية ظهور الاستعمار الاستيطاني، الساعي الى البحث عن المصادر الاقتصادية، الا أن جل الآراء السابقة تتكامل في بعض التواريخ والاسباب، فالسبب المشترك بين الآراء السابقة، ينحصر في البحث عن أسباب القوة عند المسلمين، وقد تمثلت في المنهج الاسلامي الشامل الذي فتح آفاقا عظيمة، في العلم والتطور الفكري الحضاري. وينطلق تاريخ هذا المنهج عبر مرحلتين:

١ - مرحلة اللقاء المبدئي سنة ٦٢٩م في معركة مؤتة؛ وهي مرحلة تطلع وانبهار.

٢ - مرحلة الأخذ ابتداء من سنة ٧١١م في الأندلس أثناء الفتح وبعده.

ومع ذلك، فان أغلب الآراء السابقة جديرة بالدراسة؛ لأن كل فريق عالج جانبا من جوانب الاستشراق المتداخلة، وليس أدل على ذلك من العداء المصطنع بين (الاسلامية)، كمشروع حضاري، والايديولوجيات الأخرى القديمة والحديثة وحتى المعاصرة منها مثل ظاهرة العولمة، أو النظام العالمي الجديد الذي يود الاستمرار في الهيمنة، ورفض وجود

** علماء المسلمين وفروا للعقل مساحة واسعة في حرية البحث.

** المستشرقون أفادوا كثيراً من منهجية البحث عند المسلمين.

أي مشروع حضاري آخر ينافسه، كما عبر عن ذلك الروائي فوكو ياما في (نهاية التاريخ)؛ حيث حاول مروجا، أن يخرج كل الأمم من التاريخ القادم، باستثناء الغرب وأمريكا بالذات[١١].

أهداف الاستشراق:

ظلت ظاهرة الاستشراق تتطور منذ نشأتها، تبعا للأهداف المتجددة؛ فلئن ابتدأت بنظرة انبهار وتطلع الى المجتمع العربي الاسلامي، ونظامه المثالي المتكامل، فانها سرعان ما حاولت الأخذ بأسباب هذه القوة وعناصرها المتمثلة في المشروع الاسلامي.

وهو مشروع، يكمن جوهره في المنهج العلمي المعتمد على اليقين الكامل في المنقولات والثوابت، والقياس والاستقراء في القضايا الفكرية والعلمية، على خلاف المنهج الأرسطي الذي ظلت أوربا متمسكة به دون تعديل قبل اطلاعها على الدراسات الاسلامية في المجالات العلمية المختلفة.

ولما كانت أهداف هذا التوجه متعددة - بحيث لا يمكن أن يكون الدافع واحدا للمستشرقين كافة، وفي جميع البلدان العربية والاسلامية، خلال أكثر من ألف عام، اذ كانت هناك دوافع وأهداف متنوعة ومتداخلة ومتطورة - نفضل أن نتتبعها من منظور ثلاث أطروحات:

١ - هدف علمي تعصبي:

بدأ بنظرة انبهار واعجاب، فسعى الغرب في اطاره الى محاولة الوقوف على سر قوة العرب المسلمين؛ حيث ان أوربا (نظرت الى الحضارة الاسلامية نظرة اكبار وتهافت، ولكن الرهبان أخذوا بدافع تعصبي يحاربونها.. ويدرسون الثقافة الاسلامية، رائدهم في ذلك تتبع العورات، وتلمس السيئات.. وتعاونت الكنيسة مع ملوك أوربا في شد أزر المستشرقين والتمكين لهم في مهمتهم)[١٢]، ومن هنا عمل على أخذ كل المآثر الحضارية، من معارف وصناعات وفنون ومناهج، (فكانت أوربا في القرن الحادي عشر، تتجه الى العرب باحثة عما تجده عندهم من صناعات وعلوم وفنون وخاصة الملاحة)[١٣].

وبرزت ملامح هذا الهدف في مجالات عديدة؛ حيث تأسست حركة الترجمة للوصول الى خلاصة فكر المعارف العربية.

٢ - هدف تبشيري عقائدي:

بدأ مع الحملات الأوربية نحو افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، لنشر المسيحية، في محاولة لصد انتشار الاسلام، مع العمل على التشكيك في صحة الرسالة الاسلامية تحت ستار طلب العلم والمساعدة، فظهر قادة سياسيون دعموا هذه الحركة، أمثال، نابليون بونابارت ١٨٩٢م وغيره.

ومن ثمة بدأت نهضة أوربا لتطويق الاسلام (فحوصر، وقطع عن مصادره الصافية، فبدأ المجتمع العربي يميل نحو، الضعف ليعود بعد ذلك الى أنظمته التقليدية القديمة)[١٤].

وقد ارتبط هذا السعي بالحركات المتطرفة المعادية للاسلام، كالماسونية والصليبية والصهيونية، من منطلق تعصبي **يعمل على نكران فضل المشروع الاسلامي** على البشرية، وبالتالي العمل على تشويه القيم الاسلامية. يقول كارل بروكلمان (وفي المدينة أدخل محمد [صلى الله عليه وسلم] على غرار اليهودية صلاة ثالثة عند الظهر)[١٥]. ومن ذلك أيضا، مسألة الترويج لحركة القرامطة في العالم العربي، وزرع المصطلحات المنافية للدراسات الاسلامية (رجل الدين - الاشتراكية الاسلامية - السامية)، ودفع الطلبة العرب والمسلمين في الجامعات الغربية، الى اختيار موضوعات أطروحاتهم في القضايا الهامشية التي ليست من العلم أو الاسلام في شيء.

ومن أمثلة هذه المواقف، أن المستشرق (اندرسون) رئيس قسم الاحوال الشخصية في جامعة لندن، عمل على اسقاط طالب في شهادة الدكتوراه،

بسبب اختيار موضوع (التشريع الاسلامي)، ولما سئل في ذلك قال (هل هو ناطق رسمي باسم الاسلام؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي؟[١٦].

٣ ـ هدف اقتصادي استعماري:

برز هذا الهدف مع بداية مرحلة النهضة الاوربية من أجل تحقيق المصالح الاستراتيجية سياسيا واقتصاديا، فأصبح المستشرقون آلة طيعة في يد الدول الاستعمارية التي تسعى الى توفير المواد الخام لمصانعها، واستغلال الأراضي الشاسعة، واليد العاملة الرخيصة.

وبعد استقلال الدول العربية، اتجه الى سياسة ابقاء العالم العربي الاسلامي على تخلفه، ليظل محتاجا الى الغرب، الى أن تمكن من السيطرة الاعلامية والاقتصادية تحت ستار تصدير التكنولوجيا والمعلوماتية.

٤ ـ هدف سياسي حضاري:

وقد تجسد هذا الهدف مع بداية القرن العشرين؛ حيث ظهرت نخبة من المستشرقين المستخبرين، تعمل لحساب الدول الصناعية والشركات العالمية المتعددة الجنسيات، وكذا استغلال ظاهرة الحرب الباردة التي تحولت اليوم الى ما يعرف بالنظام الجديد الأحادي القطب في ظل العولمة.

آثار الاستشراق في الدراسات العربية:

ان الدراسة الموضوعية لحركة الاستشراق، في ظل أهدافها المتعددة والمتباينة التي جئنا على ذكر بعضها آنفا، ومحاولة قراءة خطابها، والوقوف على آثارها في الدراسات العربية، تجعلنا نترصد كثيرا من الايجابيات، كما لا نعدم جملة من السلبيات.

فلا جرم، أن الخطاب الاستشراقي، أثر تأثيراً مباشرا في الدراسات العربية المختلفة، سواء على مستوى مناهج البحث أم على مستوى الرؤى الفكرية لبعض الدارسين العرب والمسلمين.

فمن الثابت أن الخطاب الاستشراقي وفد الى العالم العربي الاسلامي، بعد تفكك الخلافة الاسلامية، وبروز ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية متدهورة، مما سهل على الغرب مسألة الاحتواء، وجعل تلقي الخطاب أمرا ميسورا، يتقبله الباحث العربي بشغف واهتمام زائدين، وتأثر بالغ، على ما يحمله من أهداف مشبوهة.

الآثار الايجابية والسلبية:

١ ـ استثمار المنهج العلمي والافادة منه، واشهاره في البحوث والدراسات المختلفة، وهو منهج لم يبتدعه المستشرقون، بل استنبطه علماء العرب مما شاع في الدراسات الاسلامية عند ابن رشد وابن الهيثم والغزالي وغيرهم، كما شاع في الدراسات الغربية بعد ذلك عند مونتسكيو وديكارت وبرونتيير وغيرهم، وهو منهج استثمره المستشرقون في تحقيق جانب كبير من التراث العربي الاسلامي، كما ظهرت آثار هذا المنهج في أساليب التعليم العربي، وتحقيق التراث الفكري والأدبي والعلمي والترجمة.

وقد تلقف الغرب أول مرة هذا المنهج، من منطلق أن العقل فوق الحكم، والتجربة مناط النتيجة، كما جاء في التراث العلمي الاسلامي، يقول المستشرق ادلرد أوف (١٠٧٠ ـ ١١٣٥م) ADELARD OF، (انني وقائدي العقل قد تعلمت شيئا واحداً من اساتذتي المسلمين)[١٧]، ويعني بذلك أن المنهج الاسلامي في البحث العلمي أطلق الفكر الأوربي من قيده، وحرره من عقاله، ليناقش مواضيع، وينتقد مواضيع كانت ممنوعة عليه، ودفعه الى تطوير النظريات واستثمار نتائج التجارب العلمية.

غير أن هذا المنهج العلمي لم يقدمه المستشرقون كما استقوه من مصادره الأصلية، بل أدخلوا عليه تحويرات فانتقل من (منهج اليقين والشك) الى (منهج الشك) فقط، في الصورة التي تبناه فيها العالم الفرنسي ديكارت. وهو ما جعل بعض الدارسين العرب يتأثرون به، ويأخذونه على علته، كما هو الشأن مع سلامة موسى وطه حسين وسعيد عقل وغيرهم.

وفي ظل هذا المنهج ذهب طه حسين الى تقديم اطروحته (في الأدب الجاهلي)، ليخرج بنتيجة مفادها أن (الشعر الجاهلي في أغلبه ليس من الجاهلية في شيء، وانما هو منتحل من مؤلف بعد ظهور الاسلام.. وأن أكثر ما نقرأه من شعر امرىء القيس أو طرفة، أو ابن كلثوم، أو عنترة، ليس من هؤلاء في شيء، وانما هو من انتحال أو اختلاق الرواة)[١٨].

ويتدرج طه حسين في اطار منهج الشك؛ ليقول: (التوراة تحدثت عن ابراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي.. ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة)[١٩].

لقد أوضح طه حسين، تأثره بالمنهج الديكارتي الذي يطالب الباحث بأن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن ينسى عواطفه القومية والدينية[٢٠]، الا أن طه حسين في هذا الصدد، لم يشر الى أن هذه الفكرة طرحها قبله بسنة واحدة، أي ١٩٢٥م المستشرق الانجليزي د. مرجليوث (١٨٥٨ - ١٩٤٠م) في كتابه (أصول الشعر العربي الجاهلي)[٢١]، واذا كان من حق مرجليوث أن يطلق منهج الشك على علاته، فان الباحث العربي المسلم يميز بين عنصري هذا المنهج، أي بين الموجودات والمعقولات اليقينية، التي يعود فيها الباحث الى النقل، مثل وجود ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، بنص القرآن والحديث، والسيرة النبوية وتواتر الروايات، وبين الموجودات والمعقولات غير اليقنية التي يعود فيها الباحث الى العقل من منطلق الشك فيها أو في وجودها مبدئيا، كمعلقة عنترة كاملة مثلا.

**** الركود الفكري والثقافي عند المسلمين أدى الى تتبع بعض دارسيهم خطى المستشرقين.**

**** في بعض المراحل التاريخية تبلورت الحركة الاستشراقية في شكل ارساليات تنصيرية.**

وقد أدى هذا المنهج بطه حسين الى اهمال المقدمات والثوابت من الشواهد، والى خلط الحقيقة بالخيال، والتجربة بالتخمين، الشيء الذي أفرغ البحث العلمي من محتواه، واستحال الى تساؤل احتمالي، مندس في ثوب الحقيقة وما هو بالحقيقة.

ومهما يكن من أمر؛ فان استثمار منهج الشك في المنقولات والمعقولات دون التميز بينهما، كان له فضل اثارة العقل العربي في تلك الفترة التي عرفت بعصر الانبعاث.

٢ - تحقيق نسبة كبيرة من التراث العربي الاسلامي، في مختلف فنون المعرفة وفي جميع المجالات الفكرية والعلمية والأدبية واللغوية، دراسة أو تحقيقا أو ترجمة، واخراجها في طباعة عصرية مرتبة ومبوبة، وهو عمل أفادت منه الدراسات العربية، **غير أن**

** المنهج العلمي الاسلامي يقوم على اليقين الكامل في المنقولات الثوابت.

** المنهج الاستشراقي يعتمد منهج الشك الكلي في كل شيء.

** بعض الدارسين من المسلمين اعتمدوا مناهج المستشرقين فحادوا عن الجادة.

كثيرا من هذه الدراسات، سعت الى محاولة قطع صلة الدارس العربي بأصوله التراثية، وبث الشك في بعض الحقائق العلمية والتاريخية والاسلامية، بسبب الترجمات غير الأمينة والدراسات المشبوهة، التي حرفت، وحذفت، وأضافت، ونسبت الحقائق العلمية الى غير أصحابها.

ومن أمثلة هذه المغالطات التي أثرت في الدراسات العربية، ما قدمه المستشرق الفرنسي رينان أرنست (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢م) صاحب كتاب تاريخ اللغات السامية الذي ظهر سنة ١٨٦٢م، ومعاصره المستشرق الألماني شلوتسير (١٨٢٢ ـ ١٨٩٣)، اللذان اطلقا مصطلح (اللغات السامية) بدل (اللغات العروبية البابلية أو الأكادية)[٢٢]، اذ اقتبس شلوتسير هذا الاسم من سفر التكوين حسب أولاد نوح الثلاثة (سام وحام ويافث)، وأن أولاد سام هم/ عيلام وآشور وآرام وأرفكشاد الذي أنجب شيلاش، ولهذا الأخير عابر أبو العبريين[٢٣]، محاولا بذلك ربط صلة القرابة بين العرب واليهود من جهة، وسحب أمومة اللغة العربية لباقي لغات الشرق الأوسط قديما، على الرغم من اشارات النقوش القديمة الى أصالة العربية، مثل نقش زبد ٥١٢م ونقش حران ٥٦٨م وغيرهما[٢٤] من النقوش التي تثبت أن العربية القديمة، كانت موجودة وهي أصل لكل الفصائل العروبية الأخرى الموصوفة بالسامية.

٣ ـ محاولة دراسة اللسان العربي من أجل انجاز مهمتهم في الاطلاع على ذخائر العرب والمسلمين في مختلف المعارف، ابتداء من الصناعات ووسائل الحرب الى الطب والصيدلة والرياضيات وحتى أنواع اللباس والطعام.

ومن المستشرقين الذين أولوا أهمية للسان العربي، العالم الألماني فيشر أوغيست (١٨٦٥ ـ ١٩٤٩م) الذي أثرى المكتبة الغربية والعربية بعشرات الكتب، ومن أعماله معجم اللغة العربية القديمة الذي قضى في تأليفه أربعين سنة من العمل المتواصل، وقدّم جذاذاته الى المجمع اللغوي بمصر، وكان هو أحد اعضائه[٢٥] ومثله المستشرق الهولندي دوزي (١٨٢٠ ـ ١٨٨٣م)، ومن بين أعماله (تكملة المعاجم العربية)، أنجزه في جزأين سنة ١٨٨١م، وطبع بباريس سنة ١٩٢٧م، وكان لهذا المعجم آثار بالغة الأهمية في المعجميين العرب.

ويعتبر دوزي أول باحث وسّع من مصادر اللغة، فجمع الرصيد المفرداتي للمعجم وفق المنهج الوصفي، فاتحا باب الاجتهاد في رواية اللغة، مستعينا بكل المراجع التي أهملها المعاجميون القدماء والمحدثون،

مثل المصادر الاندلسية والمغربية والأعجمية والمزدوجة زمانيا ومكانيا، كما اقترح في هذا السبيل المعجم العربي التاريخي؛ وهو صنيع كانت له آثار ايجابية في مناهج البحث المعجمي، وأدى الى دخول مرحلة متطورة في صناعة المعجم مع نهاية القرن العشرين.

ويتضح لنا من المعطيات السالفة، والنتائج المعلنة، أن الاستشراق حركة علمية سياسية متجددة، وفق الظروف والتحولات العالمية، وهي متعددة الأهداف والغايات، أفادت من التراث العربي الاسلامي في جميع مجالاته، وكان لها أثر بالغ في الدراسات العربية تحقيقا أو ترجمة، وفي مناهج البحث المستثمرة.

ويقدر ما كان لهذه الحركة من الايجابيات في خدمة هذا التراث، كان لها من السلبيات في نظرتها الى بعض القضايا العربية الاسلامية، والحقائق العلمية والتاريخية التي لا يمكن لغير المسلم أن يتبناها أو يبدي فيها رأيه.

المراجع والهوامش:

(١) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دمشق ١٩٨٠ ط ١٤ ص ٢٢٢.

(٢) فؤاد افرام البستاني، دائرة المعارف البستانية، بيروت ١٨٧٦م، م١٢، ص ١١.

(٣) نجيب العقيقي، المستشرقون/ دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص ١١٠.

(٤) نجيب العقيقي، م.س.ص ١١٠.

(٥) م.س.ص ١١٠.

(٦) نجيب العقيقي، م، س، ص ١/١٤٠.

(٧) حسين هيكل، حياة محمد، دار المعارف، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م القاهرة، ص٩.

(٨) جرجي زيدان/ تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٨م،ج١/ ص ٥٠٨.

(٩) ابن الأثير - الكامل في التاريخ، مطبعة مصر، ١٣٠٣هـ القاهرة ج٩/١٠٢.

(١٠) السمرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص٢٢.

(١١) جميل مطر/ المسألة العربية بين قرنين. مجلة الثقافة العربية/ حوار الانداد، المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٩٩ تونس، ص ٣٦.

(١٢) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين ١٩٧٣م، بيروت ص٩٩.

(١٣) محمد أبو الفيض المنوفي، الاسلام والحضارة العالمية ص ٢٢.

(١٤) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، المكتبة الاسلامية، بيروت ١٩٨٥، ص ٣٣.

(١٥) صبحي الصالح، م.س.ص ٢٩.

(١٦) مصطفى السباعي، م.س.ص ٤٥.

(١٧) م.س.ص ٧٣.

(١٨) طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف ١٩٧٩، القاهرة ص ٢٣.

(١٩) م.س.ص ٢٦.

(٢٠) م.س.ص ٧

(٢١) نجيب العقيقي، م.س.ص ٧٧ ج٢.

(٢٢) م.س.ص ١٩١/ج١

(٢٣) علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة/دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٤٥ ص ٦.

(٢٤) محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، المكتب الاسلامي، بيروت/ ١٩٦٠ ص ١٢.

(٢٥) محمد رشاد الحمزاوي، تاريخ المعجم التاريخي، مجلة المعجمية العربية، ع ٦.٥/ تونس ١٩٩٠ ص ١٩.



د. نور الدين صمود - تونس

النـــوروالديجـــور

الليل أرخى فـــوق هـذي البطاحْ
ألفي جناح
ونـامـت الأعـينُ بـعـــد الرَّواحْ

* * *

واستـيقظت في الأفق عينُ النجومْ
فهْيَ الرُّجومْ
تصـد من باغـتـهـا بالهـجـوم

تلوح في الأجـواء مـثل الرمـاحْ
يوم الكفاحْ
تهـتـز كـالأغـصـان وسط الرِّياحْ

* * *

النور أغـــفى والظلامُ انتـــشــرْ
أين المفر؟!
إنْ غـاب عنَّا في الليـالي القمـرْ؟!

الليلُ في الآفـــاق مـــدَّ الجناحْ
ظُلْماً صراحْ
فـــهلْ على من هـابه منْ جُناحْ

* * *

ياناشـراً في الكوْن هذا السِّتـارْ
لذْ بالفرارْ
فـقدْ بدتْ في الأفق شـمسُ النهـارْ

وأنطق البُلبُل عطرُ الأقـــاحْ
والورْدُ فاحْ
والزَّهْرُ والنَّســرينُ عمَّ البطاحْ

* * *

وطـارد النـورُ ســـواد الظَّلامْ
بعد المنامْ
ورفَّ في الأفق كـسـرب الحـمـامْ

قـد لبستْ هذي الرياضُ الفسـاحْ
أحلى وشاحْ
فـانهض فـإنَّ العيش فيـهـا مُتـاحْ

* * *

والنـور مـثل السـيف فـيـه مَضَـاءْ
عذبُ الضِّياءْ
يُنْشـدُ فـجـراً في رحـاب الفَـضَـاءْ

«قـد حركَ الْجَلْجُلَ بازي الصبـاحْ
والفجرُ لاح
فـيـا غُراب الليل حُثّ الْجَنَاحْ (*)

(*) خرجـة هذا الموشح مـأخوذة من طالع مـوشح مـفـقود للسان الدين بن الخطيب .


في البلدان والعمران .. في التقاليد
والأعراف في تقاطيع وجوه
الناس، السائح يستقرئ
الملامح ويرسم اللوحة
بونه
الجزائرية
مدينة «الرقة»
عاصمة هارون الرشيد
مجلة
السائح
العدد (١٢٦)
AL-MARHHAL
Safer , 1422 H - Mar \ Apr , 2001 C

ذاكرة المكان:

بونه .. الجزائرية

ليون الافريقي يعالج المعالم الأثرية «لبونة» بالألوان والزهور والأضواء فتشع:

«بونة أو عنابة» مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو مائة وعشرين ميلا غربا، وكانت تسمي قديما أربونة، وفيها كان سان أوكيستان حين كانت خاضعة للقوط (الوندال)، ثم فتحها الخليفة الراشد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم اجمعين ـ

قد بنيت بعدها مدينة أخرى تبعد عن الأولى بنحو ميلين، استعملت في بنائها أحجار المدينة القديمة، وهي مشهورة عند الكثير من الناس باسم بلد العناب لكثرته في ذلك المكان يجفف هذا العناب ويؤكل في فصل الشتاء، وتضم المدينة حوالي ثلاثمائة كانون، وهي كثيفة السكان لكن الدور الجميلة بها قليلة، وفيها جامع في غاية الحسن مشيد علي شاطيء البحر.

والرجال فيها ظرفاء، بعضهم تجار وبعضهم صناع وحاكة يبيعون كمية وافرة من القماش الكتان في مدينة نوميديا، إلا أن أهل عنابة متكبرون شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حكامهم بل يتجرأون على التهديد بتسليم المدينة إلى النصارى إن لم يرسل إليهم الملك حكاما مستقيمين منصفين ويضيفون الى هذه العجرفة سذاجة كبيرة، لأنهم يعظمون أقواما يسيرون في المدينة كالمجانين، ويعتقد أنهم من الأولياء الصالحين، ويحيطونهم بكل اعتبار وتقدير.

ليس في عنابة عيون إنما فيها صهاريج لخزن ماء المطر. وفي الجانب الشرقي من المدينة توجد قلعة كبيرة حصينة محاطة بأسوار سميكة من بناء ملوك تونس، وفيها يقيم الحاكم. وفي خارج المدينة تحرث البادية على مسافة أربعين ميلا طولا وخمسة وعشرين ميلا عرضا وكلها صالحة لزراعة القمح وتسكنها قبيلة عربية تدعى مرداس، تزرع الأرض وتملك عددا كبيرا من البقر والثيران والغنم. وتعطي هذه الماشية الزبد الكثير يكادون لا يحصلون على مقابله من المال، عندما يحملونه للبيع في عنابة، وكذلك القمح. وتأتي كل سنة سفن عديدة من تونس وجربة ومن سائر السواحل، وكذلك من جنوة لشراء القمح والزبد، تستقبل بحفاوة كبيرة ويعقد السوق كل يوم جمعة خارج المدينة قرب الأسوار، ويستمر إلى المساء...

يوجد غير بعيد عن عنابة شاطيء يكثر فيه المرجان، إلا أنه ليس لأحد الحق في صيده من البحر أو التقاطه من الشاطيء، لأن الملك أكرى هذا الشاطيء للجنويين الذين استأذنوه في بناء قلعة هناك بعد أن أقلقهم القراصنة، لكن السكان رفضوا ذلك بدعوى أن الجنويين استعملوا مرة هذه الحيلة واستولوا على المدينة ونهبوها ثم استرجعها منهم أحد ملوك تونس».

من كتاب: وصف افريقيا للحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي).

المدينة: مولد الكلمات:

الورود، المباني، الأشجار، الجدران، الشوارع، النساء، الأمواج، الأطفال، الأسواق،

بقلم : **عبدالناصر خلاف** - الجزائر

بونه ليلاً

المجانين، السكارى، اللصوص،
العشاق، الحجارة،
الانسان.
كلها سرّ من أسرار المكان،
وأسرار حياته تبدأ من هنا..
هنا اللعنة الأبدية، السلوى،
الخطيئة، البكاء المرّ، أول حب، الذكرى،
حدود الفهم،
حدود النسيان.
أحبها !!
لم يختلف رواة الملاحم والسير الذاتية في هذا الحبْ.
شرب من مائها،
ثمل، لكنه لم يرتو..
منح للبحر حياته
لم يكن غائبا
كانت أرواح الأسياد حاضرة معه في تحولاته الأرضية،

مجسم تاريخي للفنان ناجم شراد





بونه منظر عام

هل ينسى اللغة، الأحداث؟

هل ينسى سقوطه وزوايا انكساراته؟

هل ينسى مجده هنا؟

بالتأكيد لن ينسى «الهنا»، «الهنا» شيء مختلف

لذا سيبقى ..

إذا رآه أحدكم يوما ماراً..

فالعلامة: خطى ثابتة

نظارات شمسية

وردة في اليد اليمني

ربطة عنق في اليد اليسرى

وجه مشع، لا تعكس ملامحه مرايا واجهات ساحة الثورة.

(ديانا) المفجوعة:

كانت عائدة.

من رحلة صيد طويلة جدا وشاقة

أتعبتها الغابات، الوحوش، السهول

الوديان، الصحاري، البحار، الجبال

عذبتها شهوة الصيد

وحين مرت «ببونه» كانت جبال إيدوغ حافلة بالأسود والأزهار

أدهشها المكان،

عطشت،

شربت من ماء وادي «بقرات»

وقعت الكارثة،

أصابتها لعنة المسخ

تحولت إلى تمثال برونزي..

يا للأيدي الظالمة!! يا للأيدي الرشيقة!!

حركت يدها ظلت على وشك الإمساك بسهم، ربما لتدافع به عن جسدها

تحرسه من العيون الحاسدة. العيون الحارقة. العيون القاتلة.

بدءا من «سيدي عمار» إلى «سيدي ابراهيم» إلى «غربي عيسى» تحرسه..

ومفتاح المدينة تميمة معلقة على صدره

هذا نشيد الإنشاد

والعاشق الكبير، عراب المحافل والولائم والأعراس راع الجنازات.

صانع المسارات..

صار مرشدا سياحيا للهائمين والقادمين من هناك..

يشعل الشموع، المجامر، البخور.

يغسل الوجوه، الأشجار، الطرقات.

تضاء المدينة الجديدة، يوجه «ليون الأفريقي» دعوة شرقية

لكل المعالم الأثرية والثقافية لبونة

هل سيسافر أبعد من هذا المكان؟

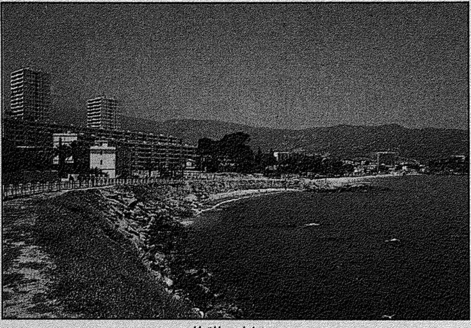
مثلا إلى مدينة أخرى، تخالف تلك التي تنام في عينيه وقلبه؟

تنام في عينيه كأنثى جميلة، جميلة وينسى لحظات المرور

المقـــــــدس في بلاد
السحرة.
أين القوس؟!
وغزالتها التي تستعطف
الجموع المارة، عذبها الثبات
إلى جانبها، عند
القاعدة الإسمنتية..
تحدق مفجوعة في تقاطع
شارع «لاكلون»
المليء بالحكايا والضجيج
في القلب اتسع جرحها
وعلى الصخرة الصماء
سال الدم والصيد حين امتدت
يد آثمة ونزعت قرنها ورجلها
اليسرى..
«من يهبك غزالة» أخرى يا ديانا..؟
صدقيني أيتها المفجوعة غير إنسان..
أين الإنسان؟

حقيقة صائد المرجان:

يسكنه الطواف
يقسو عليه الموج ولا يقسو على أحد
تعذبه الأشياء، الأضواء، الدوائر، الفصول،
الفنادق، السيارات.
تعذبه المدن.
في البدء،،
لم يكن بحاجة الى الواحد منا ليقول له: أنقذني من
العصرنة!!
بل اثنين - ثلاثة - أربعة - عشرة - مائة - مليون -
مليار.
وأحيانا لا أحد !! لا أحد!!
عندما يقف في الشارع المكتظ، منحني الظهر
ويود استعمال طريقة سهلة للصيد تهرب منه
الأسماك المرجانية
ينساب الماء، تضيعه الإشارات الضوئية، يغرق في



بونه شاطىء القطارة

التفكير
يصمت ..
يا للمجنون!!
معرفته باليابسة جد سطحية، والمحيطات عميقة..
والعارفون به يقولون عنه دائما: مكانه ليس هنا،
مكانه فوق الصخرة السوداء، ما بين الماء
المالح والرمال الصفراء..
هنا وهنا جنون الأمكنة..
الغبار أهان الإسمنت، لوث دمعة محتبسة في عين
مشاهد لا يستطيع أبدا أن يتحاشى
أشعة الشمس
هل يذهب «صائد المرجان» إلى شاطيء «القطارة»
ليحدث الأمواج بما رأى، فتحضن.شكواه النوارس
ويجالس الصيادين ليعرف منهم ما تحمله
السفن القادمة..
السفن الراحلة..
إن الضوء المنعكس منه إشارة قديمة جدا غير
قابلة للترجمة..
وحين نقترب منه نسمع نواحا قادما من بعيد، من
أعماق البحر.





بونه مهرجان اللباس والفنون التقليدية

هذا مقامي..
ولعنتي باطلة.. باطلة..

المرساة:

البحر: هوة سحيقة، مقبرة زرقاء
الموج: ارتباك
السفينة: وردة تأخذ شكل السهم المسموم المنغرس في قلب الطفل الضاحك
المرساة: شاهدة عدل على الرحلة البحرية
الجرار: فارغة
والحكاية تبدأ هكذا:

كان يا مكان..
من البر إلى البحر من البر إلى البحر من البر الى البحر..الى «بونة»
في البداية كانت أسئلة المارة صعبة:
- أية سفينة تمخر عباب البحر بدون مرساة؟
- ما الذي جاء بها الى هنا؟
- هل هي صالحة للملاحة؟
- هل يمكن استعمالها كديكور في إحدى المسرحيات
- لماذا لونها أسود؟
- ....؟؟
سوداء، نعم سوداء: إنها حزينة يا سادة.
والآن في مواجهة الجرار الفارغة مجرد لعبة أطفال،
وكرسي فلاذي للعشاق
من ينقذها من وحش الخيبة يا ترى؟

هرمونيا:

المرساة حديقة الطيور، الورود المضيئة
النخلة الشامخة، الساعة القديمة، الجرار الفارغة
اللوحات الخالدة، المدينة القديمة، قصر الثقافة،

«من لم يصدقني فليجرب هذا بنفسه».
يقول السندباد،
ثم يختفي..

سيدي ابراهيم يبوح بأسراره:

أنا : مندفع، متريث، خائف
مطمئن، سعيد، حزين
محب للخير
مغضّ البصر
أتجاهل في صمتي البذاءة
أبتسم للأطفال وأباركهم
لعبتي المفضلة: تسجيل الحوادث والأنباء
لا تكفيني لمسة دافئة من يد مريد مجهول، يزين مقامي بالصلوات،
الشموع، البخور، الدعاء
لا أستسلم أبدا للمرأة الموشحة بالسواد
سري لا يدركه المارة
الخاصة الخاصة أريهم جوهر الأشياء
في الزمن الصعب، في زمن الردة، في زمن الحرب
تتوجني «بونة» منقذا وفارسا

المسرح الجهوي، عبد الله شاكري، سيدي سالم، عين أعشير، مقبرة زغوان، فن المالوف، العيساوة ابراهيم مراد، علال بوشامي..

من يرى كل هذا لن ينسى، بالتأكيد لن ينسى

من يرى يقول، وأحيانا يعجز على البوح، ويكتب على كل رصيف يصادفه:

كل من خانته قدماه في سباق العمر، عليه أن يمتطي صهوة الحلم

وبونة هي الحلم..

سيبحث عن امرأة في هذه المدينة يمنحها عشقه ويتوجها سيدة المكان الأولى، بطقوس بدائية، ويحتفظ بذكرى عزيزة يختصرها أحيانا ببطاقة بريدية كتب عليها بخط كوفي:

«من شوارع بونة الجميلة،

إلي الشمس الأخرى..

لن أنساك ..

العاشق»

ما قاله ليون الإفريقي في مقام ناجم شراد:

قالوا: أتحبها؟

قال: مجنون من يعشق غيرها

هتفوا: سنعلق صورتك وصورتها في ساحة الثورة!!

قال: مهلا ..

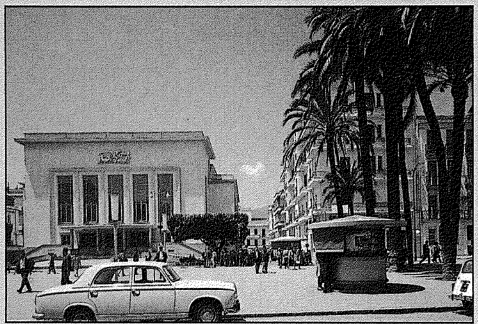
عن أية عاشقة تتكلمون؟

قالوا: عن بونة..

وانصرفوا

قال: لبونة،،

زيف الاسم



بونه المسرح الجهوي

ومساحيق النساء

وانكسار...

ما تبقى :

ما الذي رسمه الرجل الأول لهذه الدار الكبيرة، صاحب النظارات الشفافة من داخل موقعه؟

إنه يرسم تجارب المرور، عبر الخطوط الدائرية والمنحنية

تجربة واحدة لا تكفي

الإخلاص للمكان مستحيل

الخيانة أسى

الخيانة تجليات

الخيانة حضور المكان في قلب العاشق بصورة مختلفة، قد تكون مشوهة

الخيانة قناع

وبالتأكيد «بونة» لن تخونك يا محمد الوازن الفاسي حتى وإن انتحلت اسم: «ليون الإفريقي»

إخلص لها فقط

أما أنا لو تدرى لقد خانتني كثيرا، كثيرا..

هل تعرف هذا؟

مدينة «الرقة» السورية:

عاصمة هارون الرشيد وقلب الجزيرة الفراتية

على ضفة نهر الفرات الشرقية، وفي قلب الجزيرة الفراتية، وبادية الشام، تقع مدينة «الرقة» السورية التي تتميز بأنها مدينة قديمة وهامة وذات موقع سياحي جذاب، حيث نهر الفرات وسدّه الكبير بجانبها وحيث بحيرته الضخمة وقلعة جعبر في وسطها تعطي جميعها منظراً بديعاً ولوحة أخاذة لمدينة عريقة.

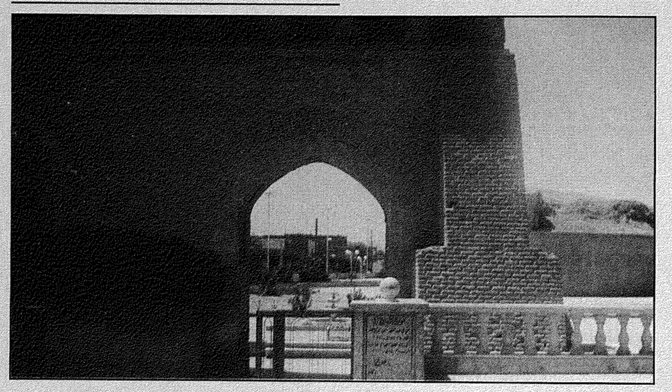
و«الرقة» التي تقع شمال شرق مدينة دمشق العاصمة، وتبعد عنها مئات الكيلومترات، تمكنت الجهات المعنية في السنوات الثلاث الاخيرة من تقليص المسافة بين دمشق والرقة، فبعد أن كان الزائر للرقة يضطر لقطع مسافة تزيد عن ٥٥٠كم ماراً بمدينة حلب، أصبح بإمكان الزائر حالياً قطع المسافة بوقت أقل حيث أقيم طريق مباشر يربط دمشق بالرقة عبر مدينتي حمص والسلمية ، ويبلغ طوله حوالي ٣٥٠ كيلومتر وبذلك تم اختصار المسافة حوالي ٢٠٠ كيلومتر مما شجع السياح والزوار على التوجه بشكل كبير الى الرقة لمشاهدة أوابدها ومواقعها الأثرية والسياحية والتمتع بشاطئها الفراتي الجميل.

تاريخ الرقة وتسمياتها:

عُرفتْ مدينة الرقة باسم «الرشيد» كونها كانت تشكل العاصمة الثانية للدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي جعلها مقراً لإقامته وعمله في كثير من الاحيان حيث أحبها حباً كبيراً وترك فيها آثاراً هامة من قصور ومبان ومساجد، وعاشت المدينة في عهد هارون الرشيد فترة ازدهار ونشاط كبيرين في كافة المجالات.

ولموقع الرقة الهام على ضفاف نهر الفرات ووجود السهول الزراعية الخصبة فيها. فقد كانت مركزاً لتجمع البشر منذ العصور الحجرية القديمة، وموطنا لتقدم الحضارة، ومركزاً لتبادل السلع وتجميع الحاصلات والمؤن وتصديرها إلى بلاد كثيرة عن الطريق المائي (الفرات) والذي كان صالحاً للملاحة حيث استخدمه الحيثيون ونقلوا فيه سلعهم

استطلاع وتصوير : **هشام عدرة** - سوريا



جانب من سور الرقة

الى بابل والخليج العربي والى الهند، واستخدمه من جاء بعدهم من الشعوب.

ويؤكد المؤرخون أن تاريخ الرقة في العصور القديمة مازال مجهولا، وأهم ما يتميز به تاريخها أنها كانت مركزاً عسكرياً ممتازاً غنياً بخيراته، وبعدد سكانه وبطرقه البرية والمائية، وتوسطه من أصقاع عدة، وقربه من البحر الابيض المتوسط.

في العصر الأرامي كانت الرقة عبارة عن إمارة آرامية تدعى (بيت آدين) وكانت عاصمتها تل برسيب وذلك في القرن الحادي عشر والعاشر والتاسع قبل الميلاد.

أما في العهد الاغريقي فقد عرفت الرقة باسم (نيكفوريوم) حيث بناها الاسكندر الكبير حين اجتاز الفرات قبل اربيل. وسميت (قالينيقوس) باسم سلوقس الثاني قالينيقوس الذي أسس مدينة جديدة أو جدد المدينة القديمة في سنة ٢٤٤ - ٢٤٢ق.م.

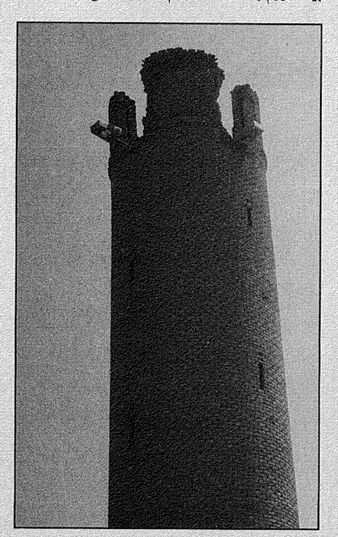
وفي العهد الروماني سميت الرقة (كالينيكيوم) نسبة الى الامبراطور غلينوس المتوفي سنة ٢٦٦ بعد الميلاد. وتقع المدينة الرومانية شرقي باب بغداد القائم حاليا في الرقة. ولم يبق لها أثر.

وفي عهد الامبراطور جوليان كانت الرقة (قالينيقوس) حصناً منيعاً في وجه الفرس ومركزاً تجارياً هاماً.

خربتها هزه أرضية فجددها الامبراطور ليون الثاني الذي حكم الشرق في سنة ٤٧٤م وسماها باسمه (ليونتوبوليس) وجعل منها مدينة متروبوليتية



ونصب فيها أسقافاً. وفي سنة ٥٢٩م منحها الامبراطور جوستنيان منحة تجارية تربح منها عندما قرر حصر التجارة في مدن الحدود مع الفرس بمدينة نصيبين وقالينيقوس (الرقة) وارتكساتا. وقد استولى كسرى الاول عاهل الفرس على المدينة بسهولة، لأن أسوارها كانت في حالة التصليح وخرب أسوارها ودمرها. ولكن جوستنيان أنهضها من خرابها بعد ذهاب الفرس وشيد فيها أسواراً منيعة قوية بسبب توالي الحروب بين الروم والفرس. وكانت تؤول تارة إلى هؤلاء وأخرى الى أولئك. واستقرت بيد الروم بعد انتصارهم الاخير على الفرس قبل ظهور الاسلام. وأخذت الرقة التي كان يغلب عليها الاسم القديم (قالينيقوس) دوراً هاماً في هذه الحروب.



مئذنة أثرية في الرقة

الفتح الاسلامي لمدينة الرقة:

يذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان أن الفتح الاسلامي للرقة تم سنة ١٧هـ. حيث قام القائد الاسلامي عياض بن غنم في جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - وكذلك القائد سهيل بن عدي في فتح الرقة صلحاً. ولقد اتخذ عياض من الرقة قاعدة لفتوحاته في الجزيرة الفراتية حيث أتم عياض فتوحات الجزيرةسنة ١٩هـ ورجع الى الرقة ومنها سار الى حمص وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ولاه إياها فمات سنة ٢٠هـ.

كانت الرقة عند فتح العرب المسلمين لها ذات سور وأبواب وغلات متنوعة وسوق عامة. ولم يؤذها العرب وأبقوا لها الحرية بالاعتقاد وأبقوا الاراضي بيد أهلها ورتبوا عليها تكاليف الامن فقط (الخراج والجزية) واستمرت الرقة في حياتها الاعتيادية تفيد من خصوبة أرضها ووفرة مياهها وموقعها الجغرافي بين الجزيرة والشام مما أعطاها أهميتها التجارية بعد وفاة عياض بن غنم فاتح الرقة وولي الجزيرة، ولى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سعيد بن عامر بن خديم سنة ٢٠هـ فبنى بها جامعاً من الآجر.

وقد سميت الرقة بعد الفتح الاسلامي لها بـ (الرقة البيضاء) كما جاء في أبيات سهيل بن عدي الذي سجل بها فتح الرقة ومر ذكرها. وسبب التسمية كما يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان



حديقة الرشيد فى الرقة، وبها مجسم للخليفة هارون الرشيد .

من أنها (كل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء وجمعها رقاق. وان الرقاق: الارض اللينة) لذلك كان هناك عدة رقات متقاربة في منطقة الرقة ومنها الرقة البيضاء والسوداء ورقة واسط وغيرها.

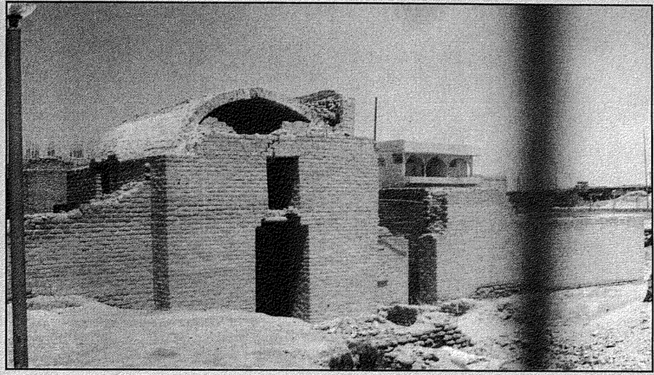
في العهد الاموي، اهتم الامويون بالرقة واتصل تاريخهم بها كل مدة عهدهم فقد كانت محطتهم الى أرمينية، وكانت الرقة محطتهم الى غزو حدود الروم فكانت الرقة تمون جيوش الامويين الى أرمينية وحدود الروم وكانت تشرف على القبائل العربية في الجزيرة الفراتية. واهتم الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك بالرقة فوصلها بمجموعة من الحصون والقصور لتأمين الامن ولتكون محطات لراحته وراحة حاشيته بين الشام والجزيرة والحدود البيزنطية التي كان يغزوها بنفسه، وعني بزراعة الرقة وبري أراضيها، بما فجَّر من الترع من نهر الفرات لسقي الأراضي.

في العهد العباسي، حصلت الرقة على اهتمام كبير، حيث كانت أهم مدينة عباسية في بلاد الشام. ويذكر المؤرخون أن المنصور هو الذي أمر ببناء الرقة العربية على طراز خطة بغداد، بعد أن ولي عليها لفترة حيث أعجبه موقعها وطيب هوائها وعذوبة مائها. وبعد استلامه الخلافة أرسل ابنه المهدي ولي عهده إلى الرقة سنة ١٥٥هـ/٧٢٢م وأمره بأن يبني الرافقة على طراز بناء بغداد الى جانب الرقة البيزنطية كما أضاف الخليفة هارون الرشيد الذي سكن الرقة طويلا، العديد من القصور والمواقع الهامة.

بناء الرقة وأسوارها وقصورها:

ما تبقى من أوابد الرقة والتي أصبحت علامات بارزة في حياة الرقة، ومحطات هامة في تاريخها العريق، هي تلك الأبنية الضخمة من أسوار وقصور





قصر البنات

التي بنيت في العصر العباسي. حيث قام المنصور وابنه المهدي ببناء أسوار الرقة على هيئة أسوار بغداد، سور داخلي وسور خارجي بينهما فصيل، وحفر حول السور الخارجي خندقاً سمك السور الرئيسي ٥/٨م وعرض الفصيل ٢٠/٨٠م وسمك السور الخارجي ٤/٥٠م وعرض أعلى الخندق ١٥/٩٠م. وأساس السور من الحجر الكلسي. وشابهت بغداد في بيوتها وأبوابها وجعل للمدينة بابين الأول في الزاوية الجنوبية الشرقية، لا يزال قائماً ويسمى (باب بغداد)، فغطته مديرية الآثار بمسانيد حجرية. والثاني في الزاوية الجنوبية الغربية يسمى (باب الجنان). وكان البابان من الآجر وكان بجانب كل منهما برج مستدير نصف قطره (٧/٨٠م) لا يزال برج الباب الاول موجوداً، وقد زال برج الباب الثاني وكان قد رآه الرحالة الغربي هركز فلد سنة ١٩٠٨م. وكان لها باب ثالث في الجهة الشمالية يسمي باب أورفة.

في عهد الرشيد بنيت العديد من الابنية الضخمة، فقام هارون الرشيد ببناء قصر عظيم سماه (قصر السلام) وأسموه القصر الأبيض بناه خارج سور الرقة. وأوعز لبعض رجال دولته أن يبنوا قصورهم بجانب قصره فبنوا وأمر بإنشاء كل ما يلزم فيها من وسائل الراحة والترف: كميادين سباق الخيل وملاعب الصولجان وحقول الصيد وموانى السفن والحراقات، والحدائق المزدهرة على ضفتي الفرات، فاصبحت الرقة من المدن الجميلة.

الرقة مدينة الخزف :

لقد ذاعت شهرة مدينة الرقة بصناعة الخزف وكانت الرقة تقف بهذه الشهرة الى جانب شهرة مدينة الموصل التي كانت أعظم مركز لصناعة التحف المعدنية المزينة بالفضة والذهب في القرنين السادس

والسابع الهجريين.

ويذكر المؤرخون أن من أنواع الخزف الاسلامي المعروف نوع ينسب الي مدينة الرقة على نهر الفرات وقد تداولت أيدي التجار السوريين كميات كبيرة منه امتلأت بها الاسواق. وكانت صناعة الخزف والزجاج منتشرة ورائجة مما جعل صناعها في الرقة يتزاحمون باتقانها والتفنن برسومها وكتاباتها وألوانها وأشكالها.

وهناك أنواع عديدة مختلفة من خزف الرقة ذي البريق المعدني وذي الزخارف وتشتمل الاواني ذات البريق المعدني على زهريات وأباريق وسلاطين وكاسات مختلفة الاحجام. أما ألوان البريق المعدني السائدة فهي: البني الداكن وهو من الألوان النادر استعمالها في مراكز صناعة الخزف الاخرى. وتزين أواني الرقة زخارف نباتية وكتابات نسخية أو كوفية، ومن الانواع الأخرى المعروفة من خزف الرقة نوع رسمت زخارفه باللون الاسود تحت طلاء أزرق فيروزي.

ترميم ومتحف ضخم في الرقة:

تنتشر بعض آثار الرقة في كثير من متاحف العالم كمتحف المتروبوليتان في أمريكا وفيه جناح خاص عن زجاج الرقة وخزفها وكذلك في متحف فريرغاليري بواشنطن كما تضم بعض أقسام متاحف باريس والمانيا شواهد عديدة من آثار الرقة القديمة والاسلامية. وكانت مدينة الرقة قد حصلت منذ سنوات على جائزة منظمة المدن العربية التابعة لجامعة الدول العربية وذلك تقديراً لدور الرقة الكبير في الحضارة العربية والاسلامية، كما تقوم مديرية الآثار والمتاحف السورية بإجراء ترميمات واسعة في أوابد مدينة الرقة الاثرية، وخاصة في سورها الضخم حيث تم ترميم حوالي ٢٤٠ متراً منه بارتفاع ٢٫٢٥ متراً علي شكل جملون وبدأ الترميم والاصلاح من باب بغداد جنوبا وتتابع ورش الترميم في السور عملها حتى الآن.

كما تستعد مدينة الرقة لاحتضان متحف ضخم، سيكون ـ حسب مصادر مديرية الآثار العامة السورية ـ أكبر متحف في سورية، حيث سيضم الكثير من اللقى الأثرية في منطقة الجزيرة الفراتية. وتذكر هذه المصادر أن دراسة مخطط مبنى المتحف الجديد قد أصبحت جاهزة حيث نفذت الدراسة وحدة الدراسات الهندسية بجامعة حلب بالمشاركة مع مديرية الهندسة لدى المديرية العامة للآثار والمتاحف. كما شاركت عناصر وخبرات فنية فرنسية في وضع اللمسات الأخيرة لخطط المتحف وتصميمه، وطريقة العرض فيه. وتؤكد هذه المصادر أن متحف الرقة سيكون المتحف الأكبر في سورية إذ تبلغ مساحة أرضه ١٣ ألف متر مربع، وهذا يتناسب مع أهمية الرقة التاريخية، ويلاحظ ضرورة إنشاء معهد للآثار فيه مستقبلا، كذلك سيكون متحفاً للمنطقة الشرقية من سورية كلها.

مصدر ومراجع:

(١) جولة قام بها كاتب الاستطلاع في مدينة الرقة.

(٢) كتاب «حضارة وادي الفرات» عبد القادر عياشي ـ دار الاهالي ، دمشق، الطبعة الاولى ومدن فراتية، ١٩٨٩م.

(٣) كتاب «الفنون الاسلامية» تأليف م.س.ديماند ، ترجمة أحمد محمد عيسى ـ دار المعارف مصر ١٩٥٤م.

العلاقة الدولية مع دول الجوار وأثرها على الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية



الملك عبدالعزيز آل سعود



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد



الملك سعود



الملك فيصل

الملك خالد



بقلم : د. أمين ساعاتي - السعودية

تعتبر قضية الأمن في المملكة العربية السعودية من القضايا الاستراتيجية التي تضعها الحكومة السعودية في مقدمة أولوياتها، وذلك انطلاقا من أن الأمن يؤدى إلى الاستقرار، والاستقرار يوفر المناخ المناسب للتنمية الشاملة.

ونتيجة لهذا الاهتمام الواسع بقضية الأمن، فلقد حققت حكومة المملكة العربية السعودية أعلى درجات الأمن والاستقرار بين كافة دول العالم، وإزاء ذلك تهتم مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية العالمية بدراسة ظاهرة الأمن السعودي كظاهرة فريدة يضرب بها المثل عند الحديث عن الأمن والاستقرار.

في عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م نشر المعهد العالمي للدراسات الاستراتيجية بلندن كتاباً عن الأمن في المملكة العربية السعودية Saudi Arabia,s Search For Security.

ولقد أشارت الدراسة الى أن مفهوم الأمن في السعودية يرتبط بمجموعة محددات تختلف نسبياً عن مفهوم الأمن في الدول الأخرى، فالأمن في المملكة العربية السعودية كل لا يتجزأ، بمعنى أن **الأمن الداخلي يرتبط ارتباطاً عضوياً مع الأمن الجماعي.**

ويمثل الدين الإسلامي الحنيف نقطة الارتكاز في بلورة مفهوم الأمن الداخلي أو الخارجي ونقطة الالتقاء بين الأمن المحلي والأمن الجماعي، وهدف الأمن بمجمله - كما أوضحنا - تحقيق الاستقرار السياسي والمضي قدما في تصميم وتنفيذ برامج التنمية والتطوير في جميع المجالات.

وفي ضوء هذا المفهوم للأمن، فإن الأمن هو حماية المجتمع ومؤسسات الدولة من الانحرافات التي تهدد النظام العام وتؤثر على استقرار الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فيها[١].

أي أن الأمن الوطني هو أمن المؤسسات الدستورية في البلاد وأمن الحدود الجغرافية المعترف بها دولياً وأمن الشعوب علي عرضها وأملاكها وموروثاتها.

ويمكن تعريف الأمن في المملكة العربية السعودية بأنه قدرة الأمة شعوباً وحكومات على حماية وتنمية الموارد والإمكانات على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية من أجل تطويق نواحي الضعف وتطوير نواحي القوة التي تأخذ في اعتبارها المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية[٢].

وقبل أن نتحدث عن العلاقات الدولية مع دول الجوار وأثرها على الأمن الوطني، فإنه يجدر بنا أن نشير بإيجاز شديد الى الأمن قبل وبعد عهد الملك عبد العزيز.

الأمن الداخلي قبل عهد الملك عبد العزيز:

لقد كانت طرق الحجيج قبل عهد الملك عبد العزيز طيب الله ثراه في حالة انعدام الأمن، وقد جرت العادة على أن يسير حجاج كل بلد معا في قافلة وأن يتجمعوا عند توقفها في محطة واحدة وذلك لانتظام سير القافلة من جهة، والمحافظة على الحجاج من الضياع أو إغارة قطاع الطرق عليهم من جهة اخرى، ومع ذلك كله لم تكن القوافل لتسلم من اعتداء السراق وقطاع الطرق والسلاب[٣].

لقد كان الحاج فريسة للمطوفين وسماسرة

الجمال «الشقادف» وكان عرضة لكل الوان التعدي والنهب، أما في غير مواسم الحج فقد كانت **جرائم القتل بصفة خاصة منتشرة في الحجاز بسبب عادة الأخذ بالثأر**، ولم يتورع الإنسان عن الأخذ بثأره والانتقام من غريمه في وضح النهار وعلى مسمع ومشهد من الناس، وهو لا يكتفي بذلك بل يتفاخر ويتباهى بالانتقام من خصمه، ومن الملح التي يذكرها الناس عن حالة تردي الأمن أن شخصاً كان يتناول الشاي في أحد المقاهي في وسط المدينة وإذا بشخص آخر يطلق عيارا نارياً من بندقيته فقضى عليه، وعندما حاول الناس القبض عليه صاح فيهم قائلا «سداد .. سداد» يعني أخذ بثأره فتركوه مراعاة للعرف والتقاليد السائدة، ولم تمض سوى أيام قلائل حتى أخذ بثأر المجني عليه من القاتل نفسه[٤].

هذا عن الحالة الأمنية في الحجاز، أما عن حالة الأمن في نجد والمنطقة الشرقية قبل الملك عبد العزيز آل سعود، فلم تكن لتقل سوءا عن الحالة في الحجاز، **فالقبائل في غارات مستمرة يقاتل بعضها بعضا** لا يستقر لها حال ولا يهدأ لها بال والدماء تسفك وتراق لأتفه الأسباب والانتقام والأخذ بالثأر هو شغلها الشاغل.

وإذا بحثنا عن أسباب تردي الأمن في الحجاز ومنطقة نجد قبل الملك عبد العزيز، فإنها كانت ترجع الى عدم توفير أسباب الطمأنينة للمواطنين والوافدين لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارات الدينية، فضلا عن عدم اقامة وتنفيذ الحدود الشرعية في قطاع الطرق والسراق والسلاب، كما أن السلطة لم يكن لديها وسائل حفظ الأمن، في الوقت الذى كانت فيه أغلب افراد القبائل والعشائر في البادية تمتلك السلاح.

يضاف الى ذلك أن الحالة الاجتماعية والاقتصادية لم تكن مستقرة فكان الجهل المطبق مخيماً على الناس والفقر المدقع يضرب الأغلبية الساحقة وكانت الحالة الاقتصادية من السوء بحيث دفعت الكثير إلى امتهان النصب والسرقة والسلب.

الأمن الداخلي .. في عهد الملك عبد العزيز:

قبل أن يدخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة معتمراً في ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م قال قبل سفره: «إني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم التي ارهقت كاهل عباد الله. إني مسافر الى حرم الله لبسط احكام الشريعة وتأييدها فلن **يكون هناك بعد اليوم سلطان الا للشرع**» ثم استطرد قائلا: «إن الذي ابغيه من هذه البلاد أن تعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الأمور الأصلية أما في الأمور الفرعية فاختلاف الائمة فيها رحمة»[٥].

وهكذا اتخذت المملكة العربية السعودية كتاب الله وسنة نبيه دستوراً تعمل بموجبه وتطبق احكام شريعته السمحاء في جميع انحاء المملكة، باعتبار ان الشريعة في جانبها الجنائي جزء من الدين، أي انها شريعة دينية أساسها الاسلام، وديننا الإسلامي الحنيف يأمر بمكارم الأخلاق ويحث علي الفضائل ويهدف الى تكوين الجماعة الخيرة الصالحة ويدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمن وسلام ويوجب على المسلمين أن يتعاونوا على البر والتقوى ويحرم عليهم الاثم والعدوان ويحبب اليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦].

ولقد أدرك الملك عبد العزيز طيب الله ثراه هذه المعاني بثاقب فكره وحرصه علي تطبيق أحكام الشريعة على كل الأشخاص، فلم يعفُ عن أي شخص ارتكب جرماً، مهما كان مركزه أو ماله أو جاهه أو صفاته أو منزلته ولم يسمح بتميز شخص على شخص أمام حدود الله.

وإلى جانب اهتمام الملك عبد العزيز بتطبيق الشريعة الإسلامية الغراء في جميع ربوع المملكة، فلقد عمل الملك عبد العزيز على تكريس الاستقرار السياسي **ووضع أسس ثابتة لبناء العلاقات الخارجية** على أساس مباديء حسن الجوار والتعاون والتنسيق الثنائي **وتحقيق السلم والأمن الدوليين**[٧].

والمتابع لتاريخ المملكة العربية السعودية المعاصر يجد أن مفهوم الأمن بهذه الأبعاد ظل مفهوماً ثابتاً في

نظام الحكم الذي أسسه جلالة المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز، وظل ركناً من أركان السياسة السعودية في عهود ابناء الملك عبد العزيز الذين ورثوا عن والدهم حتمية المحافظة على استتباب الأمن، لأن استتباب الأمن استتباب للنظام السياسي بكامله.

استراتيجية الملك عبد العزيز في ترسيخ الأمن الداخلي:

اتبع الملك عبد العزيز في توطين الأمن الداخلي مجموعة قواعد أمنية منها:

١ - «تحضير» اكبر عدد ممكن من البدو عن طريق الهجرة الى المدن المتحضرة.

٢ - توفير آلات الفلاحة والزراعة لسكان الهجر وتسهيل اقتنائهم لها.

٣ - أمر بحفر الآبار الارتوازية في الهجر لاستيعاب البدو المجاورين وإغرائهم بالعمل في الزراعة.

٤ - أمر بإسعافهم بالقوت عند إصابة الغلة في أراضيهم ببعض الآفات.

٥ - جعل لقبائل البادية «سجلا» في ديوانه وسهل لكل منها سبل الاتصال به وبأمراء المقاطعات.

٦ - بث المرشدين والوعاظ في أفراد القبائل يعلمونهم «الطاعة» لله في اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

٧ - احكم رابطة القبيلة بشيوخها واعتبر أفرادها جميعاً جندا له وزعماءها مسئولين عن رعاية الأفراد. وخص الشيوخ بمنح موسمية أو شهرية ثابتة من نقود وأرز أو دقيق، وسكر وبن وغير ذلك مما يكفي لسد حاجة القبيلة وزعيمها في حال القحط والجدب.

٨ - علمهم بأن الإسلام يحرم ما كانوا يسمونه «الغزو» فلا غزو ضد الآمنين.

٩ - جعل القبيلة كلها مسئولة بالتضامن عن أي جريمة تقع فيها أو في المنطقة المجاورة لها، فإما اظهار المجرم أو معاقبة القبيلة كلها[٨].

ويقول ابن بليهد: جاء ذات يوم الى القصر في الرياض بضعة رجال من بني مرة أشد القبائل بداوة يطلبون عيشاً وكسوة، فكان لهم ما ابتغوه ثم ارتحلوا فمروا في طريقهم ببعض الأباعر ترعى فساقوها أمامهم فشكاهم أصحابها الى الأمير السلطان عبد العزيز بن سعود فبعث السلطان بنجاب يحمل الخبر الى أمير الأحساء فما وصل اليه الخبر حتى تحركت أسباب العدل تبحث عن اللصوص. وما هي إلا أربع وعشرون ساعة حتى جيء بهم وبالأباعر المسروقة ومثلوا أمام عبد الله بن جلوي وكان السؤال وكان الجواب، ثم أمر بهم الى الساحة وساحة الاعدام شيء هائل فظيع، يركعون فيه المذنب على ركبتيه، ويكزه السياف وكزة سريعة يتحرك معها رأسه الى الأمام فيتقلص عصب الرقبة فيضربها بالسيف إذ ذاك ضربة واحدة يطيح معها الرأس على الأرض. ثم قال:

**** الأمن حماية للمجتمع ومؤسساته.**

**** الثأر والغارات من معالم الحياة اليومية قبل تأسيس المملكة.**

وفي ذلك اليوم لمع سيف السياف ثماني لمعات في ساحة «الهفوف» فوقعت على الأرض ثمانية رؤوس من بني مرة. وانتشر الحديث عن هذا العدل السريع، فأصبحت القوافل تسير ثمانمائة ميل شرقاً وثمانمائة ميل جنوباً وشمالا في ملك عبد العزيز ولا يتعرض لها أحد بشر»[٩].

ولقد كان الملك عبد العزيز يفهم نفسية البدوى فهما عميقا وكان يهدف إلى صرف العرب الرحل عن حياة التنقل ودفعهم الى حياة الاستقرار، فقد اخترقت نظرته الحادة البذرة التي كونتها العصور في داخل النفس البدوية، ونفذت منها إلى ما هو أعمق أي الى غرائزها البشرية فخرج من ذلك وهو قانع بأن

الاعرابي اذا ما أصبح صاحب مسكن مرتبط بالأرض نبذ تلك البذرة المكتسبة وأطاع غريزته الدافعة الى الاستقرار والتوطين.

وكان الملك عبد العزيز يستخدم مهارة قصاصي الأثر في القاء القبض على اللصوص وقطاع الطرق، ولا تكاد تطأ أرض الجزيرة حتى تسمع الأحاديث والأعاجيب والمبالغات عن قدرة بدو بني مرة في اقتفاء آثار المجرمين بحيث لا يفلت منهم مجرم رأوا آثاره يوماً ما منقوشة على الرمال ولو صادفوه بعد عامين أو ثلاثة أمسكوا بتلابيبه وصاحوا قائلين:

هذا هو صاحب الأثر الذي ارتكب كذا وكذا من الحوادث في عام كذا وكذا.

ولقد أصبح من الأقوال الدارجة بين الأعراب أن الإفلات من يد ابن سعود هو ضرب من ضروب المستحيلات بعد أن أصبح له:

«في السماء (برقية) وفي الأرض (مرية) إشارة الى التلغراف اللاسلكي الذي ينقل الأخبار والى مرة الذين يتتبعون الآثار.

وواضح مما سبق أن الملك عبد العزيز طيب الله ثراه اعتمد اعتمادا كاملا على الشريعة الإسلامية في بناء نموذج الأمن الداخلي وتمكن بفضل من الله وتوفيقه أن يبسط سلطانه في كل أنحاء المملكة وأن ينشر العدل والأمن والأمان بنجاح غير مسبوق[١٠].

الأمن الخارجي (الأمن الجماعي)

انطلقت السياسة الخارجية للمملكة من فهم صحيح للقوة الجيوبوليتيكية للمملكة، وانبثقت كذلك عن الوعي بخبرات التاريخ الحديث والمعاصر لشبه الجزيرة العربية، وتحليل سليم للقوى الوطنية والاقليمية والدولية وإدراك لطبيعة الصراعات المحلية والدولية. **فالمملكة العربية السعودية قبلة العالم الإسلامي تطل بسواحلها على ثلاثة من البحار الخمسة في منطقة الشرق الأوسط، ولها دورها الهام في أمن حوض البحر الأحمر والخليج العربي، وقد فهمت المملكة جيدا أن الجغرافيا هي أحد أهم مصادر القوة في العلاقات الدولية، وهي في الوقت نفسه جزء من وحدة متكاملة هي القوة الوطنية التي تشمل خمس قوى أساسية هي القوة الجغرافية والقوة الاقتصادية والقوة الاجتماعية والقوة السياسية والقوة العسكرية** ويمكننا أن نستخلص من هذه القوى أن للقوى الجغرافية عنصرين أساسيين هما الكتلة الحيوية (أرض الدولة) والسكان وتتصف أراضي المملكة بالتماسك والتناسق الجغرافي والامتداد المساحي في منطقة تعتبر بحق قلب العالم في كل نظريات الجيوبوليتيكا المعاصرة مما يعطي المملكة تلك العبقرية المميزة لمكانها في العالم، ذلك المكان الذي يهيمن على أهم خطوط التجارة الخارجية الدولية، وعلى خطوط نقل النفط إلى آسيا وأوروبا والغرب الأمريكي[١١].

**** الشريعة الاسلامية وتطبيقها الجاد أمَّن البلاد وحقن الدماء واشاع الاستقرار بين الناس.**

**** الملك عبد العزيز أعلن ألا سلطان لأحد على أحد إلا بالشرع.**

ويرتكز الأمن الخارجي في المملكة العربية السعودية على المحاور التالية:

١ ـ تحديد الحدود الدولية وترسيمها وبناء علاقات حسن الجوار مع الدول الشقيقة والصديقة.

٢ ـ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول.

٣ ـ اتفاقيات التعاون والتنسيق المشترك مع الدول الشقيقة والصديقة.

٤ ـ المساهمة في إنشاء المنظمات الدولية المعنية بتحقيق الأمن والسلم الدوليين.

٥ ـ تقديم المعونات للدول المحتاجة ولا سيما في الملمات والكوارث الطبيعية.

٦ ـ بناء جيش سعودي قوي.

تحديد وترسيم الحدود وبناء علاقات حسن الجوار:

الأمن الدولي هو مجموعة القواعد والإجراءات التي تتخذها الدولة لتأمين أمن حدودها الدولية وقيام علاقات طبيعية وتعاون مشترك مع دول الجوار والدول الأخرى على أساس تحقيق المنافع والمصالح المشتركة وتعزيز الأمن الداخلي وتحقيق الاستقرار السياسي وحماية الأمن والسلم الدوليين.

وتلعب اتفاقيات الحدود دورا كبيراً في تعزيز الأمن الداخلي وتحقيق الأمن الدولي.

ولقد اهتم الملك عبد العزيز طيب الله ثراه اهتماماً كبيراً بترسيم الحدود مع دول الجوار.

إن حدود الدولة هي ذلك الجزء من الكرة الأرضية الذي تمارس الدولة عليه سيادتها ويسوده سلطانها، وهو يتكون أصلا من قطاع يابس فوق الأرض، وما يعلوه من الفضاء وما يحيط به من الماء. ولكن العنصر الأصلي فيه هو القطاع اليابس، إذ لا يوجد، ولم يوجد من قبل إقليم بالمعنى المفهوم في القانون الدولي ـ يتكون من عنصر الفضاء وحده أو عنصر البحر وحده ولا توجد دولة يتكون إقليمها من قطاع بحرى أو من قطاع هوائي أو منهما معا دون القطاع اليابس من الأرض. وعنصر القطاع اليابس من الاقليم ليس مرتبطاً ارتباطاً ضرورياً بعنصر القطاع البحري، إذ أن إقليم الدولة قد لا يحيط به الماء، وعند ذاك يتكون الإقليم من القطاع اليابس وما يعلوه من هواء وفضاء[١٢].

والواقع ان فكرة تعيين إقليم الدولة بوضع الحدود عليه لم تتبلور في صورتها الحاضرة إلا في نهاية العصور الوسطى وبداية ظهور الإدراك القانوني للدولة في شكلها الحديث، وارتباط مدلولها ارتباطاً حتمياً بعنصر الإقليم.

ولا شك أن الإحساس بفكرة الحدود مرتبط ارتباطاً ضرورياً بفكرة «الملكية» ولذلك فإن الجماعات الإنسانية التي تشكلت قديماً ـ كالقبائل وما في حكمها ـ كانت تشعر بأن حقوقها أو سلطانها له دائرة إقليمية يجب ألا تتعدى نطاقها.

وقديماً كان الرعاة كما كان غيرهم يشعرون بصورة أكيدة إن كانوا يمارسون أعمالهم في منطقة لقبيلتهم أو لقومهم فيها حقوق. وكانت القبائل المتجاورة تعرف حدوداً ثابتة للمناطق الخاصة بكل منها، وذلك للمرعى والصيد والقنص، وكان التعدى من إحداها على المنطقة الخاصة بالأخرى يثير الخصام والقتال. وقد تبلورت فكرة الحدود الثابتة تبلوراً سريعاً عند الجماعات الحضرية التي استقرت حياتها على قطاع معين من الأرض، وأريد للحدود عندهم أن تكون علامات ثابتة تقوم الطبيعة برسمها أو بتعيينها على نحو لا يثير الشك في معناها أو القصور في مدلولها. ولذلك وصفت الحدود عندهم بأوصاف الدوام والخلود والأبدية. وكان القصد من تعيينها حماية الأملاك، والوقاية من العدوان الخارجي. وكثيرا ما كانت تلجأ الجماعات القديمة ـ تأكيدا لحقها في الملكية وتأميناً لنفسها ـ إلى إقامة الأسوار وحفر الخنادق حول إقليمها. ومن أمثلة ذلك سور الصين العظيم، والخنادق التي كانت تحفر في عهود اليونان والرومان.

وقد تكونت الحدود الحالية للدول نتيجة عوامل متداخلة أهمها الأسباب التاريخية والسياسية والحربية والجغرافية. ولا شك أن تعيين الحدود في أرجاء المعمورة تختلف طبائعه باختلاف القارات واختلاف الدول. فتقسيم الدول وتعيين حدودها في أوربا قام على أساس الجغرافيا، ثم تداخلت فيها العوامل التاريخية والعوامل السياسية[١٣]، بينما ثابت عمليات تحديد الحدود في شبه الجزيرة العربية على عناصر الجغرافيا والتاريخ والسياسة والتقاليد والأخلاق.

وعموماً حينما نبحث في مشاكل الحدود، فإننا نجدها تمثل اختلافاً في «التاريخ» هذا الاختلاف يفضي بالضرورة إلى الرغبة في **توسيع «الجغرافيا» لأنها هي عمق المكان وإن «التاريخ» هو عمق الزمان**. فبينما نستطيع تحديد عمق المكان، فإن عمق الزمان يأخذنا إلى آماد وآماد لا نهائية.

وأمام هذه الخلافات اللانهائية قامت المنظمات الدولية المسئولة عن حماية وتثبيت السلم ووضعت قواعد وأسس حل نزاعات الحدود بين الدول عبر مجموعة من قواعد القانون الدولي التي نصت عليها اتفاقات جنيف ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م والتي طالبت جميع الدول بتسجيل الاتفاقيات الثنائية وإيداعها لدى المنظمات الدولية سواء كانت هيئة الأمم المتحدة أو جامعة الدول العربية أو مجلس التعاون الخليجي.

بمعنى أن الاتفاقيات الثنائية على الحدود بين دولتين أو أكثر مستقلتين وذات سيادة.. تعد المصدر المباشر الأول لإنشاء قواعد قانونية دولية، ذلك لأن الاتفاق هو أساس الإلزام في القانون الدولي وفقاً للمادة(٢) من اتفاقية فينا لقانون المعاهدات الصادر في ٢٣ مايو ١٩٦٩م.

وتعتبر هذه القواعد دليلا قانونيا للفصل في كثير من مشاكل الحدود الدولية.

والمملكة العربية السعودية إحدى الدول الموقعة على اتفاقيات جنيف الخاصة بترسيم الحدود، بل تعتبر المملكة العربية السعودية احدى الدول الحريصة على تطبيق هذه الاتفاقيات الدولية.

إن المملكة العربية السعودية تقع في جنوب غربي آسيا، ويحدها من الشمال الأردن والعراق والكويت، ومن الشرق الخليج العربي وإيران، وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان، ومن الجنوب سلطنة عُمان وجمهورية اليمن ومن الغرب البحر الأحمر وخليج العقبة. ولقد وقعت المملكة العربية السعودية أكثر من خمسين اتفاقاً للحدود وعلاقات حسن الجوار مع هذه الدول وغيرها.

ولا شك أن هذا الحشد الهائل من اتفاقيات الحدود وحسن الجوار يؤكد أن السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية كانت وما زالت تركز على أهمية بناء العلاقات الطيبة مع دول الجوار، والتي كانت تنطلق من تثبيت حدود المملكة، ثم تضع أسس بناء علاقات تعاون وتنسيق.

ومن خلال هذه الثوابت تمكنت المملكة منذ فجر تأسيسها من تثبيت الاستقرار ونشر الأمن والسلام على حدودها[١٤].

ويتشكل الأساس القانوني لحدود المملكة العربية السعودية منذ أن استكمل الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله تأسيس المملكة في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م وقام بتثبيت سلطته على جميع أراضيها، ثم استكمل شرعية حكومته في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/ ٨ يناير ١٩٢٦م حيث قام ممثلو الأمة في بطاح مكة المكرمة بمبايعته ملكاً شرعياً على كتاب الله وسنة رسوله محمد بن عبد الله [صلى الله عليه وسلم][١٥].

وبعد المبايعة الشرعية للملك عبد العزيز من قبل ممثلي الأمة، فإن اعترافات الدول الكبرى والدول الصغرى بحكومة الملك عبد العزيز على حدودها السياسية والدولية أخذت تتوالى وتعتبر هذه الإعترافات أساساً قانونياً لحدود المملكة الدولية.

ولقد وفرت المبايعة الشرعية للملك عبد العزيز مبدأ «حق الشعوب في تقرير المصير»، كما عززت الاعترافات الدولية بالمملكة مبدأ «الشرعية الدولية».. ثم أمنت الاتفاقات الحدودية الثنائية الموقعة بين الملك عبد العزيز ودول الجوار مبدأ الجغرافيا والتاريخ والسياسة والدين والأعراف والتقاليد.

كانت كل هذه العناصر.. هي الأساس القانوني الذي قامت عليه عمليات تحديد حدود المملكة العربية السعودية مع كافة دول الجوار.

ولا شك أن هذه الأسس القانونية.. هي الأسس التي تقوم عليها قواعد القانون الدولي في اعتماد تحديد حدود أي بلد في العالم.

ولقد أصدر الملك عبد العزيز يرحمه الله مرسوماً

ملكياً برقم ٦ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٣٧١١ في ٢٨ مايو ١٩٤٩م باعتماد امتداد المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية باثني عشر ميلا بحرياً وامتداد المنطقة الملاصقة أو المتاخمة بستة أميال بحرية. ولكن في ٢٧ رجب ١٣٧٧هـ/ ١٦ فبراير ١٩٥٨م صدر مرسوم ملكي آخر يلغي المرسوم السابق ويحدد بشكل كامل ومفصل المياه الإقليمية للمملكة العربية السعودية من كافة الاتجاهات والمواقع باثني عشر ميلا بحرياً[١٦].

ورغم أن الأسلوب المألوف في حل مشاكل الحدود بين الدول، يمر في العادة عبر ثلاث قنوات هي: القضاء أو المحاكم أو الوساطة.. إلا أن المنازعات بين المملكة العربية السعودية ودول الجوار لم تحسمها الوسائل القانونية الثلاث المذكورة، وإنما حسمتها المفاوضات الثنائية التي قامت على وشائج الدين والقربى والعروبة والتفاهم والإحساس المشترك بأهمية التوصل إلى حل ودي وسلمي من أجل تعزيز الأمن الداخلي وأمن المنطقة وأمن العالم.

ونظراً لأهمية المبادىء القانونية التي قامت عليها اتفاقيات الحدود بين المملكة ودول الخليج العربية، فإنه يجدر بنا أن نستعرض أهم هذه المبادىء التي استعيرت فيما بعد لتكون أسلوباً متبعاً لفض منازعات الحدود في مناطق أخرى من العالم ومن هذه المبادىء ما يلي:

١ ـ **نظام المناطق المحايدة** الذي طبق لأول مرة بين المملكة العربية السعودية والكويت، وبين السعودية والعراق بموجب اتفاقية العقير في ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م. ولقي قبولا حسنا بعد ذلك لدى إبرام التسوية في حدود دبي وأبو ظبي. وهذا النظام تبلور بدقة في التعديل الذي أدخل عليه عام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م والذي تفادى مشاكل التطبيق التي صادفت أطرافه منذ عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٢ ـ **مبدأ خط الوسط** وقد طبقته جميع دول الخليج، وسبقت بذلك اتفاقيات جنيف ١٩٥٨م.

٣ ـ **مبدأ توزيع الجزر** الواقعة بين الدول المتنازعة حسب قربها أو بعدها عن هذه الدولة أو تلك، بالتساوي في معظم الأحوال، وتفادي تقسيم الجزيرة الواحدة، وقد طبق هذا المبدأ بشكل واضح بين أبو ظبي وقطر وبين المملكة العربية السعودية وإيران.

٤ ـ **المحافظة على وحدة البئر وعدم تقسيمه**، مع تطبيق مبدأ الاستغلال المشترك والتغاضي عن مبدأ السيادة أو تبعية البئر، مقابل جزء من عائده المادي، وقد طبق ذلك بين المملكة العربية السعودية والبحرين في عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م أما بين السعودية وإيران فقد تم في ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م توحيد البئرين على الجانبين الإيراني والسعودي وإنشاء منطقة حاجزة بمسافة كيلو متر، وتعهد الطرفان بعدم إجراء الحفر في منطقة تبلغ ٥٠٠ متر[١٧].

**** علاقات المملكة مع جيرانها تقوم على حسن الجوار والتعاون والتنسيق.**

كما تتضمن الاتفاقات الحدودية التي وقعتها المملكة العديد من المسائل الأخرى المشتركة بين الأطراف الموقعة على الاتفاقات، ومن ذلك مثلا نوع وحجم المنشآت المستخدمة لكل طرف من الأطراف، الأشخاص المرخص لهم بالدخول أو الخروج في حدود الدولة الأخرى، نقاط الإشراف والتفتيش من قبل كل طرف من الأطراف، أجهزة الجمارك والجوازات والشرطة، تسليم المجرمين.. وحتى تشكيل هيئة مشتركة للإشراف على تنفيذ الاتفاقات الحدودية وحسم الخلافات العارضة.

مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية:

واضح مما سبق أن السياسة الخارجية التي صممها الملك عبد العزيز يرحمه الله كانت ترتكز على

أهمية تكريس الاستقرار على الحدود وصولا إلى تثبيت الأمن والأمان في كافة أرجاء المملكة.

واستطاع الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله - قبل صدور ميثاق عصبة الأمم وميثاق هيئة الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية - أن يصمم سياسته الخارجية على مبدأ الحياد الإيجابي وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى والتأكيد على بناء علاقات حسن الجوار مع الدول المتاخمة لحدوده.

إن المملكة العربية السعودية تطبق سياسة عدم التدخل في الشئون الداخلية - في علاقتها المتبادلة مع الدول الأخرى، فهي لا تسمح لكائن من كان أن يتدخل في شئونها، كما لا تسمح لنفسها بالتدخل في شئون الدول الأخرى.

ولهذا فإن مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية وفر للمملكة غطاء جيداً للأمن الخارجي.

اتفاقيات التعاون والتنسيق:

هناك سمات بارزة للدبلوماسية السعودية الحديثة - كما بينا - ترتكز على الثوابت الإسلامية التي قامت عليها المملكة، ومن أهمها ما يلي:

١ - **اعتمدت الدبلوماسية السعودية على القيم الأخلاقية المستمدة من التشريع الاسلامي** في ارتباطها بالأنظمة والقوانين الدولية، فهي تقيسها بمقياس الاسلام، وتحدد موقفها منها وفق هذا الأساس.

٢ - **أسهمت في تأسيس العديد من المنظمات الإقليمية والدولية** بهدف توطيد علاقتها مع الدول، وكانت إحدى الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، كما كانت إحدى الدول السبع المؤسسة لجامعة الدول العربية في عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م، ثم دعت إلى تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي.

٣ - **اتخذت من العقيدة الاسلامية منطلقا لبناء كيان اسلامي مستقل** يجمع شتات العالم الاسلامي على كلمة سواء في كتلة تحفظ التوازن تحت شعار الدعوة إلى التضامن الاسلامي، ودعت إلى عقد مؤتمرات للقمة الإسلامية واجتماعات للدول الإسلامية على كل الأصعدة من أجل تكريس الأمن والتعاون.

٤ - **انتهجت سياسة الحياد وعدم الانحياز** وأسهمت في تأسيس مجموعة عدم الإنحياز وشاركت مشاركة فعالة في مؤتمرات عدم الانحياز والتي عقد أولها في باندونج عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م ايمانا منها بمبادىء السياسة الاسلامية في حق كل دولة في اختيار نظمها السياسية والاجتماعية الداخلية، وفي التعاون مع المجتمع الدولي لحل المشاكل العالمية بالطرق السلمية وفق مباديء السلم والأمن الدوليين.

٥ - **تبنت منهجا معتدلا في الاقتصاد العالمي** باعتبارها من الدول الكبرى المصدرة للنفط، ولم تتورط في مجابهة ساخنة بين الدول المنتجة والمستهلكة، وتعاملت بمهارة مع هذه الدول بما يحقق المصلحة العليا للقضايا العربية والإسلامية.

٦ - **اعتبرت الأمن الخارجي امتداداً للأمن الداخلي** فأقرت تنفيذ خطط تنموية خمسية وبدأت الخطة الأولى في عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م وحققت نهضة كبيرة في التعليم، والصحة، والمواصلات، والصناعة، والتجارة، والخدمات العامة، وسائر ما يتصل بتحقيق الرفاهية للمواطن السعودي[١٨].

٧ - **التزمت الدبلوماسية السعودية الحديثة بالاخلاق الاسلامية الرصينة** إزاء ما يحدث من خصومات ونزاعات عربية، وترفعت عن المهاترات الاعلامية، والاسفاف في الاتهامات.

٨ - **دعت الى تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية للتعاون في جميع المجالات** الإقتصادية والثقافية والسياسية والرياضية من أجل بناء منظومة قوية للأمن الخليجي[١٩].

المساهمة في إنشاء المنظمات الإقليمية والدولية:

انطلاقاً من هذه الإمكانات الهائلة التي تتمتع بها

المملكة العربية السعودية، وإحساساً منها بأهمية ترسيخ الأمن والسلم الدوليين، فإن المملكة العربية السعودية تعتبر من الدول المؤسسة لمنظمات هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي التي تعتبر مواثيقها بمثابة اتفاق عالمي على وجوب ترسيخ ودعم الأمن والسلم الدوليين.

المعونات الخارجية:

وضعت المملكة العربية السعودية برنامجاً للمعونات الخارجية بغية تعزيز المساعدات الإنسانية من أجل مجتمع عالمي مسالم، ويعتبر هذا البرنامج في صلب استراتيجية تحقيق الأمن والأمان التي تنتهجها حكومة المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد المغفور له بإذن الله الملك عبد العزيز، وتدفع المملكة معونات خاصة أضعاف ما يعلن وما تتحدث عنه الأنباء.

وفي إحدى جلسات مؤتمر القمة العربية الذي عقد في ١٣٩٧هـ/ ١٩٦٧م وقف الملك فيصل بن عبد العزيز يقول: «ونحن نصر على أن تكون الكلمة المسجلة على جدول أعمال ومحاضر هذه الجلسة التاريخية (التزامات) لا (معونات)، لأننا لا ندفع هبة، بل نؤدي واجباً».

وكثيراً ما سارع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز إلى إغاثة المنكوبين في العالم الاسلامي من جراء تعرض المسلمين للأعاصير أو السيول أو المجاعات أو الحرائق. ولم تقتصر المساعدات السعودية على الأشقاء من الدول العربية والإسلامية فقط بل امتدت لتشمل العشرات من الدول الفقيرة في العالم لتصل إلى أكثر من ١٠٠ دولة على امتداد العالم.

ولقد صنفت هيئة الأمم المتحدة المملكة العربية السعودية على انها الدولة الأولى التي قدمت المساعدات الإنسانية كما وكيفاً لشعوب العالم الثالث ووضعت حكومة المملكة العربية السعودية مظلة من الخير تسعى الى مساعدة المحتاجين في أي مكان من العالم. وهي استراتيجية لم تنتظر وصول النداءات من أجل المساعدة بل تهرع في حس إسلامي عظيم للوصول إلى المحتاجين وتغدق عليهم في طواعية ورضا كاملين وبدون أي توجه عقائدي أو سياسي أو مطامع دنيوية مكرسة بذلك المعنى الأرقى للتكافل والتضامن ووحدة المجتمع البشري. وأصبحت الإغاثة السعودية رمزا إنسانياً نبيلا يتردد في أنحاء العالم وتشيد به كافة الدوائر الرسمية من منظمات وهيئات دولية وحكومات.

وعودة إلى تقارير الأمم المتحدة نجدها تشير إلى أنه في حين تبلغ النسبة التي حددتها للدول المانحة للمساعدات بأن لا تقل عن سبعة من العشرة من المائة (٧ر٠٪) من إجمالي دخلها الوطني، فإن المساعدات التي تقدمها المملكة العربية السعودية للدول النامية من خلال القنوات الثنائية والإقليمية والدولية بلغت ٢٤٥ مليار ريال في الفترة من ١٩٧٣م الى ١٩٩٣م، أي ما نسبته ٥ر٥٪ من المتوسط السنوي لإجمالي الناتج القومي في هذه الفترة.. ولقد استفادت من مساعدات المملكة اكثر من ١٠٠ دولة من مختلف القارات منها ٣٨ دولة

**** في ترسيم حدود المملكة مع جيرانها اتَّبعت المملكة اسلوباً فريداً متميزاً يستند على مبادىء التفاهم والتسامح.**

**** أسهمت المملكة في تأسيس العديد من المنظمات الاقليمية والدولية.**

افريقية و٢٢ دولة أسيوية وعشر دول نامية. وقدم الصندوق السعودي للتنمية (الجهاز الرئيسي للمساعدات السعودية الإنمائية للدول النامية) قروضاً إنمائية منذ عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م وحتى عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م لتمويل ٢٧٣ مشروعا في ٦٠ دولة.

وقد أدت المملكة دورا رئيسياً في إنشاء عدد من المؤسسات الإنمائية التي تهدف إلى التعاون والتضامن بين الدول العربية والإسلامية فساهمت بما لا يقل عن ٢٠٪ من رؤوس أموال ١٢ مؤسسة إنمائية من أهمها البنك الإسلامي للتنمية وصندوق النقد العربي والصندوق العربي للإنماء الإقتصادي والاجتماعي والمصرف العربي للتنمية في افريقيا وصندوق التنمية الافريقي والصندوق الدولي للتنمية الزراعية[٢٠].

وتعمل المملكة على تعزيز التبادل التجاري ومعالجة موازين المدفوعات وتساهم أيضا في النواحي الاجتماعية في الدول العربية والإسلامية من تعليم وصحة ورعاية الطفولة والأمومة. وساهمت المملكة أيضاً في دعم المؤسسات المالية التي تقدم المساعدات للدول النامية ومنها الدول العربية والإسلامية، كما ساهمت في دعم مؤسسات وبرامج الأمم المتحدة المتخصصة لتمكنها من تنفيذ برامجها الإنمائية والاجتماعية والانسانية إضافة الى مساهمتها في برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائي بمبلغ ١٥٠ مليون ريال تمثل نسبة ٧٨٪ من موارد هذا البرنامج، وتبلغ مساهمة المملكة في الصندوق الدولي للتنمية الزراعية ٣٨٠ مليون دولار ولا زالت المملكة مستمرة في دعم هذا الصندوق من أجل تسهيل الدعم والإقراض للدول التي تعاني من شح الموارد وقلتها لتحسين وتنمية أمنها الغذائي.

وتقوم المملكة العربية السعودية بدعم ومساندة الأمم المتحدة وبرامجها وهيئاتها الدولية لحفظ الأمن والسلم الدوليين وتحقيق تقدم شعوب العالم في مختلف المجالات.. كما تقوم المملكة العربية السعودية بدعم ومساندة الهيئات التابعة للمنظمة وتساعد في تمويل العديد من الصناديق المنبثقة عن الأمم المتحدة[٢١].

وواضح مما سبق أن حكومة المملكة العربية السعودية قد سعت إلى بناء علاقات وطيدة مع دول الجوار في مختلف مراحل تاريخها المعاصر، سواء كان ذلك من خلال توقيع اتفاقيات ترسيم الحدود أو عن طريق تنظيم اتفاقيات حسن الجوار أو اتفاقيات بناء علاقات ثنائية أو عن طريق المساهمة في قيام المنظمات الاقليمية والدينية والدولية الهادفة الي دعم وتعزيز الأمن والسلم الدوليين.

**** تبنت المملكة منهجاً معتدلا في الاقتصاد العالمي.**

**** الأمن الخارجي امتداد للامن الداخلي.**

ولقد أوضحنا بأن مفهوم الأمن في المملكة العربية السعودية يقترن بالأمان للأفراد والمؤسسات والمجتمعات الأخرى، كما أن مفهوم الأمن الخارجي ليس منفصلا عن الأمن الداخلي، بل هو امتداد للأمن الداخلي، إذ لا يمكن تحقيق الأمن الخارجي دون الانطلاق من ثوابت الأمن الداخلي، بمعنى أن الأمن - في المفهوم السعودي - كل لا يتجزأ.

ولقد أوضحنا بأن حكومة المملكة العربية السعودية نجحت نجاحاً منقطع النظير في تعزيز ودعم منظومة الأمن الداخلي والخارجي لأنه قام على مبادىء الدين الإسلامي الأقوم الذي وفر الآليات المناسبة لتحقيق أعلى درجات الأمن والأمان حتى أصبح الأمن

في المملكة العربية السعودية مضرب المثل على المستوى الإقليمي والعالمي.

ونستطيع أن نقول بعد قراءة هذه الدراسة أن المملكة العربية السعودية نجحت في توظيف كل إمكاناتها من أجل بناء علاقات خارجية رفيعة المستوى مع دول الجوار بهدف ترسيخ الأمن الوطني وتعزيز دوره في التنمية والبناء.

الهوامش :

(١) احمد عطية، القاموس السياسي، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٦٨، ص ١٢١.

(٢) د. امين ساعاتي، الأمن القومي العربي، القاهرة: المركز السعودي للدراسات، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٢.

(٣) العقيد جميل محمد الميمان، القصاص في الإسلام دائرة في استتباب الأمن واستقراره في المملكة العربية السعودية، القاهرة: معهد الدراسات العليا لضباط الشرطة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ص ٢٦.

(٤) رابح لطفي جمعة، حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، الرياض: دارة الملك عبد العزيز(٢٣)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٥) رابح لطفي جمعة، حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٨٣.

(٦) عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري، لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبد العزيز دراسة وثائقية، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٦٣٠ ـ ٦٤١.

(٧) رابح لطفي جمعة، مرجع سابق، ص ١٨ ـ ٢٠.

(٨) عبد الرحمن سلطان، أضواء على الاستراتيجية السعودية، القاهرة: المؤسسة العربية للشئون الاستراتيجية، ١٩٨٧م، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٩) صحيح الأخبار ٥ : ٤٤.

(١٠) Gary Troeller, the birth of Saudi Arabia, london: Frank Cass, 1987.pp. 230-231

(١١) د. جمال حمدان، عبقرية العالم الاسلامي، القاهرة: دار الهلال ١٩٩٣م، ص ١٠ ـ ١٥.

(١٢) د. صالح محمد محمود بدر الدين، التحكيم في منازعات الحدود الدولية، القاهرة: دار الفكر الدولي ١٩٩١م، ص ٢٠ ـ ٢٥.

(١٣) د. حامد سلطان، المرجع السابق، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٨.

(١٤) د. أمين ساعاتي، الحدود الدولية للمملكة العربية السعودية (التسويات العادلة)، القاهرة: المركز السعودي للدراسات ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م ص ١٨.

(١٥) د. أمين ساعاتي، المرجع نفسه، ص ١٨.

(١٦) عبد الله الأشعل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(١٧) عبد الله الأهدل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(١٨) Rebert stookey, the arabian peninsula, zone of ferment, stanford, california: Hoover institution 1988, pp. 39-45.

(١٩) K.S. Gwitchell, Saudi Arabia with an account of the development of its natural resources, N.Y.: Geenwood press, 1958, pp. 193-196

(٢٠) Peter Hobday, Saudi Arabia toda, an Introduction to the Richest Oil Power, N.Y.:st. Martin's Press, 1978, PP.1-1o.

(٢١) د. ممدوح محمد موصلي، العلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية وتأثيرها على أمنها الداخلي في الفترة من ١٩٨٠م حتى ١٩٩١م رسالة دكتوراه، قناة السويس: جامعة قناة السويس، ١٩٩٦م، ص ٩١ ـ ١٠٠.

من شعراء التراث

حمزة بن عبد المطلب

في السنة السادسة والأربعين - ويقال في السنة التي قبلها - من مولد الرسول [صلى الله عليه وسلم]، أسلم حمزة، وكان أعزَّ فتى في قريش، وأشده شكيمة، فعزَّ به الرسول، وكفت عنه قريش من أذاها[١]، أما سبب إسلامه فيقال إن أبا جهل مر واعترض الرسول وهو جالس عند الصفا فآذاه وسبه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، فلم يكلمه الرسول - وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك - ثم انصرف حمزة، فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم، ولم يلبث حمزة أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، فلما مر بالمولاة قالت: يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقيَ ابن أخيك آنفاً من أبى الحكم بن هشام! وجده ها هنا جالساً فسبه وآذاه، وبلغ منه، فلم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب، وخرج سريعاً ودخل المجلس، وحين رأى أبا جهل جالساً في القوم، أقبل نحوه.. حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟، فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت[٢]، وكان أن قام رجال من بنى مخزوم ينصرون أبا جهل، فقال حمزة: أنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين، وبات ليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، فلما كان الصباح أقبل على الرسول وقال: يا بن أخي: إنى قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، فحدثنى حديثا فقد اشتهيت يابن أخى أن تحدثني، فأقبل عليه الرسول فذكَّره ووعظه، وخوفه وبشره، وقال له: أشهد إنك لصادق شهادة الصدق، فقال حمزة: أظهر يا بن أخى دينك، فوالله ما أحب أن لى ما أظلت السماء وأنى على دينى الأول[٣]، وقال حمزة في ذلك شعرا، ومعنى هذا أنه أسلم قبل عمر بن الخطاب بثلاثة أيام، وكان أن خرج الرسول في صفين فى أحدهما حمزة وفي الثاني عمر وكان لنا «كديد ككديد الطحين»، حتى وصلنا إلى المسجد، فنظرت الينا قريش، وأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها[٤].

ثم كانت الهجرة، وكان الاستعداد لغزوة بدر، فخرج عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، ودعوا إلى المبارزة، فخرج إليهم من الشبان معاذ ومعوّذ



بقلم : **أ.د. عبده بدوي** - مصر

وعوف، فتصايحوا: يا محمد أخْرج لنا الأكفاء من قومنا، فقام حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان لهم النصر.

وقد انتشى حمزة بهذا النصر، وجرى لسانه بالشعر فقال في غزوة بدر:

أولئك قوم قُتِّلوا في ضلالهم
وخلّوا لواء غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله
فخاس بهم، إن الخبيث إلى غدر
فقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً
برئت إليكم ما بى اليوم من صبر
فإني أرى ما لا ترون، وإننى
أخاف عقاب الله، والله ذو قَسْر
فقدمهم للحين، حتى تورطوا
وكان بما لم يُخبر القوم ذا خبر[٥]

فلما كانت غزوة أحد، قتل «وحشي» حمزة، بتدبير من «هند» وكان أن سار أربعاً على راحلته، ووقف على الثنية التي تطلع على الحجون ونادى: يا معشر قريش. أبشروا، فقد قتلنا أصحاب محمد قتلة لم يقتل مثلها في زحف قط، وجرحنا محمدا، وقتل حمزة، فسروا بذلك[٦]، ومع أن أبا سفيان لم يصل الى بيته حتى أتى «هبل» وقال: قد أنعمت ونصرتنا، وشفيت نفسي من محمد وأصحابه، وحلق رأسه، ولكن كل هذا كان شديداً على الرسول [صلى الله عليه وسلم]، بسبب مقتل حمزة، كما كان شديدا على أخته «صفية بنت عبد المطلب» فحين قتل وجدت عليه وجدا شديداً، وأقبلت لتراه بأحد، فقال الرسول [صلى الله عليه وسلم]، لابنها الزبير: ألفها فأرجعها لا ترى ما بأخيها، فلقيها الزبير وقال إن الرسول يأمرك أن ترجعى، فقالت: ولم وقد بلغنى أنه مُثِّل بأخي، وذاك في ذات الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأصبرن ولأحتسبن إن شاء الله[٧].

وأخيرا فقد كان حصانه يسمى «الورد»، وهو من بنات ذي العقال من ولد أعوج، وقال فيه شعرا:

ليس عندى إلا سلاح ووَرْد
قارح من بنات ذي العُقَّال
أتَّقي دونه المنايا بنفسى
وهو دوني يغشَى صدور العوالي[٨]

الهوامش :

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، للنجم عمر بن فهد، تحقيق فهيم محمد شلتوت ١/٢٦٩.
(٢) سيرة النبي لابن هشام ١٨٨، ١٨٩.
(٣) إتحاف الورى ١/٢٧١.
(٤) نفسه ١/ ٢٧٦.
(٥) عن باب موازنات من كتاب/ من بلاغة القرآن. د. أحمد أحمد بدوى ٣٩٦، ٣٩٧.
(٦) إتحاف الورى ١/٤٣٥.
(٧) ديوان الحماسة لأبي تمام ٢/٣٤٨ ط١.
(٨) نسب الخيل في الجاهلية والإسلام لابن الكلبي، تحقيق د. نورى حمودى القيسى، د. حاتم صالح الضامن، ٣٠ ط المجمع العلمي العراقي.

الفرق بين الإسقاط والإبراء والعفو والتمليك

لابد لكي نبين الفـرق بين كل من هذه الكلمـات: الإسقاط والأبراء والعفو والتمليك، أن نبين الفرق بين كل واحدة منها على حدة، وسنجعل الفرق بين الإسقاط وما بعده، أي نجعل الإسقاط هو محور الكلام، فنبين الفرق بينه وبين غيره من الكلمات الأخرى؛ لأنه ببيان الفرق بين مـعاني هذه الكلمـات، يتبين الفـرق بين كل واحدة على حدة[١] فنقول:

١ ـ الفـرق بين الإسـقاط والإبراء: الإسـقاط لغـة: يأتي لمعان عـدة، أهمـهـا أن سـقط: بمعنى وقع، تقـول: سقط الشيء من يدي: إذا وقع، قال الله جل جلاله {إن نشـأ نخسف بهم الأرض أو نُسْقط عليهم كسـفـاً من السمـاء}[٢] وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «سقط رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عن فرسه فجحش[٣] شقه الأيمن»[٤] بمعنى وقع، ويأتي بمعنى الإزالة، تقول: سـقط اسمـه من المقبـولين: أي زال[٥] وأمـا تعـريف الإسـقـاط في الاصطلاح: (فـهـو إزالة الملك أو الحق لا الى مالك أو مستحق)[٦] أو هو (إزالة الحق الثابت نهائيا مع عدم نقله لغير المختص به، سواء كانت الإزالة بعوض أم بغير عوض)[٧] أما الإبراء: فـهـو لغـة: من قـولك أبرأت الشيء من الشيء، إذا خلصتـه ونقيتـه منه يقال: برىء من المرض: شفي وتخلص منه، وبرىء من الدَّين: سـقـط عنه طلبـه، ومنه قـوله تعـالى {فـبـرأه الله مما قـالوا}[٨] والإبراء اصطلاحاً (إسقاط شخص ماله من حق قبَل شخص آخر)[٩] وذلك كتنازل المقرض عن قرضه الذي في ذمة المقترض، والفرق بينهما إذن: هو أن الإسقاط أعم من الإبراء، لأن الإسـقـاط يكون عن حق ثابت كـمـا في إسقاط الدَّين، ويكون بإسقاط ما ليس بحق ثابت على الغـير، كـمـا في إسـقـاط حق الشـفـيع من الشـفـعـة، فالشفعة حق عيني وليس حقا شخصياً، وعلى هذا فكل إبراء إسـقـاط: كـمـا في التنازل عن الدَّين، وليس كل إسقاط إبراء، كما في التنازل عن الشفعة، فهو إسقاط ولا يقال له إبراء.

٢ ـ الفـرق بين الإسـقـاط والعـفـو، عـرفنا مـعنى الإسقاط، وأما العفو فهو في اللغة: من عفا يعفو عفواً: زال وانمحى، يقـال عـفـا أثر فـلان: انمحى، والعـفـو: التـجـاوز عن الذنب وترك العـقـاب عليـه[١٠] قـال الله تعالى: {وأن تعفوا أقرب للتقوى}[١١] وقد يأتي العفو بمعنى الزيادة[١٢] قال الله جل جلاله {ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا}[١٣] أي كثروا، وأما العفو اصطلاحا: فقد عرَّفه الإمام الغزالي فقال (العفو هو أن يسـتـحق الشـخـص حـقـا فـيسـقـطه، ويبـرىء عنه من قصاص أو عقوبة)[١٤] واختصر بعضهم تعريفه فقال: العفو (إسقاط الحق) فالعفو إذن: تنازل صاحب الحق أو من يقوم مقامه عن حقه: وهو المطالبة باستحقاق القصـاص، سـواء كـان العفو بعوض أم بغـير عوض، فعفو المجني عليه أو وليه، يسقط عقوبة القصاص عن الجـاني، وإذا نظرنا إلى تعـريف كل من الإسـقـاط والعـفـو، نجـد أن العـفـو نوع من أنواع الإسـقـاط، فالإسقاط كما يتم بإسقاط الحق الثابت لصاحب الحق أو من يقوم مقامه ـ كما في القصاص، وهذا هو العفو ـ يتم أيضا بتنازل صاحب الحق عن حقه الذي في ذمة غيره، كتنازل صاحب الدَّين عن الدَّين الثابت في ذمة المدين، وبإسقاط حق ثابت بالشرع، ولم تشغل به ذمة أحد، كـحق الشـفـعـة، وعلى هذا يمكننا القـول: بأن كل عـفـو إسـقـاط، وليس كل إسـقـاط عـفـواً، فـبين العـفـو والإسقاط عموم وخصوص من وجه.

٣ ـ الفرق بين الإسقاط والتمليك: سبق أن عرَّفنا الإسـقـاط، أما التمليك: فـهـو في اللغـة: مـصدر ملَّكه الشيء: إذا جعله مالكا له، يقال: أملكَ فلانا أمره: أي

خلاه وشأنه، وأملكت فلانة أمرها: طلقتها، أو جعلتُ أمر طلاقها بيدها، و«المِلْك - المُلْك» - بكسر الميم وفتحها - ما يملك ويتصرف فيه يقال: ملك الشيء: اي احتواه قادرا على التصرف فيه والاستبداد به[١٥] ويقال: هذا ملك فلان وملك فلان: بمعنى، والملك بالضم: السلطان، قال الله جل وعلا: {ونادى فرعون في قومه: قال يا قومي أليس لي مُلك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي}[١٦] فهو يملك السلطان عليهم، لكن لا يملك بيوتهم ولا مزارعهم.. الخ، والأصح أن الملك مثلث الميم، ويأتي بنفس المعنى في التثليث، هذا هو تعريف الملك لغة، وأما تعريف التمليك اصطلاحا: (فهو نقل الملك ورفعه من شخص إلى آخر)[١٧] فالتمليك هو: إزالة ملك المتصرف عما له التصرف فيه، ونقله الى ملك غيره، سواء كان المنقول عينا أم منفعة، وسواء كان بعوض أم بغير عوض، كالبيع والهبة والإجارة والوصية وما شاكل ذلك من العقود الناقلة للملكية، وقد يجتمع الإسقاط والتمليك: كما في الإبراء من الدَّين، لأن التمليك فيه معنى الإسقاط من جهة الدائن، إذ يسقط حقه في المطالبة بدينه، وفيه معنى التمليك من جهة المدين، إذ يدخل الدين في ملكه بإسقاط الدائن حقه في المطالبة به، فهو تمليك من وجه، وإسقاط من وجه، ولذلك أعطى الفقهاء لكل من الوجهين حكمه: فمن جهة أنه إسقاط، لا يحتاج الى قبول، فلو قال الدائن للمدين: أبرأتك من الدين، أو ملكتك الدين، وسكت المدين: سقط الدين عنه، ولا يحق للدائن المطالبة بعد ذلك، ومن جهة أنه تمليك، فإنه يرتد بالرد: فلو قال الدائن للمدين أبرأتك من الدين، أو ملكتك الدين، وقال المدين: لا أريد، أو لا أقبل ابراءك: ثبت الدين في ذمته؛ لأن الشرع لا يرغم أحداً على دخول مال في ملكه بدون إذنه، قال العلماء: إلا الإرث، وقد يصاحب التمليك الإسقاط، كما في الخلع والطلاق على مال والعفو على مال، فالزوج يسقط حقه في ملك النكاح في مقابل أن تملكه الزوجة المال، وكذا الولي يسقط حقه في القصاص في مقابل أن يملكه الجاني الدية، ويختلف الإسقاط عن التمليك: أن الإسقاط إزالة الملك عن المالك لكن لا إلى مالك، أما التمليك فهو: إزالة الملك ونقله الى مالك جديد.

الهوامش:

(١) احكام الإسقاط في الفقه الإسلامي، د/ احمد الصويعي شلبيك، دار النفائس ص ٢١ وما بعدها بتصرف.

(٢) سبأ/ ٩

(٣) جُحش بالضم: الجحش أكبر من الخدش، تفسير غريب الحديث، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ص ٥٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٨٤/٢.

(٥) لسان العرب لابن منظور (سقط).

(٦) حاشية البيجوري، ابراهيم محمد البيجوري، دار الفكر ١٥/٢.

(٧) انقضاء الحق بالوفاء في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، علي محمد الشريف، ص ٩٨.

(٨) الأحزاب/٦٩

(٩) الإبراء من الالتزام، د/عبد الرزاق حسن فرج ط١ دار الاتحاد العربي ١٩٧٦م ص ١٤.

(١٠) مختار الصحاح للرازي (عفو).

(١١) البقرة/ ٢٣٧.

(١٢) أحكام القرآن لابن العربي دار الفكر ٦٦/١.

(١٣) الأعراف/ ٩٥.

(١٤) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي دار الكتب العلمية ١٨٢/٣.

(١٥) المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وغيره (ملك).

(١٦) الأعراف/ ٥١.

(١٧) نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار، لأحمد قودر قاضي زاده، دار الفكر ٢٠/٩.



رحلة في الذاكرة ٥٦

الدكتور محمد السعدي فرهود

زاملتُ الدكتور محمد السعدي فرهود في مراحل الدراسة التعليمية بالابتدائي والثانوي وكلية اللغة العربية ومعهد التربية العالى ثم زاملته في مرحلة التدريس الجامعي مدرسا وأستاذا، فلم أر تغيرا في أخلاقه منذ عرفته، مما أكد لي أن الطبع الإنساني المفطور على جبلّته لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات، وما يُظنّ أنه تطوير وانتقال هو شيء ظاهري مفتعل، إذ أن الجوهر الأصيل يظل محتفظا بمعدنه، فكل ما يراه خلطاؤه اليوم من هدوئه ورزانته وسعيه في الخير كان واضحا عند الطالب الصغير في العهد الابتدائي بالأزهر، هكذا ـ رأيت ولمست!

ولقد كان مع هذه السجايا الخلقية غيورا على سمعته العلمية إذ كان حريصا كل الحرص على أن يكون الأول بين زملائه، وقد تحقق له ذلك في أكثر السنوات، وفي السنوات التي جاء فيها الثاني كان يأخذ نفسه بأسباب اللوم إذ يكون أمامها مقصرا، وأنا أعلم أن درجات الشفوى بالأزهر قد تُعطى لمن لا يستحق فيسبق الكادح الجاد، ولكن الله يعوض كثيرا فيما بعد.

أول ما عرفت الطالب محمد السعدى فرهود كان في حفل عام أقامه معهد دمياط الديني في مناسبة المولد النبوي الشريف، وقد حضره محافظ الإقليم وفريق من علية القوم، وقام كبار الأساتذة يلقون كلماتهم الرسمية، فيمتعون، ثم قام الطالب محمد السعدى ممثلا لزملائه فألقى كلمة ضافية، جذبت إليها الأنظار، إذ ترك المعانى التقليدية التي تكرر في هذه المناسبة، والتي توسع فيها بعض من سبقه من الأساتذه المتكلمين الى عناصر جديدة تتصل بأخلاق صاحب السيرة المطهرة، وكان إلقاؤه يزّين بيانه، فخرج السامعون يثنون عليه تفكيراً وإلقاء وهدوءا، ومن يومها طاب لي أن أعرف الكثير عنه.

ذهبنا إلى معهد الزقازيق الثانوي، فحافظ محمد السعدى على أوليته المعهودة، وأعد نفسه ليكون أول الشهادة الثانوية على القطر جميعه، ولكن ظروفاً سياسية عاقته عن الالتحاق بالدور الأول، ظروفاً لا شأن له بها، إذ أن غيرته الإقليمية دفعته إلى مناصرة زعيم سياسى من أبناء بلدته (الزرقا) وأتت الرياح بما لا يشتهى، فذهب عهدُ وجاد عهد يناوىء الزعيم، وتأخر السعدى عن الالتحاق بدار العلوم التي كان مصمما على دخولها، فانتسب لكلية اللغة العربية غاضباً، ولم يدر أن إرادة الله فوق كل إرادة، إذ كان في طي الغيب أن يصبح محمد السعدى عميداً لكلية اللغة العربية فمديرا



بقلم : **أ . د . محمد رجب البيومي**
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

لجامعة الأزهر، فهل أقول له اليوم، وما تشاءون الا أن يشاء الله.

برز السعدى في كليته الأزهرية، وكان رئيسا لجماعة «الضاد» التي أسسها الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى - رحمه الله - أخذ الرئاسة بعد تخرج الدكتور الشرباصي، فزاول النشاط الأدبي، وسار له بالكلية ذكر حميد، وأشير الى أن أحد أساتذته كان يعهد إليه بتحضير الدرس الأدبي ليلقيه على الطلاب تمرينا للنابهين، وهو سلوك تربوي ناجح، لأن الطالب حين يقف أمام زملائه موقف الأستاذ يشمر عن ساعد الجد، ويحاول أن يملأ الموقف قدر ما يستطيع، وقد ألقى الطالب محمد السعدى عدة محاضرات عن الشاعر العباسي بشار بن برد، حازت اعجاب أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد - رحمه الله - فأثنى عليه في الملأ المشهود، وتنبأ له بمستقبل زاهر ثم مضت الأيام فأبرزت تحقيق نبوته!.

وانتقلنا بعد الكلية الى معهد التربية العالى بالاسكندرية، فدرسنا الجديد من علوم النفس والتربية والاجتماع مما لم نكن نألفه في الدراسة الأزهرية، وأذكر أن الدكتور رياض عسكر أشار في بعض محاضراته إلى «مجلس الآباء» وضرورة إنشائه بالمدارس المصرية تقليداً للمدارس الانجليزية، فأعجبت الفكرة الطالب محمد السعدى فرهود، وكتب مقالا تربويا نشرته جريدة الأهرام في مكان بارز، وتوالى الرد عليه، لدرجة أدهشت الدكتور عسكر، وتمنى أن يرزق من الطلاب من يذيعون الرأي التربوي على نطاق جهير.

ثم تفرقنا بعد التعلّم، ومضت عدة سنوات حتى جاءني خطاب رقيق من الأستاذ محمد السعدى فرهود يعلق أنه يكتب رسالة الدكتوراه عن شعر الأستاذ عبد الرحمن شكرى، وقد علم أن لدي بعض رسائله الخاصة ويريد الاطلاع عليها، فربما يكون بها ما يضيء جانبا من نواحي الشاعر المتعددة، وقد سارعت بتلبية طلبه فصَوَّر ما أراد من الرسائل وبعثها اليَّ ثانية، والغريب أني بعد عشرين عاما من هذا الموقف، احتجت إلى بعض الرسائل وبحثت عنها دون جدوى، ثم حدثت الدكتور السعدي بذلك، فقال إن الصور محفوظة لديه، وتكرم بإرسال نسخة منها، ولولا ذلك لفُقدَت إلى الأبد، ومنها تفويض من الشاعر لى بطبع مؤلفاته نثرا وشعرا.

لم يقتصر السعدى على مراسلتى بشأن رسائل شكرى، فقد راسل كثيراً من الأدباء في العالم العربي حتى جمع من الرسائل ما يصلح أن يكون كتاباً، وأذكر أنه راسل الأستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف ، وكان حينئذ قد ترك القاهرة الى لبنان فأمدّه بعدة رسائل تضم أنباء أدبية، ونظرات علمية، وهى لا تزال لدى الصديق، كما أنه حين كتب رسالة الماجستير عن (عبد الله النديم) لم يدع أحدا يعرف اتصاله بأسرته إلا سافر إليه، وأخذ من أخباره ما كان مجهولا إذ زار الاسكندرية لذلك عدة مرات، وقد كتب الكثيرون عن النديم كتابة من رجع الى آثاره وحدها، ولكن رسالة السعدى تضمنت أشياء جديدة عمل على جمعها ثم تحرى مدى صوابها وحازت تقدير لجنة المناقشة بمعهد الدراسات العربية.

وقد زاملت السعدى إذ كنا مدرسين بكلية اللغة العربية بالقاهرة حيناً من الدهر، فاتضح لى من نشاطه جانب إدارى كنت أجهله، لأنه مع إكبابه على التأليف الأدبي كان له يد في الإدارة في شئون الامتحانات، وموضع استشارتها في أحوال الطلاب، ولجان الشباب، وسفر الرحلات، ومازال يجمع بين الإدارة والتدريس والتأليف العلمى جمعاً متوازنا دقيقا، وذلك يتطلب منه مزيداً من الجهد الجاهد، وثقة المحيطين به في مواهبه تدفعه الى مواصلة هذا الجهد في احتفاء.

وقد تنوعت مؤلفات الدكتور السعدى بالكلية لأن المواد التى قام بتدريسها كانت تقتضي هذا التنوع، ولكن إبداعه الأول كان في حقل النقد الأدبي حيث أصدر عدة كتب مهمة تشمل خطوات النقد في جميع عصوره، وقد فاجأ طلابه بنظام من التأليف في تاريخ النقد الأدبي القديم لم يألفوه من قبل، حيث درجوا على أن يكون تاريخ النقد وفق توالى العصور، اقتداء بما صنعه رائد التاريخ النقدى في مصر المرحوم الأستاذ طه أحمد ابراهيم، حيث بدأ بحديث النقد في العصر الجاهلى وتابع العصور حتى انتهى الى العصر العباسي، والحق أن هذا الكتاب التليد لا يزال يحمل بريقه اللامع منهجاً وأسلوباً واستنتاجاً، وقد حاكاه أناس - أو قل إنهم سرقوه - ثم أخذوا يعيبونه، وكأنهم لم يتكئوا عليه كل الاتكاء، وتلك من محن العلم في العالم العربي، أما الدكتور فرهود فقد درس كتاب الأستاذ طه احمد ابراهيم، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم رأى أن يؤرخ للنقد على غير مذهبه، فأصدر كتابه (اتجاهات النقد العربي) متحدثا في المقدمة عن منحى الأستاذ طه احمد ابراهيم ثم معقبا بقوله:

«وإن لنا أن نُقوِّم هذا الاتجاه ، لأنه يسمح بقيام فواصل بين نقود العصور، وإطلاق القواعد العامة على هذه العصور، مثلما قالوا: ان النقد في العصر الجاهلى نقد فطريّ، وفي عصر صدر الاسلام نقدُ ذوقي، وفي الدولة الأموية نقدُ جزئى، واختلف في الشام عنه في العراق، وهذه في تقديرنا تفرقة جبرية لا مسوّغ لها، فقد تداخلت النقود، وتداخلت العصور الأدبية، ولم تتمايز هذه أو تلك تمايزا يحتم الفصل بينها، وهذا تفسير الاتجاه إلى تناولنا الموضوعى لهذه الأمور غير مغفلين ما يفرضه الترتيب الزمني على حركة التاريخ النقدى».

ووفقا لهذه الخطة الجديدة كتب الباحث فصولا متتابعة عن اتجاهات النقد العربي، فتحدث عن النقد الاستحساني، والنقد الانتخابى، والنقد الاجتماعى، والنقد الوصفى، والنقد على سبيل الموازنة، ثم جاء الفصل الأخير ليلم بأهم النظرات النقدية التي تفرقت فيما سبق من الأبواب، والكتاب بهذا المنحى الجديد طريف كل الطرافة في بابه.

أما أهم كتاب أصدره الدكتور السعدى في حقل النقد فهو كتاب (قضايا النقد الأدبي الحديث) وقد أفردتُ له مقالا خاصا بتحليله في مجلة الأديب اللبنانية (اكتوبر ١٩٧٠) وجاء فيه ملخصا:

«ألمَّ الكاتب إلماماً موجزا في مطلع بحثه بما سبق أن أرَّخ به الدارسون حركة النقد العربي، ثم اتجه إلى أبواب معاصرة، بدأها بالحديث عن تأثر النقد الأدبي بعلوم النفس والاجتماع والجمال، وختم كل فصل بتعقيب يرجح فيه ما يرتضيه من الآراء المتضاربة في حيدة تامة لا تعرف الانحياز لمذهب معين، ولكي يصل إلى ما يريده من حديث النقد المعاصر عبر ما قبله من الاتجاهات التراثية عبورا موجزاً، ولكنه مستوعب، ثم تفرغ للبحث في قضايا التجربة الشعرية، والوحدة العضوية متتبعا بذورها في كتب النقد القديم، حتى

انفسح المجال لرصد التيارات المعاصرة، إذ تحدث عن خليل مطران وعبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى! وقد لاحظت في مقالى بمجلة الأديب أنه قد بخس مطران حقه حين جعله ينحاز الى جانب شوقى في منحاه، لأن اتجاه مطران الإبداعى مسلم به، وهو الرائد الحقيقى لحركة التجديد في الشعر المعاصر، إذا أردنا أن نقرر الحقيقة دون انحياز.

هذان الكتابان البارزان في نتاج الدكتور السعدي كانا موضع تعليقات لي في دروس النقد، وأنا أجاوره بمدرجات الكلية، وقد تناقل الطلاب هذه التعليقات، فكنت أنتظر من صديقي أن يتأثر بعض الشيء بموقفى ولكنه قابلنى مبتسما ليقول: إنه مستعد حين أدوّن له خواطرى النقدية في بحث خاص ليرجع إليه إذا حانت الطبعة الجديدة للكتاب، وهذا السلوك المطمئن الواثق هو ما يميز الدكتور السعدى دائماً، وما جعل أصدقاءه وزملاءه يعتزون به، وقد جنى كثيراً من الشوك بسبب هذه السماحة، ولكنه لم يثر ثورة الغاضب، إذ طبع على الهدوء اليقظ، وقد دُعي منذ أعوام لإلقاء محاضرة أدبية نقدية عن الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى بالنادى الأدبي في جدة، وهو أولى الزملاء بالبحث في موضوع من صميم تخصصه إذ كتب رسالة الدكتوراة عن الشاعر فعرف عنه أكثر مما يعرف سواه، ولكن - وهذا موضع العجب العجيب - رأيته بعد كتابة بحثه المسهب، يدعونى إلى زيارته، ثم يعرض عليّ المحاضرة قبل أن يلقيها، فقد يكون بها ما يصلح أن يكون موضعاً للنقاش، وقد دهشت جداً لهذا الطلب غير المنتظر، وأخذت المحاضرة وأفدت منها، ولم أر بها غير الجيد الصحيح، وعاتبته على ما صنع، فقال لي في ابتسام: وماذا يمنع من أن أطمئن، فقلت له إن اطمئنانك هذا مع وثوق الناس بك قد حيرني!

وقد كان الدكتور محمد السعدى عميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة حين أنشئت فلاقى تأسيسها العلمي والإدارى والبنائى جهداً كبيرا قام بتذليله على نحو مرهق شاق، ثم ترقى إلى منصب أعلى، وجئت عميداً للكلية من بعده، فرأيت أن أقيم له حفلة تكريم اعترافاً بجهده في إنشاء الكلية وسيرها هذا المسير الصحيح، وقام المتحدثون فأثنوا عليه بما هو أهله، وكانت المفاجأة في الكلمة الختامية التي ألقاها الدكتور السعدى، حيث ذكر اسماء الزملاء والإداريين والموظفين الذين عاونوه جميعا، وأحصى لكل فرد جهده الذى قام به، وكأنه كان أثناء عمله عميداً يسجل خطوات من يقعون تحت إدارته تسجيلا واعيا، وقال في تواضع إن الشكر لهؤلاء جميعا، وقد خرج المستمعون دهشين لهذه الذاكرة التي وعت كل شيء ولهذا الاعتراف المثالى بكل جهد مبذول، وكم رأينا من رؤساء لم يعملوا شيئا ارتكاناً على جهود مرءوسيهم، ثم هم بعد ذلك يتلمسون الهفوات التافهة لعقابهم، وكأن الرياسة لا تتم إلا بالاستعلاء وترصد وسائل العقاب.

وفي اجتماعات اللجان الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر، رأيت من حزم الدكتور فرهود ما أعجبني لأن هذا الحزم الدقيق لم يمنع نظرة الرحمة المتسامحة لمن قعدت بهم بعض ظروفهم الصحية في مختتم العمر، عن الإجادة التامة، فكان الدكتور يقف في صف هؤلاء الذين سيودعون عملهم عن قريب، قائلا إنهم كافحوا قدر ما يستطيعون، ولهم جهدهم العلمى الذى يؤيده نشاطهم الممتد عبر السنوات الماضية، وهو رأي قد يجد المعارض، ولكنى أسجله كما رأيته مع ملاحظة أن النتاج يكون دائماً في مستوى مقبول ولا يهبط إلى درجة المؤاخذة، فهنا يكون الحسم الدقيق.

هذه خواطر أكتبها عن صديقي الكريم، راجيا أن أجد مجالا آخر للحديث عنه كما أريد بإسهاب.

تقنية إثارة الابتكار في القراءة

القراءة والكتابة وسائل اتصال اكتشفهما الإنسان منذ آلاف السنين. ولازالت هذه الوسائل تحافظ على مكانتها رغم التقدم التكنولوجي وإيجاد وسائل أخرى جديدة للاتصال. ينهل الإنسان من العلوم الغنية الموجودة في طيات المنشورات والمخطوطات بالقراءة، ويسجل ما يود أن يعبر عما يجول في خاطره بالكتابة، تحافظ الكتابة على الأفكار المختلفة قدرما تكون هذه الكتابة محفوظة حفظا سليما. وتفهم مقاصد الإنسان المختلفة، ضمن ما تفهم، بقراءة ما كتبه ودونه. وهذا يعني أن الكتابة إنما تتطلب القراءة. ذلك لأن الإنسان لا يكتب لنفسه، بل يستهدف أصلا نقل أفكاره إلى الآخرين. وما كُتبَ شيء إلا ليُقرْأ سواء كان من قبل صاحبه أو من قبل الغير. وبدون القراءة تبقى الكتابة رموزا غير مفكوكة، لم تصل إلى أغراضها بعد، ولم تؤد وظيفتها الأساسية.

ورغم أن القراءة والكتابة مستقلتان عن بعضهما البعض الى درجة ما، إلا أنهما تكادان تشكلان وجها عملة واحدة يكمل أحدهما الآخر، وليس بالضرورة أن يتعلم شخص ما تعلم القراءة والكتابة أيضا. وهناك في المجتمع أفراد يقرؤون ولا يكتبون، ولا يستطيع هؤلاء تسجيل ما يدور في خواطرهم من أفكار، وقد يلجأون من أجل ذلك الى الاتصال اللفظي. على أن الذي يتعلم القراءة يتعلم معها الكتابة أيضا في معظم الأحيان.

يسمى الفرد الذي لا يعرف القراءة والكتابة أميا، والأمي جاهل يعيش في دهاليز الظلام التي لم تصلها أنوار العلم والمعرفة. يقاس تقدم المجتمعات في هذه الأيام بنسبة قضائها على الأمية. أي بمقدار ما يستطيع أفرادها إتقان القراءة والكتابة. والأمية آفة من آفات هذا العصر، وأينما انتشرت انتشر معها الفقر والمرض. ويكون الجهل والفقر والمرض ثالوثا يعرقل تقدم المجتمعات. صرفت المجتمعات المهتمة بالتعليم، ولا تزال تصرف مبالغ هائلة من أجل القضاء على الأمية. لقد سبقت البلدان المتقدمة البلدان النامية في هذا المجال، وانخفضت فيها الأمية انخفاضا كبيرا، ووصلت ما وصلت إليه من تقدم ورقي. ولا تزال أمم نامية كثيرة تتخبط في هذا المجال الذي يشكل عائقا مهما أمام تقدمه وتنميته.

لماذا نتعلم القراءة؟

تحتل القراءة مكانة مهمة جدا في حياة الإنسان. ذلك لأنها تخلصه من الظلمات، وتوصله إلى النور. تنقذه من العمى، فينظر إلى الأمور بعين العقل والعلم، ولا تستوي الظلمات والنور، ولا يستوي الأعمى والبصير، تساعد القراءة الإنسان على الخروج من

بقلم : **أ. د . أنور طاهر رضا** - جامعة التاسع من أيلول - كلية التربية - تركيا



** ساعات الدراسة في الفصل المدرسي أو المدرج الجامعي قليلة ولا توفر المعرفة المطلوب توفرها للابتكار والابداع

غـيـابـات الجـهـل وتنقله الى فضـاء المعرفـة الفسيـحـة.

تصقل القراءة شخصية الفرد بمقدار ما ينهل وما يتعلم. وهو عندما ينهل بها ثقافة مجتمعه، إنما يتكيف بالشكل الذي يريده المجتمع، ويضمن له ذلك سهولة التفاهم وحسن المعاشرة، ويسر التكيف مع أفراد المجتمع الآخرين، يرتاد الإنسان بالقراءة الثقافات العالمية الزاخرة، فيتعلم ما يفكر به الغير، وكيف يفكرون.

ومن الجـديـر بالذكـر أن يكون أول أمـر رباني للرسول مـحـمـد {صلى الله عليه وسلم} والإنسانية جمعاء هو القراءة، وأن يقرن أمر القراءة هذا بصفة الخلق الربانية، يتوالى الأمر الرباني بالتذكير بأنه هو الذي علم الإنسان بالقلم ما لم يعلم، والقلم أداة الكتابة لدى الإنسان، ويظل جبريل يكرر هذا الأمر الرباني على الرسول مـحـمـد {صلى الله عليه وسلم} عددا من المرات، مما يعكس مـا فيـه من أهمـيـة بالغة. وكلـمـا استجاب الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} بأنه إمـا لا يعـرف القراءة كلما أصر جبريل على تكرار أمر ربه. ولقد أدرك الرسـول مـحـمـد {صلى الله عليه وسلم} أهـمـيـة هذا الأمـر منذ الأيام الأولى من نبـوته، فـبـدأ ينشـر رسالته بين أفراد عائلته وأبناء قومه. وقد أرسيت دعائم هذه الرسالة بشكل أساسي على قراءة القرآن وتطبيق تعاليمه، وإيمانا من الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} بأهمية القراءة في حياة المجتمع، ورغم أن الدعـوة كـانت لازالت في أيامـهـا الأولى، فـانه سلك سلوكـا خـاصـا لم يضـاهـه أحـد قط في مـثـل هذه الظروف، لقد اشترط على كل أسير بعد معركة بدر تعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحه، وقد حث الإسلام على القراءة والكتابة واعتبر قراءة القرآن والعلوم الأخرى مطلبا أساسيا من



مطاليب هذا الدين الحنيف.

لقد كانت القراءة أول أمر رباني لأهميتها البالغة في حياة الأفراد والمجتمعات على السواء. ولم تنته الأوامر الدينية عند هذا الحد، بل توالت تحث على التعلم والتعقل والتدبر والتفكير الحازم في مخلوقات الله والكون والسماء، وطلب العلم من المهد الى اللحد حتى ولو كان في الصين. وجميع هذه الأمور متعلقة بالقراءة عن كثب، لقد فرض العلم على كل مسلم ومسلمة، ولن يتم تعلم أي علم بدون قراءته، خصص الإسلام لمن يؤدي فرض القراءة أجرا عظيما، وتوعد من يتركه جزاء وبيلا، لقد حمّل القرآن على الفرد مسئولية كبيرة في هذا الخصوص، وواعد المخالف عقوبة خاصة يوم الآخرة، لقد واعد الله تارك قراءة القرآن بحشره أعمى يوم القيامة، وهو جزاء خاص يحمّل العين على ما يحمّلها من بين الوظائف المختلفة وظيفة القراءة بشكل صريح، ويحسب الذي لا يقرأ كالأعمى، وشتان بين الأعمي والبصير، يتعلم المسلم بالقراءة دينه ودنياه على السواء، وقد أقام الإسلام توازنا دقيقا بين الدين والدنيا، حتى أضحى ما يتعلمه الإنسان لدنياه في مصاف العبادات.

القراءة ضرورة من ضرورات الحياة، يحتاج اليها كل إنسان مهما كانت مرتبته وجنسه وجنسيته ولونه ودينه، كما أن الإنسان يحتاج إلى مأكل ومشرب وملبس لسد احتياجاته الجسدية فانه إنما يحتاج إلى قراءة لسد احتياجاته الذهنية، ولهذا فقد قيل بأن القراءة غذاء الفكر والذهن والروح، ويتمخض عن ذلك أن تكون القراءة إضافة إلى ذلك متعة فريدة شيقة ولذيذة من متع الحياة الدنيا، لا تعادلها متعة أخرى قط، كما أن الإنسان يسد احتياجاته الجسدية بالأكل والشرب فإنه يستمتع بهما، وكما أنه يسد بالقراءة احتياجاته الفكرية والذهنية والروحية فإنه يستمتع بها، يتعلم الإنسان القراءة منذ الصغر ويستمتع بها، ثم يجعلها فيما بعد جزء لا يتجزأ من حياته اليومية، ومن دون ذلك يكون الإنسان قد حرم من هذه المتعة، التي لا يمكن أن تعوض بغيرها أبدا.

لقد استخدم القرآن الكريم الجهل في سورة يوسف بمعنى الطيش، لما يتصف به الجاهل من اندفاع للأمور من دون تروّ، مما يؤدي إلى الوقوع في أخطاء فاضحة، فيتعلم الإنسان بالقراءة مالا يعلم، فتغذي الفكر وتصقله وتهذبه وترفعه مراتب سامية وراقية، لقد قيل في مأثور الكلام أن خير صديق للإنسان هو الكتاب. والهدف من ذلك هو التشجيع على مصاحبته وقراءته والاستئناس به، وقد سُمي القرآن بهذا الاسم للتأكيد على قراءته، وقد أمر بقراءته على مكث **{وقرءاناً فرقناه لتقرأه على الناس على مُكْث ونزلناه تنزيلا}** (سورة الإسراء الآية ١٠٦) أي على مهل وتؤدة للتفكر والتدبر فيه، وطلب ممن يتواجد عند قراءته الاستماع والإنصات.

يتحول الإنسان بالقراءة من أمي إلى متعلم، ومن جاهل إلى مثقف، ومن متقوقع على نفسه إلى اجتماعي ، يرغب في نشر ما قرأه على غيره من الناس، توسع القراءة أفق المرء، وتقضي على التقولب الذي يتحكم في حياته، وتحل محله المرونة والانفتاح، ويستفيد الإنسان بذلك من خبرات الآخرين في كل مجال من مجالات الحياة، وينظر الى الأمور من زوايا مختلفة، ويحسب لها حسابات شتى.

تنتشر المدنية الحديثة وتنتقل من جيل إلى آخر بالمواد المكتوبة، ورغم أن المواد المسموعة والمرئية والمصورة التي تذاع بالراديو، وتبث بالتلفزيون، وتنقل بالكومبيوتر، تحتل مكانة مرموقة في هذه المدنية، وتتوسع مجالاتها يوما بعد يوم، إلا أن هناك تراثا ضخما مكتوبا بين طيات الكتب والمجلات والجرائد والمنشورات الأخرى من اطروحات ورسائل ودوائر معارف وقواميس. وإذا كان ولابد من الاطلاع على هذا التراث الثري القومي منه والعالمي على السواء، فلابد من القراءة التي تعوض الحرمان الذهني بالثراء والغني.

إن المدنية الحديثة أمانة أودعها الجيل السابق في كاهل الجيل الجديد، لا تتطلب هذه الأمانة الاحتفاظ بما يستلم من الجيل السابق فحسب، بل ينبغي تطويرها نحو الأحسن، لكي تؤدي وظيفتها بالشكل الصحيح، ولن يتم ذلك إلا إذا تعلمنا وعلمنا الجيل اللاحق القراءة والكتابة خير تعليم، وأبدعنا في مثل هذا التعلم والتعليم.

ما هو الابتكار؟

يعيش العالم اليوم في صراعات مستميته من أجل ضمان منافع خاصة في مستوى الأفراد والجماعات والمجتمعات على السواء وأينما تجد صراعا تجد غالبا ومغلوبا أو مستغلا ومستغلا، وما من سبيل لكسب هذه الصراعات إلا بقدر ما يظهر الأفراد والجماعات والمجتمعات من الابتكار، الذي يضمن غلبتهم على غيرهم، ولكي لا يكون الإنسان مغلوبا على أمره أو مستغلا من قبل الآخرين، فلابد له أن يكون مبدعا ومبتكرا فالابتكار ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، التي يحتاج إليها الإنسان في كل آن وحين من أجل ضمان مصالحه وتحقيق مآربه، والعيش عيشة سعيدة، يستطيع كل فرد أو جماعة أو مجتمع أن يكون مبتكرا، فيما إذا استثمر وقته في هذا المجال، وتعلم وسائل تحقيقه، تنمي التربية الابتكار أضعافا مضاعفة، وحيث أن الابتكار مطلب يومي يحتاج إليه كل فرد ومجتمع من أجل إدارة شؤونه على أحسن وجه، فإنه يخلق الحيوية والنشاط المستمرين، اللذين يكسبان الحياة المعنى وتذوق طعمها.

الابتكار في أوسع معانيه تحطيم القوالب الموجودة، والانفتاح على خبرات الآخرين، والخروج عن المألوف، والمباشرة بالخطوة الأولى نحو ما هو غير معروف، وكسر قيود الفكر المفروضة على الفرد، ووضع خط جديد للفكر، وطرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة، وارتياد طريق آخر غير الطريق الرئيسي الذي يسلكه

** الوقت المفاد منه جيداً، هو الاستثمار الحقيقي للفرد.

** الابتكار تقيمه العزيمة الصادقة، والملاحظة الدقيقة والأفكار المرتبة مع نتائجها.

** تقنيات طرائق الابتكار الأسلوب الأمثل تعلمه من أجل عطاء أفضل.

** الجهد الذاتي الذي يبذله الطالب في تحصيل المعلومات من مظانها هو الاجدى والأنفع.

** وسائل المعرفة، ووسائطها غدت في عالم اليوم أكثر توفرا.

** علينا أن نعلم أبناءنا كيفية الافادة من هذا الكم المعرفي الهائل في تقنية المعلومات.

** مبتكرات الاطفال افكار جريئة ينبغي احترامها وتنميتها.

الآخرون، وإيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، والتوصل إلى إيجاد علاقات جديدة بين الأفكار المطروحة، وطرح فكرة جديدة، وإيجاد وسيلة أو طريقة غير معروفة سابقا، وارتياد مكان جديد، أو كشف شيء غير معروف، واختراع آلة أو جهاز جديد يفيد الإنسان. وما من شك في أن كل هذه الأمور إنما تحتاج الى قراءة مستمرة ومبتكرة في آن واحد، ومثلما ربط القرآن بين القراءة وصفة الخلق الربانية، يمكن ربط القراءة بالابتكار الإنساني، على أن الخلق الرباني ينفرد بكونه من لا شيء، بينما يكون الابتكار الإنساني من أشياء موجودة فعلا، تساهم في تشكيل المواد الخام للشيء الجديد المبتكر.

ماذا نقرأ ؟

نقرأ في كل يوم أشياء شتى متباينة، تصنف هذه الأشياء تصنيفات مختلفة، تتضمن مواد مطبوعة أو مخطوطة على الأوراق ومواد ضوئية تكنولوجية، تتضمن الكتابات المطبوعة والمخطوطة، الصحف والمجلات والكتب ودوائر المعارف والقواميس والاطروحات والرسائل والمخطوطات، بينما تتضمن المواد الضوئية التكنولوجية الكتابات الضوئية التي تنار بالإعلانات أو التي تنقل من شاشات التلفزيون والكومبيوتر.

تنبع قراءة المواد المتباينة من أسباب عديدة تختلف من شخص إلى آخر. وقد يدفع سبب واحد شخصا معينا إلى القراءة، بينما تتجمع كل هذه الأسباب لدى شخص آخر، على أن المواد المقروءة يمكن تصنيفها من ناحية أخرى تصنيفا متباينا كما يأتي:

قراءة القصص :

يجني الإنسان فوائد شتى ومتباينة من قراءة القصص، لقد أشار رضا (Riza, 1999' 187- 190) الى فوائد مهمة جدا لقراءة القصص بحيث تنفع الإنسان في جوانب كثيرة من حياته، منها إشغال وقت فراغ الفرد بما يفيد وينفع مهم جدا من جوانب عديدة ذلك لأن العادات الحميدة التي تكون جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان إنما تشكل بمرور الأيام، تعتبر الهوايات إحدى هذه العادات، والقراءة إحدى الهوايات المهمة التي لابد من تشكيلها لدى كل فرد، تلعب قراءة القصص الشيقة دورا مهما في تكوين هذه العادات، تكون الأحداث التي تدور في هذه القصص وسيلة لجذب الإنسان إلى القراءة وضمان الاستمرار فيها، تتحول هذه العادات بالتدريج إلى هوايات يستمتع بها الإنسان، ويقضي معها فترات سعيدة من حياته، أضف إلى ذلك فان عدم ملء وقت الفراغ بما ينفع ويفيد قد يعرض الإنسان الى مفاسد وشرور هو في غنى عنها. ولهذا السبب فقد قيل أن الفراغ مفسدة، ولا شك أن أمر تجنب المفاسد والشرور مهم جدا في كل من المستويين الشخصي والاجتماعي.

تكسب القصص الفرد ثروة لغوية غنية تفيده في التعبير اللفظي أو الكتابي عما يجول في ذهنه، ولما تملكه القصص من جاذبية، فهي إنما تعود الفرد على القراءة بدون ضجر أو ملل، تطور القصص لدى الفرد

مهارات البحث والدراسة، تغني القصص من ناحية أخرى خياله وتوسع أفق تفكيره، ترفع تحصيله وتطور اتجاهاته وتنمي الابتكار لديه، تقوي قراءة القصص شخصية الفرد، لما لأبطال القصة من تأثير واضح عليه، وتساعده في علاج مشاكله النفسية، لقد وجد أن قراءة القصص إنما تؤدي إلى استخدام فصي المخ في آن واحد، يتطلب التفكير في التعبير اللغوى استخدام الفص الأيمن، بينما يتطلب تجسيد أحداث القصة استخدام الفص الأيسر منه، وفي استخدام فصي المخ في آن واحد إثارة للابتكار والإبداع، ولما كانت هذه الفوائد ذات قيمة كبيرة لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال، فان قراءة القصص تصبح أمرا من الأهمية بمكان لكل فرد من أفراد المجتمع.

قراءة في الثقافة العامة :

تتضمن القراءات في الثقافة العامة جانبين مهمين في آن واحد لا يقلان أهمية عن بعضهما البعض، يتضمن الجانب الأول قراءات في علوم أخرى من غير الاختصاص، ويتضمن الجانب الثاني قراءات في ثقافات المجتمعات الأخرى.

يحتاج الإنسان الى مقدار من الثقافة العامة في علوم أخرى من غير الاختصاص، لكي ينظر الى الأمور التي تجري في الحياة بمنظار علمي آخر. يكون الإنسان بدون هذه الثقافة العامة معرضا للشعوذة والدجل والسحر والمغالطات والأوهام والخرافات، يعمل التزود بمناهل العلوم المختلفة وظيفة وقاية الإنسان من هذه الشرور المنتشرة في جوانب الحياة المختلفة، تشمل هذه الثقافة العامة جوانب العلوم الإنسانية وغير الإنسانية المختلفة من دين وتربية وعلم نفس وفلسفة وعلم اجتماع وأدب وعلوم طبيعية ورياضيات وفنون جميلة، تكون هذه الثقافة العامة وسيلة لتسيير أمور الإنسان العائلية والمهنية والاجتماعية اليومية بما ينفعه ويفيده، تكون هذه الثقافة أيضا عاملا مشتركا مهما للتفاهم مع من يعملون في ميادين أخرى للاستئناس بآراء بعضهم البعض، تلعب هذه الآراء من زاوية الابتكار والإبداع دورا بالغا كمثيرات تولد أفكارا جديدة.

يعكس تراكم المعلومات في الميادين الأخرى من غير الاختصاص ثقافة الفرد العامة، هذا ومن الجدير بالذكر أن القراءات في الميادين الأخرى مهمة بقدر أهمية القراءات في الاختصاص نفسه، يعتبر تنويع الثقافة العامة أمرا مهما جدا من زاوية الكشف المبتكر، يكون المبتكرون في معظم الأحيان ممن يملكون ثقافة عامة غنية، توفر هذه الثقافة العامة فرصة لكشف علاقات جديدة ومجالات مشتركة بين ميدان الاختصاص وميادين الثقافة العامة الأخرى، وهو أمر تؤكد عليه تعاريف الابتكار والإبداع.

والقراءات في علوم أخرى من غير الاختصاص مهمة لأنها تثير الابتكار والإبداع والكشف لدى الفرد، ذلك لأن الفرد يستطيع أن يستعير شيئا ما كان قد استخدم بنجاح في علم معين ويطبقه في علم آخر، وتأريخ الكشوف مليء بمثل هذه الأمثلة، ولما كان علم الفيزياء أسبق العلوم تقدما وأرسخها استقرارا، فقد استعار العلماء منه طرائق بحثه، واستخدموها في علوم أخرى أحدث منه نشأة وأقل منه استقرارا.

يتساءل بابانك (Papanek, 1978: 131-132) في ميدان اختصاصه التصميم، الذي يحتاج الى الكثير من الابتكار والإبداع، عن كيفية تطوير تصميم معين، مشيرا بذلك إلى نوع من الإجماع الموجود في المدارس ومحلات العمل، سواء في مجتمعه أو غيره من المجتمعات، يتضمن هذا الإجماع فكرة مفادها أنه لابد للمصممين والطلبة من أن يطلعوا على علوم أخرى من غير الاختصاص، وبذلك يمكنهم نقل مفاهيم العلوم الاجتماعية وعلوم الحياة وعلم الإنسان والسياسة والعلوم المشابهة إلى ميدان التصميم.

يطلق أبستين (Epstien, 1996, 78) على تنويع الثقافة اسم طريقة التوسيع (broadening) ويرى بذلك أن مشكلة التربية التقليدية تنبع من عدم تخصيص هذه التربية الوقت الكافي للابتكار، رغم أنها تتضمن مواضيع في الثقافة العامة.

** القراءة المبتكرة، هي المؤشر الايجابي للمستقبل.

تتضمن ثقافة المجتمعات الأخرى أهمية بالغة في استعارة أشياء، كانت قد استخدمت بنجاح في مجتمع معين، لكي تستخدم في مجتمع آخر - تتضمن هذه الاستعارات جانبين مهمين لا يقلان أهمية عن بعضهما البعض - الجانب الأول مادي، والجانب الثاني معنوي، تعتبر استعارة الجوانب المادية أسهل من استعارة الجوانب المعنوية، تلقى الاستعارات المعنوية ردود فعل اجتماعية، وخاصة إذا كانت تمس المعتقدات والعادات والتقاليد والأعراف والقيم الاجتماعية الراسخة.

تلعب وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة اليوم من راديو وتلفزيون وكومبيوتر إضافة إلى القراءات دورا مهما في إغناء ثقافة الفرد العامة من كلا الجانبين المادي والمعنوي، تحقق الأفلام الوثائقية التي تبث من قنوات التلفزيون هذا الهدف خير تحقيق، تغني المناقشات والمؤتمرات والندوات العلمية التي تقام في الجامعات، وتنوع الثقافة العامة للمشتركين من غير أهل الاختصاص.

قراءة في الاختصاص :

كانت الفلسفة في سابق العصور أم العلوم، وتضم بين أجنحتها العلوم كل العلوم، وكان الفيلسوف بذلك عرافا يفتي في كل شيء. ومع نشأة المدنية الحديثة فقد تكونت علوم جديدة، وانسلخت هذه العلوم شيئا فشيئا عن أمها الفلسفة واستقلت بنفسها، وأضحى لها علماء مختصون فيها يتولون أمر نشرها والإفتاء فيها.

المدنية الحديثة عبارة عن تراكمات علمية بالغة تمخضت عن أعمال شاقة ساهمت فيها نخبة كبيرة من العلماء، من كل لون وعرق وجنس، منذ بدء التأريخ وحتى اليوم، ولهذا السبب لا يمكن أن تنسب هذه المدنية الى شعب أو مجتمع أو عرق دون غيره، فهي ملك الكل وللكل. لقد توسع العلم نتيجة هذه الجهود المبذولة توسعا هائلا منقطع النظير. وقد لعب التطور التكنولوجي ووسائل الاتصال دورا كبيرا فيما يسمى بالانفجار المعرفي الذي يعيشه الإنسان في هذه الأيام. وحسب هذا الانفجار المعرفي فإن العلم، وأي علم، إنما يضاعف نفسه في كل بضعة من السنين، وتتقلص أعداد هذه السنين كلما تركنا الماضي وتوغلنا في المستقبل، لقد ظهرت نتيجة هذه الجهود الجبارة في مجالات جديدة، وتشعبت اختصاصات دقيقة جدا لم تكن معروفة من ذي قبل.

القراءة في مجال الاختصاص للتعمق ضرورة مهمة من أجل التقدم في هذا المجال المعين، يحتاج هذا الأمر إلى قراءة الإنسان في مجال الاختصاص لما فيه الكفاية، بحيث يمكن أن يكون مختصا في هذا الميدان، يساعد التعمق في هذه القراءات المختص على أن يساهم هو الآخر شخصيا في تطوير المواد التي يقرأها، تستهدف هذه القراءة الاستفادة مما توصل إليه العلم بجهود العلماء الآخرين في بقاع مختلفة من العالم، ولذلك يستغني من أمر تكرار ما قاله أو فعله الآخرون، وبالتالي يتخلص الإنسان من تكاليف كشف أمريكا مرة أخرى، تؤدي القراءة من التعمق في العلم بالتالي إلى تطوير الأفكار التي جاء بها الآخرون، والمساهمة الفعالة في إضافة أشياء جديدة إلى هذا العلم، ودفع عجلة المدنية الإنسانية بالتالي خطوة أخرى إلى الأمام.

أنواع القراءات :

توجد هناك أنواع عديدة من القراءات المختلفة:

القراءة الاعتيادية والقراءة السريعة:

القراءة الاعتيادية هي تلك القراءة التي تتم بالسرعة الاعتيادية المعروفة للجميع على أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر السرعة وانفجار المعلومات،

ولا يملك الإنسان العصري من الوقت ما يكفيه لنهل العلوم الغزيرة، ولهذا السبب فقد كانت هناك حاجة ماسة إلى القراءة السريعة التي يتم فيها التركيز على الأفكار أكثر مما يتم فيه على الكلمات المكتوبة، يركز في قراءة العلوم الأجنبية على أواسط الصفحة، غير أن تراكيب اللغات الأجنبية تختلف عن تراكيب اللغة العربية، تركز تراكيب الجمل في اللغة العربية على الأفعال التي توضع في بدايات الجمل على الأكثر، لهذا ينصح القارىء بالتركيز على هذه الأفعال، والمرور على باقي الجمل بسرعة خاطفة.

القراءة الصامتة والقراءة الصائتة:

القراءة الصامتة هي تلك القراءة التي تتم بالنظر الى الكلمات، وتحريك الشفاه أو دون تحريكها، دون إفساح المجال للآخرين لسماع ما يقرأه الإنسان، أما القراءة الصائتة فهي تلك القراءة التي يتم فيها إخراج ألفاظ المواد المقروءة بحيث يمكن سماعها من قبل الآخرين أو الشخص نفسه، تتميز القراءة الصامتة بكونها مريحة لمن يحيط بالشخص، وغير متعبة بالنسبة للفرد نفسه، أما القراءة الصائتة فإنها تتميز بسماع ما يقرأ، إضافة إلى رؤية الألفاظ المكتوبة، تكون المواد التي تقرأ بهذه الطريقة من هذا المنطلق أكثر ترسيخا في الذهن لاشتراك حاستي السمع والبصر في التعلم.

القراءة الهادفة والقراءة العابرة:

القراءة الهادفة هي تلك القراءة التي يبحث فيها القارىء عن شيء يهمه وينفعه، أما القراءة العابرة فهي تلك القراءة التي تكون عامة، يمر عليها المرء مر الكرام بقصد الإطلاع، ولا يستهدف منها شيئا معينا بالذات، وكلا من هاتين القراءتين ذات أهمية كبيرة من وجهة نظر الابتكار والإبداع والكشف والاختراع.

القراءة الإستجماعية والقراءة الدقيقة:

القراءة الاستجمامية هي تلك القراءة التي تكون للاستمتاع وقضاء وقت الفراغ ومن اجل الحصول على الثقافة العامة، أما القراءة الدقيقة فهي تلك القراءة التأملية التي يستهدف منها الإفادة من المواد المقروءة توا أو لاحقا، لذلك يقوم القارىء بتسجيل الملاحظات اللازمة والاحتفاظ بها لهذا الغرض للاستفادة منها في المستقبل، هذه الطريقة الأخيرة مهمة جدا من زاوية الابتكار والإبداع، ولا تخلو القراءة الاستجمامية من أهمية لهذا الغرض.

قراءة المرة الواحدة والقراءة المتكررة:

قراءة المرة الواحدة هي تلك القراءة التي تؤدى لمرة واحدة دون تكرار، ولا يهتم الإنسان كثيرا بما يحتفظ منها وما ينساه ويتم في العادة نسيان نسبة منها، قد تكون كبيرة، بعد القراءة مباشرة، تزداد هذه النسبة في العادة بمرور الزمن، أما القراءة المتكررة فهي تلك القراءة التي يتم فيها تكرار المواد المقروءة أكثر من مرة واحدة، وكلما زاد عدد مرات التكرار كلما زاد تذكر نسبة أكبر منها، لا تخلو القراءتان من أهمية من وجهة نظر الابتكار، رغم ما تبدو أن القراءة المتكررة أثقل كفة من صاحبتها.

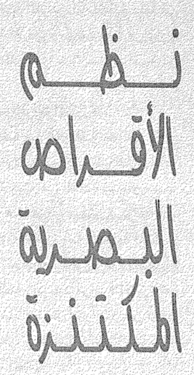
القراءة للحفظ والقراءة للفهم:

القراءة للحفظ هي تلك القراءة التي يقصد منها حفظ المواد المقروءة، وقد يهتم القارىء بالألفاظ اكثر مما يهتم بالمعنى، قد يكون الحفظ آليا، وقد يكون مبنيا على الاستيعاب والفهم، القراءة للفهم هي تلك القراءة التي يركز فيها على المعنى أو المحتوى، وقد يستخدم في إعادة المواد المقروءة ألفاظاً غير تلك الألفاظ التي استخدمت في النصوص الأساسية، وهو أمر له علاقة ماسة بالابتكار، قراءة الفهم أهم من قراءة الحفظ من زاوية الابتكار.

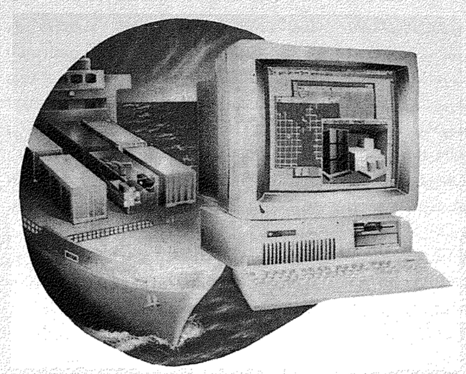
قراءة المكتوبات وقراءة المصورات:

قراءة المكتوبات هي قراءة الكلمات والألفاظ والجمل والتعابير، أما قراءة المصورات فهي قراءة الصور والرسوم واستخراج المعاني المكنونة فيها، أي تحويل الصور والرسوم إلى كلمات وجمل وإفادات منطوقة أو مكتوبة، تحويل الكلمات المكتوبة إلى صور ورسوم، وتحويل الصور والرسوم إلى كلمات مكتوبة تدريب ذو أهمية كبيرة يطور الابتكار والإبداع لدى الأفراد.

(للموضوع صلة)



نظم الأقراص البصرية المكتنزة وأثرها على أنظمة الخزن والاسترجاع المباشر للمعلومات



آفاق معلوماتية .. متجددة، ساحرة

في العدد السابق لشهر ذي الحجة ١٤٢١هـ، نشرت الحلقة الاولى من هذه الدراسة العلمية الهامة..
وهذه الحلقة الثانية/ الأخيرة من هذه الدراسة القيمة..

متطلبات نظام الأقراص المكتنزة:

يحتاج نظام أو وحدة أقراص الليزر المكتنزة إلى مجموعة من الأجهزة والمعدات التي تعتبر من ضروريات إعطاء النتائج المطلوبة من المعلومات المسترجعة، ويمكن تحديد تلك المكونات بالآتي:

١ ـ جهاز حاسوب مايكروي micro computer يشتمل على متطلبات محددة وهي:

(أ) أن يكون الجهاز متوافقا compatible مع نظام I.B.M للحواسيب.

(ب) أن تكون ذاكرة الجهاز Memory بمقدار ٦٤٠ ألف رمز MB (أي KB RAM640) على أقل تقدير، لذا فإنه يفضل زيادة طاقة الذاكرة المقتناة الى مليون أو مليوني رمز لإعطاء مرونة أكبر في التعامل مع المعلومات المسجلة على أقراص الليزر المكتنزة أو لاستخدامها في التعامل مع القواعد الأخرى.

(ج) أن تكون طاقة القرص الثابتة Hard Disk الإستيعابية كبيرة أي من



بقلم : أ.د. سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن
جامعة العلوم والتكنولوجيا – اليمن

٧٠ - ١٢٠ مليون رمز MB. وبذلك تستطيع المكتبة أو مركز المعلومات المعني باقتناء أقراص الليزر المكتنزة والتمكن من استخدام النظام وحاسوبه المايكروي في مكننة إجراءاتها وعملياتها بإنشاء قواعدها للمعلومات الداخلية كقاعدة فهارس المكتبة أو قوائم الدوريات الموحدة أو ما شابه ذلك، إضافة للاستفادة من المعلومات المسجلة على الأقراص.

(د) شاشة واضحة ملحقة بالحاسوب لقراءة المعلومات المعروضة Display Monitor.

(هـ) ملحق قراءة الأقراص المرنة Floppy Disk Drive وذلك لإمكانية استخدام الأقراص المرنة في تفريغ المعلومات عليها، سواء كان ذلك من الأقراص المكتنزة المستخدمة في النظام أو من ذاكرة الحاسوب وقرصه الثابت، مثال ذلك تفريغ المعلومات الخاصة بتعليمات استخدام قواعد معلومات الأقراص المكتنزة، أو تفريغ معلومات تعيين بملحق ملف معين، وهكذا.

٢ - جهاز قراءة أقراص الليزر المكتنزة CD ROM DRIVE وهو يشبه جهاز التسجيل المرئي «الفيديو» ولكنه أصغر حجماً منه، ويرتبط هذا الجهاز عادة مع الحاسوب المايكروي بسلك قصير CABLE إضافة إلى وجود لوحة قصيرة ملتصقة مع جهاز الحاسوب المايكروي تؤمن اتصاله مع جهاز قراءة الأقراص، وتدعى هذه اللوحة Interface-Card.

٣ - جهاز طابعة: ويفضل أن يعمل هذا الجهاز بتقنية الليزر أيضا Laser Printer وذلك لطبع المعلومات المستخرجة من قارىء الأقراص المكتنزة عبر الحاسوب المايكروي بفاعلية أكبر ومرونة طباعية أفضل.

٤ - أقراص الليزر المكتنزة CD-ROMs: أما الأقراص المكتنزة والتي تمثل ركناً أساسيا للنظام فيمكن الحصول عليها عن طريق الإشتراك شأنها شأن المطبوعات الدورية الورقية (الدوريات العلمية)، حيث تزود المكتبة أو مركز المعلومات الذي يتعامل مع هذه التقنية بقرص الليزر مرة أو مرتين أو أربعاً في السنة، أي أن المعلومات الموجودة على القرص تُحَدَّث فصلياً أو مرتين في السنة أو مرة واحدة في السنة.

ومن الجدير بالذكر أن القرص القديم يجب أن يعاد ويسترجع إلى الشركة المجهزة حال استلام القرص الجديد، وذلك حماية لمصالح تلك الشركات والمؤسسات المجهزة للأقراص على ما يبدو.

وهناك عدد من الشركات والمؤسسات المعروفة بتزويدها للأقراص المكتنزة وقواعد المعلومات المسجلة عليها. وكثيرا ما تتكرر الأقراص وقواعد المعلومات المسجلة عليها في أكثر من شركة، مع وجود بعض الاختلافات خاصة فيما يخص البرامجيات Soft ware.

خصائص الأقراص المكتنزة:

للأقراص المكتنزة بعض الخصائص التي يمكن حصرها هنا فيما يلي:

١ - لها قابلية خزن عالية ٥٥٠ (MBمليون رمز)، أو ٢٧٠ ألف صفحة حجم (A4) وهي من الصفات الجيدة الرئيسية التي تتحلى بها هذه المنظومات.

٢ - الإقبال الشديد من قبل المستفيدين والمؤسسات على اقتناء واستخدام مثل هذه المنظومات يجعل إنتاجها عملية روتينية ومربحة إقتصادياً قياساً إلي إنتاج الكتب والصحف. بعبارة أخرى أن الجميع يمكن أن يقتني مثل هذه المنظومات.

٣ - الأقراص المكتنزة تكون صغيرة الحجم ويمكن حفظها في درج المكتب، أي أنها لا تحتاج الى وسائل حفظ خاصة بها.

٤ - إن استخدام الأقراص المكتنزة في استرجاع المعلومات سهل للغاية لكونها تستخدم الحواسيب الشخصية الموزعة في أغلب المكاتب كماديات للعمل.

٥ - كلفة اقتناء واستخدام الأقراص المكتنزة منخفضة نسبياً مقارنة مع كلفة البحث في قواعد البيانات العالمية عن طريق الخط الهاتفي (أو الانترنيت) لكونها تشمل كلفة استخدام قواعد البيانات وكلفة استخدام الخط الهاتفي ناهيك عن عدد مرات الاستخدام.

٦ - يتصف البحث من خلال منظومات الأقراص المكتنزة بالمحافظة على استراتيجيات البحث بعكس البحث في قواعد البيانات العالمية التي لا يتوفر فيها غطاء أمني لعمليات البحث.

٧ - تتميز بسريتها وتحملها للغبار والأجسام الغريبة. بمعنى آخر أنها لا تحتاج الى عناية كبيرة مثل الأشرطة الممغنطة أو الوسائل المايكروفلمية أو الأشكال الورقية.

٨ - إن عمر استخدام الأقراص المكتنزة هو أطول بكثير من مثيلاتها عن الأقراص المغناطيسية.

٩ - إن عملية تهيئة البيانات وتحميلها على الأقراص المكتنزة ليست سهلة وتتطلب تقنية عالية (حاليا هذه العملية محصورة في شركات الإنتاج فقط).

١٠ - إن الحصول على المعلومات المحدّثة عن طريق الأقراص المكتنزة يمكن أن تكون شهرياً أو أكثر من ذلك في حين يمكن الحصول على المعلومات المحدّثة عن طريق قواعد البيانات العالمية باستخدام الخط الهاتفي حال الانتهاء من تحديث القواعد نفسها (أو الاعتماد على الشبكة العنكبوتية العالمية للمعلومات Internet) فمثلا في قاعدة MC Graw-Hill News-Dialog يتم التحديث فيها كل ١٥ دقيقة.

وحول الوضوح فإن أقراص الليزر المكتنزة تعرض المعلومات المسجلة عليها بدرجة عالية من الوضوح كما لو كانت كتاباً مطبوعاً كأحسن ما تكون الطباعة، وقد قام العلماء بقياس درجة وضوح اللقطات على أقراص الليزر مقارنة بالمصغرات الفلمية فخرجوا بنتيجة مذهلة مؤداها أن درجة وضوح المصغرات الليزرية الى المصغرات الفلمية تصل الى ثمانية آلاف مرة، كما قاسوها مرة ثانية في علاقتها بوضوح أشرطة الفيديو وكانت النتيجة أيضا مذهلة إذ تصل الى أربعة آلاف مرة، وتلك الخاصية هي الأخرى من خصائص الليزر التي لا ينافسه فيها وعاء آخر من أوعية المعلومات الحديثة.

النشر عن طريق الأقراص:

نحن نعرف أن النشر الإلكتروني قد دخل مرحلة متقدمة بفضل التكنولوجيا وأضافت الأقراص المكتنزة بعداً جديداً لذلك فيه، مما دعا أغلب المكتبات البحثية في الدول المتقدمة لأن تنال قدراً جيداً من التجهيزات Work Stations لتمكين جمهورها من المستفيدين من متابعة الحركة العلمية حينما أصبحت الأقراص المكتنزة CD-ROMs كمصدر للمعلومات أكثر شيوعاً.

إن نظام إنتاج المعلومات الألكترونية يقود للتنوع في الأقطار المتقدمة حيث تستخدم الوسائل الألكترونية لأهداف متباينة بالتقنية المتطورة، ولكن الدول الفقيرة وجدت المعلومات في زيادة مضطردة ويصعب الحصول عليها وهذا راجع لقلة الدعم والخبرة.

إن نظام الأقراص المكتنزة وفر فرصة غالية للدول النامية لحرية الوصول إلى المجلدات الضخمة من البيانات عن طريق الحواسيب والبرمجيات الرخيصة.

وحول استخدام (الأقراص المكتنزة) لا يوجد هناك أدنى شك بأنها كانت وما تزال وستستمر بقوة تأثيرها في عالم المعلومات بتكنولوجياتها وإقتصادياتها.

ويمكن القول أن الأقراص المكتنزة تعتبر من أعظم التنميات لتزويد الوثائق ، فهل هذه حقيقة؟ نعم إنها حقيقة، فمن أجل تقديم خدمات وثائقية أفضل لهدف

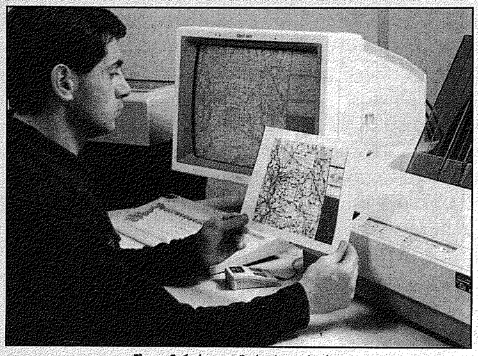
أحسن توجد هناك معايير أساسية ينبغي تنفيذها على جزئيات قبل أن يكون النظام مرضياً وتتمثل في:
«الحاجة - المحتويات - الاستعمال - المتاحية - الاتصالات - النظم - الدعم المالي». وهذا يمكن تحقيقه في عالم الأقراص المكتنزة بكل يسر.

ومن بين الأعمال التي حظيت باهتمام نشر أقراص الليزر المكتنزة منذ البداية، خدمات تكشيف واستخلاص الدوريات، وكذلك من بين الأعمال المميزة ما قامت به شركة نمبوس The British Company Nimbus Records حيث سوقت أول قاعدة بيانات مسموعة مكملة على أقراص الليزر CD-ROMs، محملة (بموسيقى مسجلة، وبيانات مسجلة). لقد استخدمت شركة NIMBUS الدقيقتين الأولى والثانية لحفظ البيانات ويتكون الباقي من عشرات الفقرات الموسيقية المسجلة التابعة للشركة، وأنه بمتابعة استخدام البرمجيات فإن زبائن التسجيلات الموسيقية يمكنهم البحث عن الفقرات الموسيقية التي تثير إعجابهم، وبمرورهم على مشهد يثير الانتباه، يمكنهم الاستماع إليه بنوعية الأقراص (CD) الجيدة. وبالإضافة لذلك تم وضع قائمة لمحتوى كل قرص. وتشمل قاعدة البيانات على معلومات أخرى مثل عروض النقاد الموسيقيين وصور رقمية لغلاف القرص.

فوائد الأقراص المكتنزة للمستفيدين:

للأقراص المكتنزة عدة فوائد ويمكن حصرها بما يلي:

أ - أول هذه الفوائد يكمن في عرض المعلومات،



منظومات معلوماتية جيوبولتيكية حديثة

وبالرغم من أن هذا يختلف من إنتاج إلى آخر إلا أن بعض الأوجه تبدو واضحة.

ب - الفائدة الثانية تكمن في القوة القصوى للنظام، بالرغم من أنه من الصحيح ولو - بصفة عامة - أن قوائم المعلومات المستخدمة تملك نفس المقدرات.

ج - إن غياب وسيط يؤدي الى منفعتين أولاهما، غياب تكاليف الاتصالات يجعل بمقدور المستفيد الاطلاع كما يشاء على الملف. ثانيتهما: من الممكن استخدام الخاصية الممنوحة لإثارة أسئلة خاصة أو عفوية تصاحبها أحيانا نتائج توافقية.

د - هذه الأنظمة سهلة الاستعمال إذ إنه بمقدورك الجلوس لتحقيق نتائج غالبا ما تكون فورية.

هـ - فائدة إضافية توفرها المكتبات وهي القدرة إما على طباعة أو استخلاص نتائج البحث والتي بالإمكان أن يحول دون ذلك الملل الناتج من نسخ أعمال المراجع، وغيرها.

و - هناك موضوع الحصول العام للمعلومات، وهذا له عدة أوجه، فإن الأقراص المكتنزة متوفرة أصلا في المكتبة وعلى الأقل خلال ساعات العمل.

المشروعات والتجارب العالمية:

هناك عدة مشروعات وتجارب عالمية في هذا المضمار سنأتي على ذكر بعضها فيما يلي:

أولا: مشروع أدونيس ADONIS:

بدأت فكرة مشروع أدونيس في عام ١٩٨٠م باتفاق مبدئي بين كل من الشركات:

1. Elseiver North Holland.
2. Pergamon Press.
3. Black - well Scientific Publishers.
4. Springer Verlag.
5. John Wiley and sons.
6. The Academic Press.

على إمداد إصدارة من دورياتهم العلمية الطبية بشكل قابل للقراءة الآلية Machine Readable Form الى مركز تجمع لطبع أي مقالة في هذه الدوريات للإعادة بين المكتبات أو البحث. هذا من جانب، ومن جانب آخر تحول بعد الطبع إلى اثنى عشر موقع اختبار، وغالبا تخدم المكتبات كمراكز لتجهيز الوثائق.

إن مشروع أدونيس للتزويد بالوثائق يقدم كل المقالات المنشورة في (٢٢٤) دورية طبية بيولوجية، وهذه بدأت تنشر حاليا على الأقراص المكتنزة باستخدام تكنولوجيا المعلومات Scanning Technique في نظام يعرف بنظام أدونيس الثنائي (نظام المراجع للمقالات + نظام التزويد بالوثائق)، ويهدف إلى:

١ ـ ايجاد وسائل أسرع لتناول المقالة العلمية.

٢ ـ تقليل التكلفة واقتسامها بين الناشرين والمكتبات.

٣ ـ نشر نقاط تجمع للمشروع في العالم كله، وليس العالم المتقدم فقط لتسهيل التناول.

٤ ـ انشاء شبكة عالمية للإعارة بين المكتبات للمقالات العلمية.

٥ ـ تقليل وقت توفير المقالات حيث توفرها قواعد المعلومات العالمية بعد حوالي ٣ ـ ٦ أسابيع من اعتمادها للنشر. ويتم العمل على النحو التالي:

ـ تحليل محتوى الدوريات العلمية بشكل ببليوغرافي فقط، وذلك كل أسبوع في قاعدة المقتبسات الطبية (E.M) بهولندا، ويوضع رقم على كل مقالة يمثل الرقم في قاعدة أدونيس (ISSN + رقم سنة المجلة + رقم مسلسل).

ـ يرسل الكشاف في شكل مقروء للآلة (ASCII FORM) في مكتب فحص الوسائل ببريطانيا حيث تفحص محتويات المقالات.

ـ توضع المحتويات والكشاف بشكل أسبوعي على قرص رئيسي منتج من قبل شركة فيليبس في هانوفر وتعد نسخ منه للتوزيع على نقاط المشروع في العالم.

ـ عند استلام هذه النقاط لنسخها تقوم بقراءة الكشاف وتجميعه على كشاف الإحاطة الجارية للمشروع للمقارنة باحتياجات المستفيدين.

ـ المدة من استلام الدورية المطبوعة حتى اعداد نسخة القرص المكتنز لنقاط التوزيع هي أربعة اسابيع (أسبوع للتكشيف، أسبوع للفحص، واسبوعان لإنتاج القرص المكتنز).

ـ كل محتويات الدوريات متاحة عدا الإعلانات.

ـ سيكون للمشروع عدة محطات منتشرة في أنحاء العالم (تصل كلفة المحطة التالية حوالي ٢٥,٠٠٠ ألف دولار).

مستقبل مشروع أدونيس:

وفقا لمقالة كتبها كورتيز U.Korwitz كان من المقرر أن يتوقف المشروع هذا خلال عام ١٩٨٩، وقد تساءل كورتيز في وقتها هل سيكون هناك برنامج آخر؟ وأشاد في مقالته أن أدونيس يمكنه أن يكون منهجا لتجهيز الوثائق منافسا لمكتبات العالم التي تقوم بذلك، وسيتأثر بعمق التطورات التكنولوجية:

ـ مقدمة الحواسيب الشخصية المستعملة الآن

سوف لن تلائم متطلبات المستقبل مع عدادات السرعة (MH232) أو أكثر.

- التحسينات في البرامج الإلكترونية من أجل التعجيل بالبحث وطبع الاجراءات المتضمنة لمهام ووظائف متعددة.

- تطوير تكنولوجيات مستودعات ضخمة جديدة ذات مقدرة هائلة أكثر من الأقراص أو الإسطوانات المركبة (معدلات الضغط الأفضل وحدها سوف لن تكون كافية أو فعالة)، ولا ندري هل يعني هذا ارتداد أدونيس للأقراص ذات الأثني عشر بوصة؟!

- شبكة عمل أدونيس: يمكن القول بأن مشروع أدونيس من بين (تسعة مشروعات) حظى بدعم أوروبي كامل منذ بداية الثمانينيات للتخطيط وتشجيع الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات الجديدة، وذلك بعقد الندوات واللقاءات وتقديم الدراسات وتنمية المشروعات والبرامج من أجل استخدام وسائط المعلومات الحديثة كمشروعات مشتركة بين الناشرين والمصنعين من أجل الوصول إلى مواصفات قياسية أوربية للأقراص المكتنزة، كان من نتائجها نزول الأقراص المكتنزة الى السوق بدءا من الأقراص المحملة بالقوائم الببليوغرافية - المستخلصات.. الي المحملة بالنص الكامل كالقواميس والموسوعات ... الخ.

هذا على المستوى الأوروبي، أما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية فهناك العديد من المشروعات من ينها:

مشروع ملف الكتاب:

Bibliufile

قامت شركة The Library Corporation باستخدام Bibliufile Production System قاعدة معلومات قوامها ٤ر١ مليون تسجيلة من تسجيلات مارك لمكتبة الكونجرس لكتب ودوريات باللغة الانجليزية مختزنة على قرص مكتنز نوع ٢٥ر٤ بوصة. وهدف هذا المشروع الى نشر النسخة الأم ونسخ التوزيع في الولايات المتحدة، وحُمّلت تسجيلات مارك عن سنة ١٩٧٩ على أحد القرصين، أما التسجيلات اعتباراً من عام ١٩٧٥ فقد حُملت على القرص الثاني. وأعيد تجميع قاعدة المعلومات من جديد وجرى الإحلال فعلياً مع تجديد وتحديث شهري للمعلومات. ومن خلال التحديث الشهري أعيد إصدار الأقراص فصلياً فقط، أما المشتركون فإنهم تلقوا التجديدات الخاصة بالقرص الثاني فقط للشهور التي واكبت التحديثات الفصلية. وكان هناك قرص ثالث لملفات مارك باللغات الأجنبية وملفات المواد غير المطبوعة (وعنت خطة مكتبة الكونجرس هذه استعمال الأقراص المكتنزة CD-ROMs لتوزيع فهارسها للبيانات). وتم الاسترجاع، وفق هذا النظام عن طريق رقم بطاقة مكتبة الكونجرس أو الرقم الدولي الموحد للكتاب أو الدورية، وكذلك بعنوان العمل، أو الكلمات الدالة فيه، وأيضا عن طريق المؤلف: العنوان. وفي الحالة الأخيرة كان النظام المستخدم يسمح بثمانية حروف من الاسم الأخير للمؤلف، والحرف الأول من اسمه الأول وحتى (٣٠) حرفا أساساً من حقل العنوان.

مشروع مارك المتوسط :

MINI MARK

قامت شركة LIBRARY SYSTEMS & SERVICES INC. بمشروعها المسمى فهرس مارك المتوسط (Mini Mark Cet) الذي أتاح استرجاع معلومات محملة على قرص ليزر ١٢ بوصة. حيث تم انتاج القرص الأم ونسخ التوزيع في مصانع (3M)، وضم القرصان معا ٢ مليون تسجيلة من مارك مكتبة الكونجرس للكتب والروايات بلغات مختلفة. كان القرص الأول يشتمل على ٥ر١ مليون تسجيلة (مدخل) مارك بعدد من الصفحات يصل الى ٩٠٠ر٥٢ صفحة، أما الثاني فكان يضم نحو ٦٠٠ر٠٠٠ مدخل مارك بعدد من الصفحات ٢٧ر٠٠٠+٠٠٠ر١٧ وكشاف للمعلومات.

وتم تحديث القرصين مرتين في الشهر، والقرص الثاني هو الذي يعاد إصداره ويترك الخيار لمستخدمي النظام ليقرروا ما إذا كانوا يريدون التحديث كل أسبوعين أو ينتظرون الدورة الفصلية.

هذا ولقد قدمت الشركة لعملائها من مستخدمي مارك المتوسط قاعدة معلومات إضافية ضمت: تسجيلات مكتب الطبع الحكومي في الولايات المتحدة، ومارك مكتبة الكونجرس للأفلام والموسيقى والخرائط.

ونظام مارك المتوسط هذا أتاح استرجاع التسجيلات الببليوغرافية عن طريق رقم بطاقة مكتبة الكونجرس ومفتاح العنوان: المؤلف، وأتاح النظام طبع البطاقات وملصقات كعوب الكتب حسب الحاجة.

مشروع شبكة المكتبات الغربية

Western Library Network (WLN)

استعملت هذه الشبكة التمويل الذي تلقته من FRED MEYER CHAUTABLE لتطوير نظام الأقراص المكتنزة الذي اعتمد على معلومات الفهارس الأولية. وعرف هذا الانتاج بـ (LASER CAT) واشتمل على ثلاثة أقراص محملة بمقدار (٢٫٠٠٠٫٠٠٠) مليون تسجيلة ببليوغرافية من مصدر معلومات (WLN) كما هو مستعمل حديثاً في مكتبة الكونجرس.

مشروع

THE OHIO COLLAGE LIBRARY CENTER

إن مشروع مرصد معلومات مكتبات الكليات بأوهايو من أنشط مراصد المعلومات في استخدام تكنولوجيا المعلومات المتطورة. ومن بين أنشطته ادخال نظام الأقراص المكتنزة لاسترجاع المعلومات. إذ أن بحث (CD450) الذي بدأ كمشروع طوّر الى حد أن نتائج الأقراص المكتنزة أصبحت في متناول المستفيدين.

إن بحث (CD 450) هو نظام استخدم الحواسيب الصغيرة واعتمد على استرجاع البيانات الببليوغرافية من الأقراص المكتنزة. وحالياً توجد ثلاثة أصناف من القواعد الببليوغرافية وهي متوفرة للبيع في أقراص مرتبة متعددة المواضيع: التعليم، الزراعة، والعلوم، والتكنولوجيا. وكل من هذه المواضيع المرتبة تحتوي على قاعدة معلومات مرجعية، بكلا الإتجاهين، الإستشهاد المرجعي الجاري والراجع، والتخصص الموضوعي باختيار مقيم للوثائق من شبكة OCLC الموحد، وكل وحدة من هذه القواعد محدثة وفق أساس قياسي.

مشروع المكتبة الوطنية الطبية الأمريكية:

لمركز ليستر هيل للإتصالات الطبية الحيوية سجل حافل في تطوير تكنولوجيا أقراص الليزر. فبالاضافة إلى انتاج أقراص ليزر تجاوبي تجريبي لتدريب وإشراك القراء في المكتبة الوطنية الطبية، والعديد من أقراص الليزر التعليمية، فقد قاد المركز عمليات بحث مبكرة في نشر المعلومات الرقمية على أقراص الليزر. كما استطاع استطلاع تكامل هذه الأقراص مع أنظمة استرجاع المعلومات والأنظمة التعليمية الشديدة التعقيد.

لقد قام المركز بتجربة رائدة في انتاج قرص ليزري تجاوبي لإعلام الزائرين بالمقتنيات والخدمات والعاملين والمباني، واجراء التسهيلات في المكتبة الوطنية صاحبة التأريخ الحافل. وكان من بين الاعتبارات الهامة التي وردت في القرص تفصيل استخدام الكلمات الدالة لاسترجاع المعلومات المسجلة على القرص على افتراض أن معظم الزوار ليس لديهم معلومات مسبقة كافية عن المؤسسة وخدماتها، وكذلك تأسيس النظام بحيث يستخدم آليا (كلية) دون حاجة إلى أدلة أو كتب عمل مساعدة مطبوعة، وكذلك تطوير أجهزة قياسية لتيسير وتصميم الإفادة من النظام. وقام نفس المركز باعداد وتطوير قرص ليزري تعليمي في العلاج الطبي والأشعة وتكنولوجيا الأسنان وكلها لاقت نجاحاً ملحوظاً.

وفي الوقت الحاضر فإن آراء المستفيدين في

الدول النامية حول الأقراص المكتنزة المحملة بقواعد المعلومات الطبية غير المتوفرة طالما أن تكنولوجيا المعلومات هذه جديدة عليهم. وعليه فالردود الإيجابية للمستفيدين لقواعد المعلومات الطبية على الأقراص المكتنزة أتت من الدول المتقدمة. ولعلنا ننقل هنا نتيجة احدى الدراسات التي استمرت ٦ أشهر، في مكتبة UCAL الطبية في الولايات المتحدة الأمريكية من Cambridg Scientific Abstratcs لحركة المعلومات الطبية. حيث أثبتت بأن ٨٣٪ من الإجابات أقرت بسهولة تعليم النظام، وسهولة استخدامه، و١٣٪ منهم وجدوا صعوبة في استخدامه، وخارج هؤلاء ٦٥٪ لم يستخدموا قط البحث بالحاسوب من قبل، و٣٢٪ لديهم خبرة بالبحث على الخط المباشر. ووفقاً لرضى المستفيدين فإن ٥٠٪ منهم شعروا برضاهم ببحوثهم، و٣٠٪ عبروا عن عدم رضاهم. إنه من المدهش حقاً ملاحظة أن ٨٥٪ من هؤلاء غير الراضين استمروا في قولهم بأنهم سيستخدمون النظام ثانية، و٦٣٪ منهم ذهبوا الى الإقتراح بأن المكتبة ينبغي أن تتزود به.

المصادر العربية:

١ ـ أ.د. سالم آل عبد الرحمن: «تكنولوجيا المعلومات: آفاق لمستقبل واعد»، عمّان ١٩٩٧.

٢ ـ شوقي سالم: «تقنية الأقراص الضوئية المضغوطة CD-ROMå المجلة العربية للمعلومات ع ١٠، ١٩٨٩ ص ٥ ـ ٢٩.

٣ ـ عامر ابراهيم قنديلجي: «استخدام أقراص الليزر المكتنزة CD-ROMs في التعامل مع مستخلصات علوم المكتبات LIAS ـ وقائع بحوث المؤتمر العلمي الثامن للمعلومات، بغداد ١٩ ـ ١٩٨٩/١٢/٢١، ص ١٢٠ ـ ١٣١.

٤ ـ فريال الفريح: «خدمات المعلومات المتطورة في ظل النظام الآلي المتكامل»، التوثيق الإعلامي مج ٨، ع ١ ، ١٩٨٩، ص ٥٧ ـ ٧١.

٥ ـ أ.د. سالم آل عبد الرحمن: «قبضة المعلومات الديناصورية.. وقائع وآمال» قيد النشر.

٦ ـ أ.د. سالم آل عبد الرحمن: «هرم المعلومات .. معجزة انسانية خالدة» قيد الإعداد.

المصادر الأجنبية:

١. S.A.M Al-Abdel Rahman: "Information: Unsurpassable Vector" Infor. Yokohatu Inst. Japan-1998. PP.20-31.

2. S.A.M Al-Abdel Rahman : "Nation and glimpse of hope" To be published.

3. S.A.M Al- Abdel Rahman: Riffraff: Upon humerous change" Un published.

4. Libian Madren "Introducing CD - ROM in a University Library - Problem and Experience" A paper Presented to IFAL General Conference Stoblem: 1990.

5. Martha E. Williams (Editor): "Annual Review of Information Science and Technology" - ASIS - Vol. 1990 PP 341 - 345.

6. Medical libraries: "Keys to Information Proceeding of the 6th International Congress on Medical Librarianship and the Pre- Congress" Seminar, New Delhim 24- 28, Sept, 1990.

7. Nick Hampshire: "Drive Time Aselection of some of Today's Moreintriguing CD-ROM disks including one about cows", personal computer world, may 1990 PP 220 - 223.

8. Niels Mark. "CD-ROM" Program and Projects Supported by the Commission of the European Community (CEC)", A paper Presented to IFAL General conterence Stockholm: 1990.

9. Pamela Q.J. "Optical Disc Applications in libraries" library Trenda, Vol. 37,No. 3, 1989 PP 326-342.

اسم العدد	تاريخ صدوره
الفـــن	شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
الأمن والأمان	شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة	ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
الثقافة العربية	شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
الدعوة والدعاة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
الأثر والآثار	رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
المبادىء البناءة والدعاوى الهدامة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
العادات والتقاليد	رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
مناهل الاشعاع الاسلامي	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٩هـ
الاستشراق والمستشرقون	رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
مكة المكرمة .. المقام والارتحال	ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
الابداع والمبدعون	شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
الحديث النبوي والقدسي.. رواية ودرايه	ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
القرآن الكريم.. الهدي والاعجاز	ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري	شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
المدينة المنورة.. دار الهجرة ومأزر الايمان	ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية	شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
القدس .. عروس المدائن	ربيع الاول والثاني ١٤١٤هـ
العمارة والمدينة الاسلامية.. عطاء ومدلول	جماد أول وجماد ثان ١٤١٥هـ
النقد - والنقاد	شوال والقعده ١٤١٦هـ
الجغرافية والجغرافيون	شوال والقعده ١٤١٧هـ
المملكة العربية السعودية فى مرآة المنهل	شوال والقعدة ١٤١٩هـ
الاسرة والمجتمع	شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
التراث المعماري في الحضارة الإسلامية	شوال والقعدة ١٤٢١هـ



« متوفرة لمن يرغب فى اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جُدة)

ماذا
بعد الانفصال ؟!!

الخوارزمي في
دهاليز ميكروسفت

الهجرة

عنق الزجاجة

أوراق
زوجية

لكن

مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تخاطب عقل المرأة
ووجدانها

هن

١٢٩



ماذا بعد الانفصال؟!!

الزواج السعيد يظل أمنية غالية في اعماق كل أم يغذيها مرور الأعوام فتنمو مع نمو الأبناء والبنات وتتزامن مع مراحل تدرجهم من الطفولة الى الشباب.. تظل هذه الأمنية وذاك الحلم رجاء نتضرع الى الله تعالى أن نسعد به واقعاً ملموساً ملؤه السعادة والطمأنينة ـ ونظل نحلم به دون ملل وبمثابرة تمدها بها مشاعر الأمومة في قلوبنا وعمق محبتنا لأبنائنا أو بوجه خاص جداً مع عمق المحبة والقلق على بناتنا اليافعات.

لا تزال كل أم تبث ابنتها حلمها الرائع وامنيتها الغالية: أن تراها عروساً سعيدة في مملكتها الآمنة تظلها رعاية زوج كريم ورجل كفؤ تنقل إليه الأمانة بكل الثقة وتضطرد في بيته الحماية والاحتواء والمحبة.

وقد لا نفاجأ بالاستنكار يغلفه الخجل من بناتنا حينما نلح عليهن بهذه الرغبة أو هذا الأمل.. فنقبل طائعات تجاهل هذا الموضوع الى وقت آخر أو مناسبة سعيدة عند الآخرين توفر لآمالنا فرصة أخرى للتعبير الذي قد يتدرج ويتطور الى النجاح.. واعلان يغلفه الحزم بوجوب التفكير في هذا الأمل الذي لا يخالف واقعاً مألوفاً كونه سنة الله تعالى في خلقه، وهو أيضاً الوضع الطبيعي لاستثمار العمر والشباب والامتثال للقانون الإلهي لإعمار الكون على مر الزمن.

فالزواج ليس بحد ذاته هو الهدف إلا اذا تكاملت عناصره لتحقيق ما هو أهم وأعمق كنتيجة تالية له وكنظام اجتماعي شرعي لا بديل عنه للعلاقة الشريفة بين الرجل والمرأة.

زواج مستقر تحتويه المشاعر الكريمة والأحاسيس الدافئة، تواجه صقيع التقلبات الأسرية.. زواج يضمن بشكل معتدل ومعقول الأمن والسكينة للزوجين، وتستقر مشاعرنا أمناً واطمئناناً، وقد غدت الفتاة الغضة والعروس الجميلة والابنة العزيزة جوهرة تصان عزاً واحتراماً محاطة بسياج الحماية والرعاية.

انها غاية عظيمة وأمل غال نسعى لتوفير كل أسباب نجاحه منذ تربية الأبناء ونحن نغرس فيهم كل خلق كريم وكل احترام للقيم وكل تطبيق سلس وعفوي للشرع والأخلاق كعوامل وثوابت تتركز عليها بيوت حديثة النشأة تتطلع الى كل عنصر وكل سبيل لحمايتها من الأعاصير والمشاكل الإنسانية الواردة والمتوقعة وبشكل واقعي في أي منزل وبين أي اثنين يجمعهما رباط مقدس وتتحدد علاقتهما معاً قوانين وتوجيهات.. وإرشادات علاجية متحملة اذا ما اعترى هذا البناء الضعف ونخرت الأوجاع كيانه وصلابته، ولا نزال نغرس في نفوس بناتنا العزيزات أهمية أن تحافظ المرأة على منزلها وتسعى جاهدة ومجاهدة في رباط لا يلقى لها سلاح في سبيل أن تدوم هذه الامتيازات وتستمر هذه المكاسب وحتى لا ينهدم البناء ولا يتفرق الشمل ويشقى الأحباء.

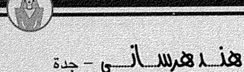
ونظل كأمهات نمد بناتنا بالنصح وبمقادير تناسب كل حالة وتتلاءم مع كل معضلة تواجه الفتاة في حياتها الزوجية وتهدد ارتباطها بزوجها، وتظل كذلك بكل حرص واصرار خوفاً من ذلك المصير الذي يتهدد الفتاة اذا ما تحدتها المشاكل وغلبتها المصاعب.

الانفصال ـ الرغبة في فصم العرى .. حل المواثيق والعهود .. والتنازل بكل اقتناع عن مكاسب الأمس وحلم الماضي ذلك الحلم الجميل.. الذي نتنازل عنه حينما تقايضنا السلبيات بالكرامة والكبرياء!

ذلك الحلم ينتهي ويتبدد .. ونسعى في حالات كثيرة الى وأده! عندما تختلط المفاهيم وتكثر التحديات وتستفزُّ المشاعر.. وتصبح الفتاة أو الزوجة على جرف الهاوية، هذه الهاوية قد تكون أقسى من المعاناة وأعمق من الهزيمة ولكن لا خيار.. لا أمل .. لا بصيص ضوء.. في هذا الجو الحالك بظلمات القسوة .. وجور الظلم.

عندها لا خيار للنفس الحزينة سوى ركوب الصعب ومواجهة الأعاصير..

هذه هي المرحلة التي أريد الوصول الى أن نتطرق اليها ونستشف لها بعض الحلول ونحاول أن نلقي للغريق في خضمها الهادر طوق نجاة يسعفه ينتشله الى بر



هند هرساني - جدة



الأمان الذي يوفر له بعد ذلك النهوض ونفض غبار الفشل عن النفس الثكلى بالهزيمة المتقرحة بالخيبة ليبدأ من جديد.. تحت رعاية اكثر مسؤولية واعظم نفعاً واكثر خيراً وأخلص بذلا في توفير الفرص لبناء النفوس من جديد.. والإعانة الكفؤ التي تأخذ بالأيدي الى جنان وارفة من الطمأنينة واستثمار العزيمة وإكمال المسيرة والانسجام مع الواقع بشكل اكثر كرامة وأعمق فائدة.

ثم ماذا بعد تبدد الحلم؟.. ماذا بعد ذبول المشاعر وانتهاء الحفل واستهلاك المجاملات السلوكية الزائفة؟.. ماذا بعد استنفاد المقاومة؟ ماذا بعد؟.

الصبر على اذلال الزوج وامتهان الكرامة وبتجاهل المشاعر من أجل الأولاد والضياع والمصير المضطرب الذي ينتظر الأولاد والزوجة؟؟.

الصبر الموجع تحت حيثيات أخرى تتنوع بتنوع الظروف واختلاف الأسباب؟ أم العودة الى المنزل القديم حيث مشاعر الأبوين ثرية العواطف ثابتة المحبة نزيهة من كل غرض أو دافع؟؟

ما أجمل مشاعر الوالدين.. انها الأصدق والأكرم في هذه الحياة تحت كل الظروف، دافئة دائماً ومعطاءة دائماً اذا دام الوالدان ولازالت تعطر سماء الدنيا انفاسهما الزكية الحانية..

ما أجمل أن تجد عندهما النفسُ الحزينةُ المهزومةُ الأمنَ والسلوان والاحتواء.. والسكينة..

ام العودة المعدمة الى منزل بائس يشكو فراقهما وينعى رحيل الحنان والحب.. الى حيث الدار الآخرة؟.. ماذا بعد؟.

قد يكون الضياع مصير النفس الحائرة.. حيث تتخبط الخطوات.. وتزيغ الإرادة.. وتضيع الحلول.. وتدفع النفس الحائرة الى مزيد من الضياع.. والتنازلات كم من دافع بائس اضطرت الكثيرات عنده الى القبول بالدرك الأسفل من العيش في سبيل مواجهة الحياة وغموض المصير وقد خلا الغمد من سيف الدفاع والمقاومة وخلت الكنانة من سهام تنتصر على الهزيمة والإحباط لشتى الظروف وشتى الأسباب.. الكثيرات يعاودن الكرَّة ويقدمن على ممارسة التجربة من جديد وإشهار سلاح العلم والعمل لصون الكرامة ولكن الكثيرات ايضاً لا يملكن إلا القليل أو هن معدمات الحيلة لكل أسباب الدفاع والمواجهة فتضرسهنّ الأحداث وتنال منهنَّ الأيام.. وتذوى منهنَّ الآمال!

لهؤلاء البائسات:

أتوخى أن نوفر العمل الشريف والجو الملائم الذي يحتويهن ويحميهن ويمدهنَّ بأسباب مادية محسوسة للاعتماد بعد الله تعالى على أنفسهنَّ للعيش من جديد بصورة أوفر كرامة وأكرم رفداً من اللجوء الى قريب يشعر بثقل استضافة لا نهاية لها لمرأة محطمة معدمة بالإضافة الى اطفال هم الدروع البشرية التي تتلقى نتائج فشل الزوجين عند وقوع المواجهة بينهما وبالتالي هم الذين يشكلون على ضعفهم اضعف الرعايا من خلال مآسي المطلقات مهما تكن أسباب فشلهنَّ في الحياة الزوجية أو الأرامل وصعوبة مواجهة الحياة بدون رجل ولا مادة ولا مأوى.

من خلال ذلك .. يجب أن نبحث لهن عن حل بالعمل الكريم في المجال المناسب أو إعانة لمن لا تقدر على العمل، العمل المناسب في المجال المناسب ينشأ لهذا الغرض تتولاه الحكومة الرشيدة بأي شكل يفيد البلد ويعمل على حماية هؤلاء النسوة البائسات.. أو يتولاه القطاع الخاص بمشاريع مدروسة وافكار مثمرة تعود بالخير العميم المتبادل لمصلحة الطرفين.. كي نرحم هؤلاء الأخوات ونصون كرامتهن واعراضهن.

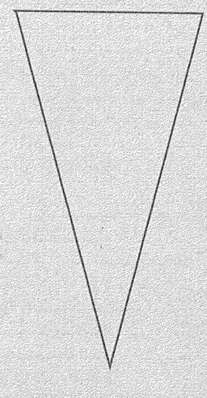
ونعطى الأمل لهن مع الخبز لإعادة النفوس واستعادة الثقة في الغد .. فالعمل الكريم.. الملائم .. المدروس المتوفر.. يهيء لكل بائسة فقدت الأمل.. أو حتى رفضت هذا الدفء المزيف في حياتها الزوجية اذا ما كان الثمن هو كرامتها وكبرياؤها.. أو التذكير بضعفها.. واستمرار اذلالها من أي رجل كان.. الزوج أو الأخ أو القريب!

الخوارزمي في دهاليز ميكروسفت

محمد بن موسى الخوارزمي، رياضي عربي، أول من وضع قواعد الحساب الجبري.. هكذا تعرفه موسوعات أعلام الفكر.

الخوارزمية لفظ مشتق من اسم الخوارزمي يدل على طرق الحساب بالأرقام، وهو يعني الآن مجموعة من الرموز وطرق الحساب العادي أو المنطقي، هكذا يعرف المصطلح علمياً، وتستخدم الخوارزمية Algorithm (بالانجليزية) وAlgorithme (بالفرنسية) في لغة الكمبيوتر للدلالة على منهاج البرمجة.

وفي كتابه الرائع The Road Ahead يقول BILL Gates: «.. ومن أجل تعظيم قيمة العملية الإعلانية، سيتطلب الأمر خوارزميات معقدة»[١] لابد إذن من تشغيل خوارزميات معقدة من أجل جعل الكمبيوتر أكثر كفاءة وفعالية. هكذا يقول مدير ميكروسفت التي تعتبر إحدى أكبر الشركات المتخصصة في برمجيات الكمبيوتر في العالم.



إن الخورزميات التي يفكر «بيل جيتس» في تطويرها بمساعدة الفريق العامل معه، ستفتح آفاقا ليس لشركة ميكروسوفت فحسب، ولكن أفاقا جديدة مذهلة في عالم الاتصال، في عصر الانترنت هذا.

هكذا يصبح الخوارزمي العربي في خدمة شركة ميكروسوفت، وغيرها، تصبح الخوارزمية Algorithme، هكذا يتشوه الاسم حتى يسهل على التكنولوجيين هناك نطقه، وحتى لا يشعر الخوارزمي نفسه بالغربة والاغتراب في دهاليز ميكروسوفت. لا ننسى أيضا الشيخ الرئيس ابن سينا الذي أصبح Avicenne وابن رشد Averoe's.

وبغض النظر عن فرضية «فوكوياما» التي ترى أن الظروف الحالية التي تمر بها الشعوب لا خيار آخر لها إلا الديمقراطية الليبيرالية، علينا نحن المسلمين أن نسأل أنفسنا، وبكل جرأة: ماذا فعلنا لنتخلص من هذا الاحتواء الحضاري؟ وأين نحن من عصر Bill Gates، عصر الطريق السريع للمعلومات؟ ولماذا لم تستطع عبقرية الخوارزمي إنشاء ميكروسوفت في ربوعنا؟ لماذا لم تستطع فلسفة ابن رشد العقلانية أن تحرر عقولنا من أمبريالية الخرافة، من هيمنة هذه الذات التي ما تزال تشرب نخب أمجادها الماضية وهي على عتبة الألفية الثالثة؟.



ولماذا قدرات هذه الذات في تضاؤل مستمر (والدليل على ذلك المشهد الفلسفي، والفكري الشاحب السائد اليوم).



فاطمة بلفضيل - الجزائر

ولماذا الآخر في تطور مستمر؟

أسئلة جريئة بامكانها أن تعيدنا الى نقطة المركز الذي تناءينا بعيدا عنه ورحنا نبحث عن الأسباب الجاهزة المعروفة، فنحن مولعون بتبرير هزائمنا على كل الأصعدة بل إننا على استعداد لتبني النظرية الفكرية التي مفادها أن نجما أطلق عليه اسم Nem-esis تسبب في انقراض مجموعة من الحيوانات، منها الدينصورات، هذا النجم يسمى أيضا نجم الموت Death Star، فإذا حدث أن انقرضنا، فالسبب «نجم الموت» هذا الذي عاد الى نشاطه لا غير!

يقول أستاذ العلاقات الدولية في جامعة كولومبيا David Rothkopf في مقال له بعنوان: In Praise of Cultural Imperialism.

«إن الفرصة أمامنا نحن الأمريكيين، فالولايات المتحدة في مركز يسمح لها ليس فقط بالقيادة في القرن الواحد والعشرين بوصفها القوة (المهيمنة) في عصر المعلومات، بل أيضا بالقيام بذلك من خلال تحطيم العوائق التي تقسم الأمم والجماعات داخل كل أمة[٢].

ويضيف أيضا «إن هذا التمسك بالجدة New-ness هو الذي وضع الولايات المتحدة في المركز الأمثل للتعامل مع عالم أصبحت فيه سرعة التغيير هو التحدي الاستراتيجي الأكبر.

وها أنا أسمع القراء يقولون لي ولكن ألا يدخل هذا الكلام في إطار ذلك الخطاب التبريري الكلاسيكي المعروف الذي يجعل الآخر المهيمن هو دائما سبب مآسينا؟.

وأجيب: إن القوة المهيمنة في عصر المعلومات هي فعلا الولايات المتحدة، والدول الكبرى المصنعة، والأيديولوجية المهمينة هي أيضا إيديولوجية من يملك المعلومات، وما نحن في هذه البيئة الكونية المفروضة علينا، إلا مجرد مستهلكين نهمين «للماكدونالد» في شوارعنا، وقراء سانجين لـ «صدام الحضارات» و«نهاية التاريخ» في جامعاتنا. ذلك ليس لأن الولايات المتحدة أو الغرب بصفة عامة هو الأقوى، لكن لأننا نحن الأضعف. إننا أبينا أن نعيش في الخطر كما يقول نيتشه. رفضنا أن نعترف بهزائمنا، أغرقنا في البحر من قال لنا: يا قوم، إنكم تائهون في مستنقع!.

دفنَّا أفكارنا حين رفضنا تعديلها مع الحقائق المتغيرة التي نعيشها، استسلمنا لاستبداد التراث حينا واستبدلناه بنموذج حداثي مشوه حينا آخر، وهذا كله صنع منا ذاتا «قابلة للاستعمار» بلغة المفكر الجزائري مالك بن نبي.

هل أدركتم الآن لماذا صار Bill Gates سيدا والخوارزمي العظيم مجرد خادم في دهاليز ميكروسوفت؟.

الهوامش:

(١) The Read Aheadكتاب ألفه BILL GATES بمساعدة NATHAN MYH-ROOLD وPETER RINEARSON.

ترجمة الأستاذ عبد السلام رضوان. صدر عن «عالم المعرفة» بالكويت تحت عنوان: المعلوماتية بعد الانترنت (طريق المستقبل).

(٢) ترجم المقال الأستاذ أحمد خضر ونشر بمجلة «الثقافة العالمية» العدد ٨٥ نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٧م.



الفنانة التشكيلية المغربية رشيدة أبو السكر

لمجلة (المنهل)

من الجنوب المغربي ، حيث الطبيعة وتضاريسها تتناغم في لمسة فنية، انطلقت الفنانة رشيدة أبو السكر وهي تحمل فرشاتها في رحلتها المبكرة والطويلة مع الرسم، لوحاتها تنبض بالحياة وتلتصق بالبيئة، وفي نفس الوقت تنفتح على كل الأبعاد الإنسانية الكبرى، في هذا الحوار القصير محاولة للاقتراب من عالم هذه الفنانة المتميز.

*** متى كانت بدايتك مع الفن التشكيلي؟.**

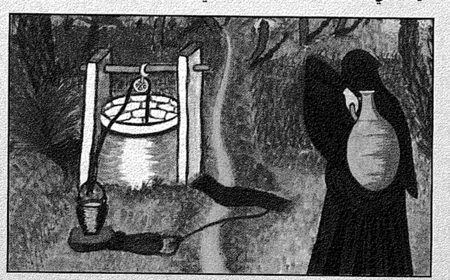
** أعتقد أن بداية اي فنان في أي مجال من مجالات الفن، تبدأ أولا في لحظة اكتشاف الموهبة والميل الفني لديه، مما يتيح له البحث عن الوسائل التي تمكنه من ترجمة هذا الميل وإخراجه إلى الوجود، لقد كانت بدايتي في مرحلة مبكرة من حياتي، وتحديدا منذ السادسة من عمري، عندما امسكت بالقلم والورقة لأحاول رسم ما تقع عليه عيناي من أشياء وموجودات بأشكال بسيطة وتلقائية، قبل أن يصبح الفن هو المرآة التي من خلالها أرى نفسي وأكشف دواخلها وكينوناتها.

*** ما هي المؤثرات والعوامل البيئية أو الثقافية أو الفنية التي أثرت في ميولك الفني في البداية؟.**

** أعتقد أن بداية أي فنان في أي مجال من مجالات الفن، تبدأ أولا في لحظة اكتشاف الموهبة والميل الفني لديه، مما يتيح له البحث عن الوسائل التي تمكنه من ترجمة هذا الميل وإخراجه الى الوجود، لقد كانت بدايتي في مرحلة مبكرة من حياتي، وتحديدا منذ السادسة من عمري، عندما امسكت بالقلم والورقة لأحاول رسم ما تقع عليه عيناي من أشياء وموجودات بأشكال بسيطة وتلقائية، قبل أن يصبح الفن هو المرآة التي من خلالها أرى نفسي وأكشف دواخلها وكينوناتها.

*** ما هي المؤثرات والعوامل البيئية أو الثقافية أو الفنية التي أثرت في ميولك الفني في البداية؟.**

** يصعب تحديد العوامل والمؤثرات في تلك السن المبكرة التي ينشأ فيها الميل الفني، لكن البيئة لها دور كبير في توجيه الفنان ورسم آفاقه الفنية،



فالتأثير الأسري مثلا له دور كبير، وقد وجدت في أسرتي ما حفزني على الاستمرار في هذا المجال.

*** يبدو من لوحاتك أنك غير مرتبطة بمدرسة فنية محددة، هل هذا يعني أنك تجدين حرية أوسع في عدم التقيد بتيار واحد؟.**

** هذا صحيح، فأنا أحاول أن أصوغ أعمالي بشكل تلقائي ودون التقيد بأي مدرسة فنية معينة، لأن ذلك في رأيي يخنق الابداع ويحول دون الابتكار والبحث عن آفاق جديدة، بل ينبغي أن تكون لي رؤيتي الخاصة التي أعبر عنها وأعبر بها عن أحاسيسي انطلاقا من تجربتي الذاتية، ففي لوحاتي أحاول أن أعكس تعدد مصادر الإلهام التي أستقي منها عملي، كما أريد أن أشير إلى أن أقدم وأكبر مشاهير الفنانين التشكيليين لم تكن لديهم آنذاك مدارس فنية يقتبسون منها أو يتقيدون بها.

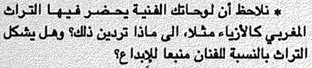
*** كفنانة تشكيلية، هل يمكن القول أن المرأة الفنانة لها قضاياها الخاصة التي تعبر عنها، وبالتالي يمكن الحديث عن فن تشكيلي نسائي؟.**

** الفن رسالة، ووسيلة للتواصل مع الناس، والفرق في رأيي بين الرجل والمرأة في هذا المجال، يتجلى في



أجرى الحوار : ادريس الكنبوري - الرباط

طريقة التواصل مع الآخرين ومع المتلقي، ورغم أن المرأة لها قضاياها الخاصة التي تختلف عن قضايا الرجل بفعل العامل الاجتماعي، إلا أن الأهم هو الكيفية التي تتحدد بها مكونات العمل الفني، وتنسجم فيها الرؤية الفنية الأصيلة المترابطة في نسيج واحد متلاحم ومتناسق لكي يصيب الفنان الهدف الذي يتوخاه في نفسية المشاهد للوحة.



*** نلاحظ أن لوحاتك الفنية يحضر فيها التراث المغربي كالأزياء مثلا، الى ماذا تردين ذلك؟ وهل يشكل التراث بالنسبة للفنان منبعا للإبداع؟**

** أعتبر التراث جزءاً مني، فبحكم نشأتي في منطقة الجنوب المغربي التي هي منطقة زاخرة بالتراث ومجال خصب وغني لكل فنان، ظل هذا التراث جزءاً من لوحاتي، فالفنان ابن بيئته يتفاعل معها ويتأثر بها، لكن لوحاتي أيضا لها ارتباط وثيق بالتراث العربي الإسلامي عامة وليس بالتراث المحلي فقط.

*** تركزين في لوحاتك على المرأة، سواء المرأة القروية أو المرأة الحضرية، ما سبب ذلك؟.**

** رمز المرأة يوحي لي بعدة معان: الضعف، المعاناة، القيود، التضحية.. وكذلك الحرية، السلام، الرقة، الليونة،.. الى غير ذلك من المعاني المعبرة. فهي من أهم مصادر الإلهام التي أسقط من خلالها تلك المعاني وأستطيع أن أعكس عليها ذوقي الفني وابداعاتي.

*** بالنسبة إليك، ما هي الرسالة التي تريدين ابلاغها في فنك ولوحاتك؟.**

** أنا كفنانة أستطيع أن استمتع بالابداع الفني وأرغب في أن تجد لوحاتي صدى في عقل الواقف امامها، تؤثر في وجدانه وجوارحه، وتعبر عن القضايا التي تهمه وتشغله، وتترك أثرا في نفسه وهو يتأملها.

فهذه هي الرسالة التي أعمل على ابلاغها في فني ولوحاتي، وإلا فإنني سأعتبر عملي ليس وسيلة تواصل وتعبير مع الآخر.. بل هو عمل لا يتجاوز شخصي، وبالتالي فهو بدون جدوى.

الهجـــرة

انعام لطفي القدومي - دمشق

(جمع محتشد ينتظر ويمر أعرابي فيسأل).

الأعرابي:

مـا بالُ الناس قـد احـتـشـدوا
هل هذا عــرس أم عــيــد؟

بلال :

بل هـذا جــــمـعٌ منتظرٌ
والـقــادمُ فــذٌّ مــجــدود
خــيــرُ الأكـوان أبو الزهراء
إمــام الرسل المحــمــودُ
من جــاء يحــررُ منْ كــفــر
فـــاللهُ الربُّ المعـــبـــودُ
مـــــا للأصـنام وللأوثان
قـــــرابينٌ أو تـأييـــــدُ
فـــالفكر تحــرّر من شــرك
وتحـــرر من غُلّ جـــيـــدُ
والناس سـواسـيـة أضـحـوا
من آدم كـلٌّ مـــــولـودُ

الأعرابي :

يا صــاح اشــتـقت لقائدكم
فــحــديثك عــذبٌ مــورودُ
هل أنت مـــعــــاونه قل لي
أم أنت وزير مــحــســـودُ

بلال :

لا لــســتُ وزيــراً لـكــنــي
عــبــدُ حــبــشـيٌّ مـصــفـودُ
نجــاني ديني من قـــيـــدي
فكأني الســاعــة مــوجــودُ
إنـا إخــــــوان في دين
مــا ثـمــة بيضٌ أو ســودُ
أسلمت لربي ناصــيـــتـي
منهُ الحُــسنى ولهُ الجــودُ
الخلقُ جــمــيـعــاً قـبـضـتـهُ
وهو المعــبـودُ المقــصــودُ

الأعرابي:

هل هذا القـــادمُ ذو عــرش
حــفَّتْ بالعــرش صناديدُ؟

بلال :

يا صــاح القــادمُ مــفــرشُــه
جلدٌ والليفُ المنضـــــودُ
والثــوبُ البــالي يَرْقَـعُــه
والقــمحُ طعــامٌ مــفــقــودُ
والشـــاة بدار يحلبـــهـــا
والبــردة صــوف مــســرودُ
لا تـوقـــــدُ في بيت نارٌ
فــالتــمــرُ طعــامٌ مــوجـودُ
أدمٌ نـعـــــــلاه بلا دبغ
فــالصــوفُ عليـه مـشــهـودُ
برْذوناً يـركـب أو بغـــــلا
فـــالخـــيـل منالٌ منشـــودُ

الأعرابي:

هـــل هـــذا مَـــلَـــكٌ؟

بلال :

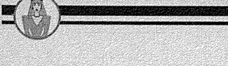
.... بـــــل هـــــذا
بشـــر والدعــوة توحــيــدُ
فــرســالتــه أســمى نهج
وبهـــا قــد بشَّــر تلمــودُ
نســخت إنجــيـــلا توراة
فـــهي القـــرآن المورودُ
إن القـــرآن هو البـــاقي
فـــالخلدُ له والتـــأبيـــدُ
ومـحـمـدُ آخـرُ مـبـعـوث
وشــفــيـع الحـشــر الموعـودُ
والحـــوضُ له ولأمـــتـــه
ومـقـامُ مـحـمـد مـحـمـودُ

الأعرابي:

آمنتُ بخـــــالقنا رباً
فلهُ النُّعــمى والتــفــريدُ
وبأحــمــد آخــر مــبـعـوث
فله حُــبّي والتـــأيـيـــدُ

بلال:

الســاعــة صـرنا إخـواناً
في الدين فـفـرحـتُنا عـيـدُ



عنق الزجاجة

ندا احمد صدوق صافي - الكويت

حيرانُ تبعثرَ في فرق
مصفودٌ في سجن القلق[*]

تمضي الأيام على مهل
والصبر ينازعُ في نزق

فكرٌ مشغولٌ بالأرقام
وبالدرجات .. وبالسبق

سنةٌ كالدّهر تمرُّ به
إنْ مرَّتْ خيراً يستبق

وأماني الدنيا، إن عصفت
ريحٌ عاكسةٌ، تحترق

سنةٌ يقضيها في هَمٍّ
في سهد.. في نوم أرق

يلتهم الصفحات السودا
في نهم ضار للورق

دقاتُ القلب مصعّدةٌ
من غده الغائم في الأفق

هل يحظى بالمطر المنشود
جزاء التعب والعرق

عنقُ القارورة تحشرُهُ
فمتى ينطلقُ من العنق؟!

[*] المقصود: طالب الثانوية العامة.

١١٢٣ـ أبو عواد:

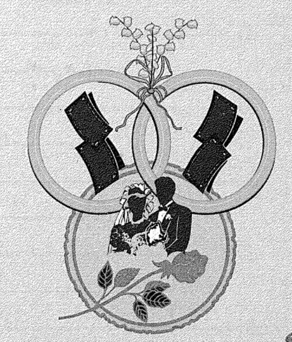
إلى كل حماة.. الى كل حفيدة.. إنَّ المحبة الزائدة لفلذات اكبادكن واحفادكن وما ينبثق عنها من توجيهات.. وهمس .. وخطط .. هذا الكحل.. هو الذي يعمي تلك العيون!!.

١١٢٣ـ أم عمرو:

ارفعوا ايديكم عن الأمهات والجدات من حقهن ان يحببن بناتهن واحفادهن. ثم ان ما اودعه الله فيهن من كنوز الحب والرحمة لا يمكن ان يكون إلا خيراً.

١١٢٤ـ أبو عواد:

قبل ان تندفعي في حكم أهوج.. أو تصريح غير مدروس.. اجيبي على هذا السؤال: لماذا لا تتأزم الأمور بيننا.. إلا بعد كل زيارة لأهلك؟؟..



أوراق زوجية

وثمة سؤال .. لماذا لا يطول لسانك وتتطاولين .. وتتجاوزين.. إلا عند أهلك!!.

١١٢٤ـ أم عمرو:

الزوجه التي تنتظر لتفجر غضبها عند اهلها زوجة تشعر بالغربة والوحدة في بيتها ولا تجد من يفهمها او يسمعها او يتعاطف معها.

١١٢٥ـ أبو عواد:

ينبغي أن يكون مفهومك للاحترام من منظار أوسع.. فلا يكفي يا سيدتي أن تقومين بواجبك كاملا.. وتبدين لي كل الولاء والطاعة!!.. فهذه كلها تتحول الى سراب.. بهذه المقابلة الفاترة لـ «خالتي»!!!

١١٢٥ـ أم عمرو:

الزوجة التي تبدي الولاء والطاعة والخضوع والإنكسار للزوج المغوار لا تملك حرية الإرادة ولا اتخاذ القرار. اذا طلبنا من الإنسان ان يتصرف بصورة صحيحة في المواقف المختلفة علينا ان نعطيه الفرصة ليكون انساناً قادراً على الاختيار والتميز وهذه ليست واحدة من صفات العبيد.

١١٢٦ـ أبو عواد:

تتساءلين عن حرب النجوم.. ويتملكك الضحك عن هذه الحرب.. وما بيننا حرب كواكب ومجرات؟!..

١١٢٦ـ أم عمرو:

ماذا يحدث لو بحث كل من الزوجين عن فلك يدور فيه حول الآخر. هذا الشكل سيمنع وجود فرص المواجهة والشجار.

١١٢٧ـ أبو عواد:

إنني على استعداد أن أحترم مشاعرك.. وأن

أتجاوز بعض الشيء عما يحصل من مشاكل لا دور لك في قيامها.. لكن بشرط أن يكون موقفك خالصاً للحق.. وبدون تحيز.

١١٢٧ ـ أم عمرو:

الاحترام لا يحتاج محاضرات ولا مقدمات وهو يولد الحب والثقة ويجلب الاحترام من الطرف الآخر.

١١٢٨ ـ أبو عواد:

العبرة ليست في باقة الاعتذار!! ولا في لائحة الأسف!! فالعبرة يا سيدتي أن نستفيد من اخطائنا.. ونجدول قائمة المشاكل التي حصلت.. ونحرص كل الحرص على عدم تكرارها في الجداول اللاحقة.

١١٢٨ ـ أم عمرو:

الاستفادة من الأخطاء شيء مفيد جداً على أن يكون ذلك لكلا الزوجين وبدون مغالطة من احد.

١١٢٩ ـ أبو عواد:

ليكن في علمك .. ان الحب شيء ينبع من الداخل.. وأنه لا يأتي إلا طواعية.. واذا اتى.. ولم تخدمه الظروف.. فانه يوشك ان يفتك بصاحبه!!

١١٢٩ ـ أم عمرو:

من هو صاحب الحب الذي يعطي أو الذي يأخذ؟ عموماً الحب يُعْطى ولا يُؤْخَذ من أحد.

١١٣٠ ـ أبو عواد:

نعم جارتنا عندها الحلي.. والمجوهرات.. وأرقى ما وصلت إليه موديلات الأزياء.. و... و... قولي ماشئت.. لكن لا تنسى أنها «أسبوع في بيت زوجها وشهر في بيت أمها».

١١٣٠ ـ أم عمرو:

اعتقد ان مشاكل الجارة مع زوجها ليست بسبب المجوهرات والحلي التى اشتراها لها ولكن الغالب ان لهذه الجارة بعض الجارات ذوات العيون المستديرة وعليها ان تستعيذ بالله كلما رأتهن.

١١٣١ ـ أبو عواد:

نعم .. في حضرة الأهل.. يطيب لي أن اطلب فنجان القهوة من شقيقتي.. وأسأل والدتي عن طبق اليوم.. وأتحول الى طفل صغير.. أطلب من والدي - مصروف اليوم - رغم انني كما تعرفين المعيل (بعد الله) لهذه الأسرة.. وليس من حقك انكار هذا عليّ.. فهكذا كنت قبل أن يظلنا سقف الزوجية.

١١٣١ ـ أم عمرو:

إنصح زوجة هذا الزوج المعيل الذي يتحول الى «عيل» في وجود أبيه وأمه فيطلب من أمه ان تطعمه بيدها ومن ابيه ان يعطيه المصروف ان تمنحه اجازة يعود فيها ليجلس على «حجر» أمه لتكمل تدليله و«تزغيطه» ثم يعود مرة اخرى ليستأنف حياته الزوجية بعد ان يشبع من هذه المعيلة.

١١٣٢ ـ أبو عواد:

أتذكر الأمس بشيء من المرارة.. وآهات لا اراديه تنطلق من صدري.. ليس لأن الرأس قارب بياضه أن ينتصف مع سواده.. وليس لأن اللياقة صارت مترهلة.. بل لأنك كسرت الحواجز.. ورفعت التكليف فأصبحت لا تعطيني من الاهتمام كسابق عهدك.. حتى حين أغضب.. لا ينتابك الجزع.. انني اصبحت في هذا المنزل.. مديراً للتسويق.. و... و... حتى اكياس النفاية أحملها في جنح الظلام.. وماذا بعد؟!.

١١٣٢ ـ أم عمرو:

يقولون في الأمثال «تراعيني قيراط أراعيك قيراطين».

٤٧٤ـ نستر بعضنا :

حدثني صديقي قائلا:

كنت أبعث خادمة فقيرة تشترى لي كيلو من البرتقال في أيام مختلفة، حين تأتى الى المنزل للخدمة في الأسبوع مرة، فلاحظت أنها تحضر كمية من البرتقال تزيد نصف كيلو عن المطلوب والثمن واحد!

وتكرر هذا بصورة لافتة فرأيت أن أتتبع الأمر، فذهبت إلى بائعة البرتقال وهي امرأة فقيرة أيضا، وقلت لها إن (فلانة) تأخذ منك كمية من البرتقال أكثر من الوزن المطلوب، فقالت البائعة في هدوء: فلانة امرأة فقيره، وتربى أطفالا، فإذا اشترت مني شيئا فأنا أعطيها فوق ما تطلب بكثير، نحن الفقراء يجب أن يستر بعضنا بعضا!

لقد ظنت البائعة أن الخادمة تشترى البرتقال لأولادها، فجعلت تعطيها أكثر من حقها ولم ترد أن تشعرها بما تفعل، كيلا تحرجها!

قلت في نفسي حين سمعت هذه القصة! ياالله! بائعة فقيرة لا تبلغ ما يقوم بأودها إلا بالكد والتعب، تعرف المشترية المسكينة فتتصدّق عليها دون أن تحسّ بفضلها، وترى ذلك واجبا عليها يتكرر كلما حضرت للشراء!

وفي الأغنياء من تمد إليهم الأيدى المسكينة سائلة بعض القوت الضرورى، فلا تجد غير الطرد والازدراء! فهل يتعلم الناس؟.



٤٧٥ـ عبد أسود :

كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من كبار الأثرياء والكرماء في صدر الإسلام، وقد خرج يتفقد ضيعة له بالطائف، فنزل على نخيل قوم، وجلس تحت الظل بحيث لا يراه حارس الزرع، وهو غلام أسود، جلس يتهيأ للطعام، وأمامه ثلاثة أرغفة، فدنا منه كلب جعل ينظر إليه، فرمى له رغيفا فأكله الكلب، واستمر ينظر إليه، فرمى له الرغيف الثاني، فإذا الكلب يأكل، وينظر فرمى له الرغيف الثالث، فتعجب عبد الله من عبد يرمى جميع طعامه، ولا يأكل شيئا، فتقدم إليه وقال له: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ فقال ثلاثة أرغفة؛ قال عبد الله: وماذا ستأكل بعد أن قدمت قوت اليوم إلى هذا الكلب؟ فسكت العبد ولم

يتكلم.. فقال عبد الله: أفصح أرشدك الله، فقال العبد يا سيدي إن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب، ولابد أن هذا الكلب جاء من أرض بعيدة، وعليه أمارات الجوع فلما أعطيته الطعام جعل ينظر ويتمنى، فلم استطع أن أمنع عنه طعامي جميعه، وهو ذو روح مثلي يجوع ويتمنى الطعام! قال عبد الله: وماذا كنت صانعا اليوم وقد تكرمت بقوتك على الكلب؟ فقال العبد، أقضي اليوم بدون طعام، وقد تعودت ذلك، ولله الحمد والفضل. فسأله عبد الله قائلا؟ أين سيدك؟ فقال هو في مكان كذا، وهذا النخل نخله، والمكان تحت قبضته، وأنا خادمه.. فتوجه عبد الله إلى سيده، واشترى النخل والعبد والمكان جميعا، وأعتق العبد ووهب له كل ما يحرسه.

لم يكن يظن العبد حين قدّم طعامه للكلب أن إنسيا ينظر إليه، ولكنه عرف أن الله من فوقه يرى وينظر، وقد كافأه ربه حين ألهم عبد الله بن جعفر أن يصنع ما صنع، وهذا جزاء الدنيا وللآخرة أوفى وأجزل.

٤٧٦ ـ ورع وقنوع :

حدث أحمد بن يوسف الكاتب في كتابه (المكافأة) فقال عمن سماه أبا حبيب المقري «ضاقت أحوالى فلم تبق لي إلا جارية أحبها، ومنزلا أسكنه فبعت المنزل بألف دينار وخرجت إلى مكة المكرمة بالجارية، وقلت لها احتفظي بهذا المال واجعليه في حزام تشدين عليه وسطك، فكانت إذا نزلت منزلا أثناء الرحلة، حفرت في خيمتها حفيرة، وأودعت المال وطمتها، حتى يأذن الركب بالرحيل فتأخذ المال وترده الى الحزام في وسطها.

واتفق أن رحلنا معجلين ذات صباح، وكانت الجارية نائمة فأيقظتها للرحلة، فنهضت ونسيت أن تأخذ المال، وفي الطريق تذكرت، فأخبرتني في فزع وخوف، فحار فكرى، وطاش روحي، ولم أدر ما أعمل، ودخلنا مكة المكرمة فحدثتني نفسي ببيعها، فلم يطعني قلبي، فلما رجعنا من الحج، ومررنا بالطريق نفسه، جئت الى المكان وأخذت أبحث عن موضع المال، وأنا أدور بعيني يمينا وشمالا فرأيت غلاما فوق رابية يرعى غنيمات له تقدم إليّ وأنا أكتم ما في نفسي، ولا أريد أن أخبره بشيء، فقال لي: ويحك، ما تطلب؟ قلت: شيئا أودعته هذا المكان ونسيته، فقال: صفه لي، فقلت: كيس أحمر فيه كذا وكذا؟ قال: ومالي فيه إن دللتك عليه، قلت! نصفه، قال فانهض معى وذهب الى الرابية التي كان يجلس عليها، وقدم لي الكيس تاما لم يفتح، فحمدت الله عز وجل، وأخرجت المال، وقسمته قسمين، وقلت له: اختر أي قسم تريد؟ فقال الغلام أرى المال كثيرا، واكتفي بنصف النصف، فقسمت النصف، وقلت له: اختر، فقال وهذا كثير أيضا واكتفى بنصفه، فقسمت الباقى، وقلت له اختر، فضحك الغلام كالساخر، وقال لي ياعبد الله، أين ذهب عقلك؟ أأتركه كله حراما، وأترك النصف حلالا، ونصف النصف حلالا، ثم آخذ شيئا، هذا والله مالا يكون، قلت يا غلام: أنت حرّ أم مملوك؟ فقال مملوك لبعض شيوخ الحي، فأسرعت إلى سيده أرجوه أن يبيعني إياه وأعلمته القصة فقال

أتريد أن تعتقه لفعلة واحدة فعلها معك، وهو عندى منذ عشرة أعوام، وله كل حين فعلة حسنة لا يقدر عليها الحر، اذهب يا شيخ فأنا أعتقه وآخذ أجره قبل أن تحوز عليه!.

٤٧٧ـ مع معن بن زائدة:

قال معن بن زائدة: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أقمت في الشمس أياما، لأسوّد وجهى فلا يعرفنى أحد، وقد حلقت لحيتى وعارضيّ، ولبست جبة صوف غليظة، وركبت جملا، وخرجت عليه لأمضى إلى البادية، فتبعنى عبد أسود يتقلد سيفا، حتى إذا غبت عن الحرس ووجدت نفسى خاليا في الطريق تقدم العبد، وهو شديد قوي، ومعه سيفه فقبض على خطام الجمل، فأناخه، وقبض عليّ فقلت له: ما شأنك؟ قال: أنت بغية أمير المؤمنين المنصور، وقد جعل لمن يقدم بك مالا جزيلا فقلت له: ومن أنا؟ حتى أكون بغية أمير المؤمنين؟ قال أنت معن بن زائدة! قلت: يا هذا، اتق الله! وأين أنا من معن؟ فابتسم ساخرا، وقال: دع هذا عنك، فأنا والله أعرف بك من كل إنسان! فقلت له إن كانت القصة كما تقول، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور في سبيل القبض عليّ فخذه حلالا ولا تسفك دمي.

قال الأسود: هاته، فأخرجته إليه، فنظر اليه ساعة، وقال: صدقت في قيمته، ولست أقبله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتنى أطلقتك، قلت: قل ما بدا لك، فقال إن الناس قد وصفوك بالجود والكرم، فأخبرني، هل وهبت جميع مالك؟ قلت: كلا، قال فهل وهبت نصفه! قلت: لا، قال هل وهبت ثلثه؟ قلت لا! فجعل يسأل وأنا أقول لا حتى قال: هل وهبت عشره فاستحييت وقلت: أظن أنى فعلت هذا، فقال والله ما ذلك بعظيم، وأنا فقير محتاج، ورزقي عشرون درهما في الشهر، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك لتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك، مهما اشتهر كرمك في الناس، فلا تعجبك نفسك يا معن، ولتحقر بعد ذلك كل مكرمة تأتيها، ولا تتوقف عن فعل الخير فإنه حاميك وراعيك، ثم رمى بالجوهر اليّ وخلّى خطام الجمل وانصرف.

قلت يا هذا، لقد فضحتني، وتسفك دمي أهون عليّ مما قلت، فخذ الجوهر راشداً فلست في حاجة إليه ومعى سواه، فضحك وقال: كأنك يا معن أردت أن تكذبنى في ادعائى الجود فوالله ثم الله لا آخذ على المعروف ثمنا، فتضيق الحياة في وجهي، وتركني مهرولا!

قال معن، ثم شاء الله ومن عليّ بالعفو والحرية بعد يوم الهاشمية، ورجع إليّ جاهي ومالي ومكانتي عند أمير المؤمنين، فجعلت أسير في الطريق الذى قابلنى فيه العبد، لأعثر عليه، وأجعله من خاصة أصحابي فما لقيته على كثرة البحث، وتعقب المارين، وطول السؤال عنه بأوصافه التي عرفتها فيه، حتى يئست وضجرت! فكأن الأرض قد ابتلعته، وهو والله

أكرم منى وأجود، إذ رفض الثروة الطائلة وهو فقير محتاج!

ان النفوس الكريمة لا تحفل بلون، فقد يكون الأسود الجواد سيدا لآلاف من بخلاء البيض، وقد قال الله عز وجل {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

٤٧٨ ـ (يوم الهاشمية):

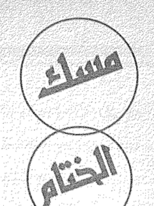
أشرت الى يوم الهاشمية في سياق الحديث عن معن بن زائدة، وهو يوم شهير من أيام التاريخ والهاشمية مدينة بناها السفاح أول خلفاء بني العباس قريباً من الكوفة، وكانت موئل بني العباس قبل أن يبنى المنصور بغداد، وفي هذه المدينة ثار الراوندية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان كانوا يتبعون أبا مسلم الخراساني، وأرادوا الانتقام لمصرعه، فانتهزوا فرصة ابتعاد الجند عن منزل الخليفة، واجتمع منهم زهاء ستمائة شخص، وحاصروا المنزل، وهموا باقتحامه، فتقدم المنصور راكباً فرسه، وهو لا يأمن على نفسه من شدة الوجل، فرأى شخصا ملثما يتقدم فيمسك بزمام فرسه، ثم يهجم على من يحاولون قتل المنصور، ويلتحم معهم في معركة ساخنة، حتى انقشع القوم، وتعجب المنصور من هذا البطل الملثم، وحين انتهت المعركة دعاه، فكشف اللثام عن وجهه، فقال المنصور: من أنت لله أبوك، فقال ابن زائدة أنا طلبتك يا أمير المؤمنين، أنا معن! قال المنصور: قد أمنك الله على نفسك، ومثلك يصطنع، ثم أخذه معه، وخلع عليه، وحباه، وصار من صفوة رجاله، وفي هذا الموقف يقول بعض الشعراء مخاطباً معن بن زائدة:

مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان

ولم يكن معن بعد ذلك محابيا للمنصور، بل كان يعارضه فيما يرى فيه وجها للمعارضة، وقد وشى به قوم لسلكه هذا فنهرهم المنصور، وقال: أريد رجلا مثل معن، ولا أريد أطفالا.

٤٧٩ ـ منْ أحْسَن ما قيل..

نريني فإن البخل يا أم مالك
لصالح أخلاق الرجال سروق
نريني وحُطّي في هواي فإنني
على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
نريني فإني ذو فعال تهمنى
نوائب يغشى رُزؤها وحقوق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى
وللحمد بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق
سلى هل جفاني من عشير صحبته
وهل ملّ رحلى في الرجال رفيق
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي
إذا اغبر مخشى الفجاج عميق



سمو نفس وتجليات روح

بقلم:
د. محمد رشاد حمد الله الريّان
قسم اللغة الانجليزية - جامعة اليرموك

أيها الزيفُ فارقني، غادر من هنا لأي جهة، أبعد ما يكون البعد والنأي، فقط احرص ألا تكون في مكان أجدك فيه أو نلتقي فيه معا، أغرب عن وجهي، غروبك أمثل ما تقدر عليه من أفعال، لا تدعني أراك في أي مكان، لست أحبك ولا أطيقك بالمرة، بل إنني أكرهك، اهتمامي بك وتتبعي أخبارك ومآلك لا تتعدى ترصدي وتشوقي أن يبلغني أنك في أسوأ حال وأنك تحتضر وتوشك على لفظ أنفاسك الأخيره وعلى فراش جفافك وخوائك، تحت أنظار الجمع والشهود من الفرحين بموتك، المترقبين له والشامتين بك في واقع حالك المتردي، المحتضر.

أيها الزيف انصرف من هنا - لست أحب حضورك وكما قلت للتو وأخبرتك لا أطيقك، ليس لك لدي من نصيب أو قسمة، أي حظ تصيبه هو أكثر مما تستحق مهما قل، وهو عندي قسمة ضيزى ومصيبة وخسارة. لست راغباً في صحبتك البتة، حتى بعد أن تبسط سعة المكان، ولو ملأتها بالكثرة من الاشخاص والافعال الذين تتلبس بهم وتخالطهم وتشغل أو تنتشر في أحياز تواجدهم.

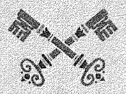
ايها الزيف لست اجهل ذلك منك أو عنك بل اني اعرف عنك اكثر واكثر. انني اكاد اعرف عنك كل شيء ولا يغير كل هذا فضلا عن بعضه موقفي منك او نظرتي اليك. انه يزيدني كرهاً لك واشمئزازا منك ونفورا من طبعك وشر حقيقتك وسيىء وضعك، لن يثنيني عن مقتك وحتى احتقاري لك طولُ الحرب معك ولا اتساع ساحة امتدادك، لن تفلح بشيء مني، بل إني مستعد أن أضحي بكل من يراودني فيك ويرغبني أو يحاول أن يغويني أو يرهبني. ليس أمامك وليس لك إلا أن تنتحر أو تتلاشى طول العمر. ليس لك توبة، ولا تقبل منك محاولاتك هذه مثلك ومنك زيف وادعاء. إن التوبة التي تتاح للجميع وضمن حدود وشروط لا تفيدك ولا تنطبق عليك، إنها تقتلك. وإن طردك أو القضاء عليك مبرما وقتلك بقدر ما نسعى ونود حدوثه ليس بذاته عملا كبيرا وانجازا يفتخر به إلا باعتبار وتأميل الخير والصدق والحب والود الذين سينمون مكانك ويحلون محلك وبدلا منك، أو يتسع انتشارهم ويطفون على وجودك ويظهرون عليك فلا تعود أنت تظهر في كل مكان، وتوشك أن تختفي.

أيها الزيف إنك شر وربما الشرُ كله، وعدوُ كل الخير والفضائل، وضعفك أو احتضارك هي البشائر بنمائها وشيوعها وحلولها بيننا. أغرب **أيها الزيف** فإنك في عيني كم أنت ضئيل ولو تهافتت عليك أفراد أو حتى ناخت لك من امثالهم مجاميع ذوات سلطات وجحافل ودول وإنك فى عقلي حقير ولو ارتديت أبهى الملابس وظهرت بأحلى الحلل واستخدمت وأحاطت بك لديك أحدث وسائط النقل والاتصال والمعلومات. رائحتك منفرة ولو تعطرت بماء الورد، وذوقك سقيم وسيء فظ خشن خشونة قلب المعرفه ومعالجة القشرة والمظهر لا غير، صوتك يخدش الاسماع ولو ألبسته اعذب الالحان واشذى الانغام. تلك ليست لك ولو تخرجت من أفضل معاهد تعليم الاتيكيت والتحكم بالصوت والنطق والأسلوب. إنها ملك غيرك انتقلت إليك وبوسيلة أو بأخرى ومقت بين يديك وأنت لا تفهم معناها على أية حال سوى ما تراه مما تتيحه لك من استغلالها.

إنني لست في عجلة من أمري واني أدرك أن عالمي الذي أطردك منه ستستغني عنه بعوالم آخرين وأخرى ولكنني أؤمن أن أمثالي كثير وأنك ستطرد يوما من كل الارض أو معظمها وأن الحب والودَ والحقَ وحسن الذوق واللطف والرحمة والعون ستعمُ حياتنا وتسمها وتثريها.



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣